



المجلد
الثالث

العدد
الثاني

أبولو

مجلة فينيقية للشعر الخي

لسان حال جمية أبولو

تصدر مرة في كل شهر
وستها عشرة أشهر

أكتوبر سنة ١٩٣٤



صاحب الامتياز { أحمد زكي أبوشادي
ورئيس التحرير

بشارع الملك المعز رقم ٩
الادارة { بضاحية المطرية بمصر

٦١١٩٦
٤٠٤٥٦ و { التليفون

مطبعة التعاون



عبد الرحمن شكرى

نارت نائرة الأدباء والنقاد حول أدب عبد الرحمن شكرى لماسبة صدور كتابين أحدهما (رسائل النقد) للدكتور الشاعر رمزى مفتاح والآخر (رؤاد الشعر الحديث في مصر) للشاعر مختار الوكيل. وكان بين من تحركوا للكتابة الشاعران ابراهيم عبدالقادر المازنى وعباس محمود العقاد، وأما شكرى نفسه فعازفة كل العزوف عن الحياة الأدبية العامة ولا يهتم من هذه الجمل شئ ويأبى أن يتورط فيها وقد رأى المازنى أنه أساء في حق شكرى سابقاً فكتب أكثر من مرة معلناً استنكاره لتعامله عليه من قبل، معترفاً بأستاذية شكرى وفضله عليه، وآخر ما كتبه كان في جريدة (البلاغ) الصادرة يوم أول سبتمبر الفأنت تعليقاً على الفصل المكتوب عن شكرى في (رؤاد الشعر الحديث) فكان تصرفه نبيلاً إذا ما عزّ النبيل بين حملة الأعلام في هذا الزمن.

وكتب العقاد مقالاً في (الجهاد) الصادر يوم ٤ سبتمبر فكان المنتظر منه كمادته أن يعلن أنه صاحب الفضل على كل إنسان وليس لأحد فضل عليه، وقد كان ذلك والعقاد موافق في مثل هذا الادعاء لأنه وجد من كل من شكرى والمازنى محبة خالصة وتجرداً صوفياً وإبناراً من قبل وإلى الآن، وله أن يعتمد على عزوف شكرى عن كل هذا العبث، كما له أن يعتمد على نواضع المازنى وتجريده نفسه من كل موهبة ولكن الحقيقة التي يعرفها كل من اشتغل بالصحافة في الجيل الماضى وأنبش له الاحتكاك بهذا الثالوث تتجلى فيما يأتى :

(١) ان العقاد كان دائماً نشيطاً مفكراً، وانه حاول الاشتغال بالترجمة ولخص تلخيصات بدائية ولكن معرفته باللغة الانجليزية ودرجة ثقافته بقيت محدودة زمنياً طويلاً. وإذا كان التفت نحو الأدباء والمفكرين الألمانين كترجم وملخص فإن انتاجه الشخصى الممتاز لم يكن إلا بعد ذلك بزمان طويل. وكمن مترجم وملخص فى شتى

المجلات الراقية كالملتطف والهلل وفي الصحف السيارة المشهورة في ذلك الوقت أسدى جهوده في غير هذه الدعاوى الطويلة العريضة التي يدعيها العقاد الآن . فإذا كان المازني مثلاً قد التفت معه الى ماكس نورداو فحسب المازني أنه وجه العقاد توجيهاً قوياً الى ابن الرومي ، ومع هذا فلم نسمع من العقاد أي اعتراف بهذا الجليل وانما سمعنا عن تواريخ قديمة عجيبة هي في صف المعجزات وشبيهة بصلته المزعومة بحال الدين الأفغاني !

(٢) اذا صح أن شكري والمازني قد سائرا العقاد فترة في التفاتهما الى الأدب الشكري الألماني ، فقد باعدها واقتصرا على الأدب الخالص بعد ذلك ، وكأن مجاوبها معه من هذه الناحية معدوم ، بعكس العقاد والمازني اللذين انطبع شعرهما بطابع عبدالرحمن شكري انطباعاً قوياً الى الآن . وهذا وحده ما يعنى نقاد الشعر ، وعلى دلالته يبنون أحكامهم ، وعلى نتائجهم المعبوسة تكلموا عن شخصية شكري وعن مدرسته الشعرية وزعامته الأدبية لتلك المدرسة الثلاثية زمنياً طويلاً

(٣) بغض النظر عن الحدة في بعض كتابة الدكتور رمزي مفتاح وعن تصويره الخيالي في جانب من المواقف وهو ما لا نقره شخصياً ، وبغض النظر عن الاختلاف في التفسير التي أدلى بها مختار الوكيل ، لا شك في أن كتابيهما من مآثر النفد العصري ، فحالة العقاد أن يفتقصهما ليست مثلاً للترفع ولكنها مثال لمادة معروفة عنده : وهي إصغار كل من لا يؤلهه - ولو كان كبيراً ، والتنويه بمن يقدره ولو كان من الصغار ! على أن جبهة الأدباء لا يعينهم إلا المنطق والحقائق الأدبية وحدها ، وهم يطلبونها أينما كانت ، وهم يعرفون أن العقاد كان ولا يزال متجنباً على هذه الحقائق . وليس للعقاد حسد ولا خصوم سوى قلمه الذي يزل به زلات لا تحصى ، وهو لو تدبر ذلك لأنصف نفسه وزملاءه .

(٤) بعد كل هذا وقبله لا يعنى الأدباء المحلصين للأدب وحده إلا إنصاف ذلك الشاعر الممتاز الذي كان سكوت العقاد إن لم نقل عمالاته لتجني المازني عليه في كتابيهما (الديوان) داعياً الى تطبيقه الشعر بتاتا وخسارة الأدب العصري أي خسارة لجهوده . فلعل العقاد يفعل ما فعله المازني من تهدئة أعصاب شكري وتضميد نفسه الجريحة ودفعه ثانية الى ميدان الأدب ، فهذا هو البر والجد الصحيح وأما ما عدا ذلك من دعاوى مفروضة وحكايات فلا قيمة لها أكثر من أنها من صور الزهو الباطل والأناية على ما لا يستحق الزهو والأناية !



اسماعيل صبرى

ببارة وزكري

كان أول ما قرأت من شعر صبرى أبيات وجدتها في مجموعة بخط والدى دون فيها ما تلقّفته من شعر أدياء عصره في رحلاته الى القاهرة وكان رحمه الله بخالطهم ويشهد بحالهم ، ومن هؤلاء الأدياء جماعة من الشعراء الذين جمع العنصر التركى الكريم بينهم وبين والدى ، وأشهرهم حسن حنى الطويرانى ، وسليم رحى . فاذا عاد من إحدى هذه الرحلات كان أول ما يتحفنى به من الهدايا ما اشترى من الكتب ، وما حمل من هذه الاشعار . وكنت يومئذ صبيّاً يولغنى والدى بالأدب ويميزنى عليه ، وهذه هى الأبيات مسندة الى (اسماعيل بك صبرى رئيس محكمة الاسكندرية) وهى فى تهنئة الخديو توفيق بعيد الأضحى عام ١٣٠٦ من التاريخ الهجرى كما يؤخذ من ختامها :

إن هيم الشعراء النغر والريق	وشاقهم كأس صبا و ابريق
فلى بمدحك (توفيق العلى) كلف	لم يثنى عنه هيفاء ومعشوق
حققت آمال مصر حيث كان لها	الى علاك مدى الأيام تحديق
وشدت فى مصر فخرآ لا خفاء له	فليس ينكره فى الكون زنديق
فالعين ما طمحت إلا رأت أثراً	له بتاجك ترصيع وتنسيق
وهده حُكمك ركن الظالمين ، وقد	عدلت حتى أحب العدل محقوق
مولاي اوافاك بالاقبال عيد فدى	بالبشر واليمن مصحوب ومرفوق
فعمش لامناله طول المدى فرحاً	واسعد فانت بعين الله مرموق

واهنأ به فصفاء الوقتِ أرّخه : عيد الفداء ببشر جاء (توفيق) وأول ما لقيتُ إسماعيل صبرى الذى أصبح بعد ذلك من ملوك الشعر وأمراء البيان ، يوم جاءنى رسوله يدعونى لموافاته بدار الحكم فى مدينة دمنهور ، وحاكم الاقليم يومئذ محمد محمود باشا . فلما لقيت صبرى فى منصرفه من حضرة الحاكم وكنت على شوق دائم اليه ، صافحته لأول مرة وفى نفسى من التهيّب والانقباض ما انطوى وشيكاً فى ذلك البشر المتدفق الذى بدأتى به ، وما انقضت التحية حتى أخذ بذراعى يده تحت إبطه ويقول : ويحك يا محرم ، ماذا فعلت بالرجل ؟ انه لشديد الحنق عليك ، لقد روضته فما ازداد الا شراسة وغلظة !

كان بينى وبين محمد محمود باشا أمر لم يأخذ فيه بالحزم ولا أجراه على نظر أو روية ، وكان حوله من مشيرى السوء فئة أعانت على الشطط والتسرّع ، وجاءت جولة العباس أمير مصر فى اقليم البحيرة قبل رحلته التى انقضت بها عهده فى الحكم والامارة فبعث المدير المتحرق الصدر الى حافظ ابراهيم ببعض هؤلاء المشيرين يسألونه أن ينظم تحيةً للأمير تلقى بين يديه فى دار المدرسة الصناعية بدمنهور . فقال لهم : وأين أنتم من محرم ؟ قالوا : انا معه على جفاء وفرقة ، فقال : ارجعوا الى صاحبكم فنبشّوه انه قد ركب أمراً عظيماً ، وإنى لبراء منكم حتى يرضى - وعلمتها من حافظ فشكرته وأبجته أن يكون عند رجائهم فيه ، فنظم لهم قصيدة عصماء قال فى مطلعها :
أشرق عباس على شعبه كأنه المأمون فى ركه

ونظمت أنا تحيةً للأمير ثم بعثت بها الى جريدة (المؤيد) ، فظهرت فيها وركب الأمير يودع دمنهور ، ولم تظهر قصيدة حافظ الا بعد ذلك بيومين ، ومطلع قصيدتى :

أو كلما سكن المشوق فأقصرا حاجته أسرابُ المها فتذكرا ؟
ومنها فى الغزل وقد علمت أن السنة الوشاة تناولتنى لدى الأمير فزعموا أنى فى عقيدتى الوطنية على انحراف :

مشت النائمُ بيننا فعرفتُها وعرفتُ من لحظات عينك ماجرى
ومنها ، والخطاب للأمير :

صدقُ الولاءِ أمانة لك فى دمي يأبى لها الايمانُ أن تتغيرا

أنا من طيورك ، إن دعوتُ مفرّداً عاد الجديبُ المحلُّ روضاً أنفرا
 (النَّيْلُ) يشهدُ أنى لم آلهُ برّاً ، ولستُ بصادقٍ إن أنكرّا
 لستُ الذى يرضى العقوقَ سجيّةً ويرى التقلّبَ فى المذاهب متجراً
 لو كنتُ طالبَ حاجةٍ رأيتنى أسمى إليها فى ذراكٍ مشمرا
 ولو أنى ممن يتوق الى الغنى لوجدته بندي يديك ميسراً
 ما فى الحياة على تعاطفٍ شأنها ما يستخفُّ العاقل المتبصّراً

علم اسماعيل صبرى من الصديق حافظ ما كان من أمرى مع محمد محمود باشا فوفد الى دمنهور يؤدّى ما فرضه على نفسه من حقّ السفارة بين أديب عرف للأدب قيمته فصانته عن مجال الملق ومعرض الدهان ، وبين حاكم اقليم يعتز بمنصبه وبيته ويرى لنفسه أن يكون السيد النافذ الأمر فى جميع الأمور ، ولم أكن على علم من قبل بأمر هذه السفارة التى لم أكن لأشير بها لو أنى خوطبت فيها ، ولكنها حجة حافظ ، ومروءة صبرى ، رحمهما الله ، وقضى غنى حقهما العظيم نعيماً وطيباً .
 قال لى صبرى وهو يصف شراسة محمد محمود باشا : دعه عنك فقد أصبح أمرك بيد الأمير ، وانك عنده لبالحلّ الذى تريد ، وقد قرئت عليه قصيدتك فاعجب بها وسترى اقلت له : دع عنك الحاكم والأمير ، وقل لى متى يطلع علينا الرئيس بصبرية جديدة ؟ فتأوّه وقال : لقد كبرت وضعفت نفسى ، وأما الشعر أخو القوّة وصاحب الشباب ، قلت له فما بال :

لو أنّ أطلالَ المنازل تنطقُ ما ارتدّ حرّان الجوائح شبقُ ؟
 انها وحقك لكما يقول أبو تمام :
 قد أوتيت من كل شيء نعمة ودَدَا ، وحُسناً فى الصبا مغموسا
 فابتسم رحمه الله ، ثم نعب القطار فودعته ، وكان هذا أول عهدى به وآخره

صلى السّيرة بصبرى

لم يحجر بينى وبين صبرى قبل هذا الحادث ولا بعده شيء من المطارحات الشعرية بل ولا الكتب أو الرسائل ، غير أنه شاع بعد هذا اللقاء أنه أصيب برعاف شديد فقلت فيه ، وإحال أنى أذعتها فى إحدى الصحف :

أشفقتُ من نبأ الرئيس ، وأشفقتُ
 سالَ الدَّمُ المسفوحُ منه معانياً
 ما كنتُ أعلمُ ، والحياةُ مجاربٌ
 رُغيفُ السراغِ ، وقد جرى برعافه
 عافاك ربُّك ، إنَّ من آياته
 سُؤالُ أمدُّ به اليدين ، ودعوةٌ
 للقومِ من غفلِ القوافي ما ترى
 إنَّ الصحائفَ ما تزالُ سرُوعةٌ
 وعزَّى صبرى صديقي الشاعر الأديب ولَّى الدين يكن رحمة الله في وفاة والدته
 بأبيات قال فيها :

إني أعزِّيك وأبكي ممك

فقلتُ في تعزيتي لهذا الصديق الكريم ، ولا أعلم ما ذا كان موقفها في
 نفس الرئيس :

لقد وجدت نفسي لوجد (محمد)
 أخى ، والموادى ما تزالُ مُغيرةٌ
 أعيدُك أن تلتقى الخطوبَ مرَّوفاً
 رميتَ صفوفَ الحادثاتِ بمنلها
 يُعزِّيك شيخُ العبقرين باكياً
 وأسيرتُ إلى الصديق حافظ قصيدة أطارحه فيها وهو معتقل بدار الكتب
 مطلعها :

رؤيتُ الهوى باليل ، لو يفتحُ الهوى
 بما نالَ من دمي ، وما نلتُ من دمي
 ومنها في ذكر الرئيس :

إذا جئت شيخَ العبقرين زائراً
 خذْ لقريضي الإذن قبل التهجم

وإن أنت شارفت الستور مُنيقة
فَسَحْ ، وقبّل ، ثم حَيّ ، ومسلم
وصِف من بنات الشوق كلّ شجيرة
ترنّ رنين الطائر المترنّم
تطلّع من حول الفؤاد ، وترنّي
إلى العين من حرّ الغليل بسلام
وتنسب تلقى كلّ ركب ، وما بها
سوى أن ترى ركب (الرئيس المعظم)
إذا هجعت ذكرى صديق لديكما
فذودوا عن التهجّاع ذكرى (محرم)

ولى فى الرئيس صبرى مرثية بقيت مطوية الى اليوم لسرّ لم أكن أعلمه ، فلما
أهاب بى صديق الشاعر المهائم ، شاعر الحب والجمال الدكتور زكى أبوشادى ، أن
أكتب كلتى هذه عنه علمت ان الأيام قد أذخرتها لتذاع فى ختام هذه الكلمة
وستأتى فى مكانها .

شعر صبرى

لم يكن شعر صبرى أوّل عهده بالأدب يبشر بشاعر مقتدر يُحدث أثراً يذكر
فى عالم الشعر ويوقع باسمه فى سجل الخلود وجريدة الذكر ، وقد جشّاك بمنال من
شعره فى ذلك العهد الذى كان كلّ شاعر فيه خيراً منه ، وقد مرّ بك ذكر سليم رحى
فأنا أذكر لك بعض ما دُوّن له فى تلك المجموعة الخطية التى نقلتُ عنها ذلك المثال
السئ لتعلم أن الرئيس صبرى باشا شاعر آخر غير اسماعيل صبرى بك رئيس محكمة
الاسكندرية . قال سليم رحى من قصيدة يمدح بها الخديو توفيق ويهنئه بالعيد :

فى خبرة الدهر ما يُغنى عن الخبر
وفى الحوادث تذكّركم لمدّكم
والناس كالنبت منه ما له ثمّر
بغير شوك ، وذو شوك بلا ثمّر
والمرء مما سمى فى الناس رتبته
فليس إلاّ بما يبيده من أثر
ما شئت فاعمل ، فهما كنت مُستترا
تُعلم سجايك بين البدور والحضر
ومنها :

وارحمنا لعلوم ما بلغت بها
نفعاً ، وقد ضاع منى أنفس العمر
هذى العلوم التى لم تُجنى ثمراً
مالى أذود الردى عن عودها النضر ؟

وأيُّ فائدةٍ في النحو أطلبها
وما النتيجة من وزن العروض إذا
إن كان لم (يرتفع) بين الوري (خبري) ؟
لم يجوز معنای بیّتٌ غیر منکسر ؟
ومنها :

أستغفرُ الله إني في حمي مَلِكٍ
عزيزُ مصر الذي سارت مآثره
إن جال بالفكر قلت الشهبُ ثاقبةً
وقال في الختام :

عيدٌ بساحتك العلياء حلٌّ فإن
ماذا يقول (سليم) في المدح وقد
تأمره بالعودِ وإفانا على قدرِ
علوتٍ عن كلِّ منظومٍ ومنثرٍ

لا أقول إن هذا شعرٌ ، ولكني أقول إنه أشبهُ بالشعر وأقرب إليه مما كان يقول
صبري في ذلك العهد ، وصبري منذ القديم شاعر مقلٌّ ، فهو لا يستطيع المطولات
ولا يكاد يجيدها ، وقد نضجت شاعريته فأبدع في مواضع كثيرة ، ومواطن شتى ،
ولكنه بقي الشاعر المحدود ، والفنان الذي يأخذ من الفن ما يعجبه ، ويأبى أن
يعطيه ما يحبه هو ويرضاه .

ينظم صبري في بعض الأغراض العامة فينكر لك في كثير من شعره ، ثم
يفاجئك على يأس باللمحة الفنية الرائعة فتعرفه ، وتحس أن نفساً جديدة حادة تشعل
نواحيك وتشعل جوانبك : ذلك أن صبري لم يوهب قوة التحكم في هذه الأغراض
أو هو لم يرض نفسه عليها منذ النشأة الأولى ، فهي غير مستقرة الصور عنده ،
ولا متمكنة الأصول والأسباب من شاعريته وطبعه . هو شاعر بهزّه الغرض النفسي
فيقبل عليه ، ويشوقه المعنى البديع بعينه فيطلبه في مكانه من الشعر الطليق ،
ويستكثر من الشباك والحبال يثبها حوله ، ثم يتلطف في اجتذابه إليها ، فتراه وقد
وقع في يده قنيصاً غير موقوذ ولا جريح ، وهو إذ يعمد إلى هذا تراه في قلق فكري
دائم ، واضطراب فني مستمر ، تراه متنافراً إلى أقصى حدود التنافر في القطعة
الواحدة من شعره ، فهو يعطيك من مجموع هذه القطعة صورة آلية جافة ، تنصاج
حولها وبين ثناياها صور أخرى مضطهدة أو ملغاة لغير ما سبب سوى أنه لا يريد لها
وانك حين تظلم الفن والدوق والمأطفة لتظفر بمعنى بديع أو صورة حسنة تغرم بها

وتحرص في نفسك عليها لجدير أن تعرف مكانك من ذوى النصفة وأولى المعدلة ،
وتبين كم بينك وبينهم من آحاد طويلة ومسافات واسعة .

من مطولات صبرى قصيدة (فرعون وقومه) وقصيدة في رثاء أمين فكرى
باشا ، وأخرى في (مذهب هالى) وقصيدة في تتويج السلطان حسين ، وقصيدته المشهورة
(لو أن أطلال المنازل تنطق) وأنا لبادئون بقصيدة فرعون وقومه ، قال :

لا القوم قومى ، ولا الأعوان أعوانى	إذا ونى يومَ تحصيل العلا وانـ
ولستُ إن لم تؤيدنى فراعنة	منكم بفرعون على العرش والشانـ
لا تقربوا النيل إن لم تعملوا عملاً	فأؤه العذب لم يخلق لكسلانـ
ردوا الهجرة كدّاً دون مورهـ	أو فاطلبوا غيره رباً لظلمـ
وابنوا كما بنت الأجيال قبلكمـ	لا تتركوا بعدكم فخراً لانسانـ
أمرتكم فأطيعوا أمرَ ربكمـ	لا يثن مستمعاً عن طاعة ثانـ
فالملك أمره وطاعاته تسابقه	جنباً لجنب إلى غايات احسانـ
لا تتركوا مستحيلاً في استحالتـ	حتى يميظ لكم عن وجه إمكانـ

يسوق صبرى هذه الأبيات على لسان فرعون الى قومه يستحثهم بها على بناء
الأهرام وإقامة الآثار العظيمة التى نشاهد اليوم بقاياها أو نقرأ أخبارها ، وهى كما
ترى من الشعر القصصى المطلق أى الذى لا يرجع الى أصل معروف . ولا يتقيد فيه
الشاعر بفرض خاص أو صورة بعينها ، ومع هذا فانت لا تجد أثراً لعبقرية صبرى
في هذه الأبيات بل أنت تراه شاعراً متواضعاً يتناول أغراضه من أقرب مكان ،
ويسوق شعره فى غير ما تأق ولا افتنان ، وانك لتراه الى ذلك قليل التحفظ ، بعيداً
عن الاحتراز . وهذا قوله (تحصيل العلا) أنجد فيه تلك الروعة التى تحب أن تراها فى
شعر أمثاله من المبرزين ؟ إن كلمة تحصيل لا عهد لها بهذا النوع من الشعر ، وهى
وإن كانت سليمة من جهة اللغة ، فإن للشعر لغة خاصة ، ولو أنصف صبرى
لترك الكلمة لكتاب الدواوين وعملها من جماعة الجباة والمحصيلين ، ولا بقاها
شركة بينهم وبين طلبة العلم وتلاميذ المدارس ، فما هو إلا تحصيل المال أو العلم ،
ومتى غلب الاستعمال على كلمة تغير حكمها أو كاد يكون كذلك . ولشاعر قديم فى
الباب الثانى :

أكرموا العلم وصونوا أهله عن جهول حاد عن تبجيله
 إنما يعرف قدر العلم من سهرت عيناه في تحصيله
 حُصِّلَ الشيء لغة 'جمع ومُتَّز' ، واليك أمثلة من أشعار المتقدمين تبين لك
 كيف ، وفي أي الأغراض ، كانوا يستعملون هذه الكلمة : قال البحترى في
 المعتز بالله :

إذا حُصِّلَتْ عُليا قريش تناصرت مآثره في نخرهم ومناقبه
 وقال أبو تمام :

لَقَدِدتُ مِنْ شِيمِ كَأَنَّ سَيورها يُقَدِّدَنَّ مِنْ شِيمِ السحاب المرزم
 لو فلتُ حُصِّلَ كلها في حاتم أو بعضُها ، لدعيتُ دافع قهرم
 وقال الأبيوردى :

وإذا معدُّ حُصِّلَتْ أنسابها فهمُ الذرى والجوهر المتخيرُ

ليس في هذه الأمثلة شيء من تلك الصورة النافرة التي وقعت في شعر صبرى ،
 وإنك حين تنتقل معي إلى البيت الثاني من قصيدته لترى أنه لم يقل شيئاً ، فإن العامة
 من الناس ليعرفون أن الملوك بالشعوب ، فليس لواحد منهم في ذاته حول ولا طول ،
 وهل قال صبرى على لسان فرعون إلا ما قال ذو القرنين في قصة بناء السدِّ
 (فأعينوني بقوة) ؟ وما ذا ترك الشاعر لفرعون بعد قوله في هذا البيت — إن لم
 تؤيد فراعنة منكم — ؟ لقد تمَّ التماثل بهذا الوصف بين فرعون وقومه ، أو بينه
 وبين رعاياه ، وما كان فرعون ليقول مثل هذا ، فأما قول الشاعر في البيت الثالث
 إن ماء النيل لم يُخلَقْ لكسلان ، فوصف عام لا معنى لأن يقصر على التيسل
 أو على سواه ، وهل في هذا الكون من شيء صغيراً كان أو كبيراً إلا وقد خلق
 لذوى الهمة والمقدرة من هؤلاء العالمين ؟

يقول صبرى في البيت الرابع على لسان فرعون لقومه : إن كنتم من الكسالى
 العاجزين فدعوا ماء النيل لا تقربوه ، وهاهنا فاصعدوا إلى المجرة تتخذونها مورداً
 لكم ، أو اطلبوا لكم مورداً آخر سواه . هذا ما يقوله صبرى في البيت الرابع
 فهل ترى هذا ممَّا يستقيم في العقول ، أو يتألف حتى في موضع التباين من النفوس
 والطباع ؟

أما والله لو قالها شاعر آخر غير صبرى لحلقنا صادقين أنه يجهل أن مكان الهجرة
في السماء ، وهل في الهجرة ماء ، أم كان فرعون من الشعراء ١٢ قال في البيت الخامس :
وابنوا كما بنت الأجيال قبلكمو لا تتركوا بعدكم فخراً لإنسان
الشرط الأول من قول الشاعر

بنى كما كانت أوائلنا تبني ، وتعمل مثل ما فعلوا
والثاني من قول الشريف الرضى :
من معشر أخذوا الفضلى فتركوا منها لمن يطلب العلياء متركا
والشريف في هذا المعنى :
لهذه كان الزمان ينتظر لم يبق من بعدك للمجد وطر
وقال صبرى :

أمرتكم فأطيعوا أمر ربكمو لا يثن مستمعا عن طاعة ثان
بين هذا البيت والبيت الثاني تناقض بين وتخاذل معيب ، فهناك يقول فرعون
لقومه إنه ليس بفرعون العظيم السلطان ، العالى المرش والشأن ، إن لم يطيعوه
ويؤيدوه ، وهو يقول هنا ، أمرتكم فأطيعوا . . . وليس هذا فحسب ، انه
ليقول : فأطيعوا أمر ربكم ، ثم يحذرهم بعنف ، ويتوعدهم في صلف وكبرياء
(لا يثن مستمعا عن طاعة ثان) ١ ان هذا لفرعون آخر غير ذلك ، بل ان صبرى
عن هذه الأبيات لغائب ، قال :

فالملك أمره وطاعات تسابقه جنبا لجنب إلى غايات إحسان
لم يقل شيئا ، فهذا هو نظام الملك منذ كان الملوك وكان الناس ، وهذا أبو تمام
فانظر ما ذا يقول في الواثق بالله :

تدعى بطاعتك الوحوش فترعوى والاسد في عريستها فتدين
فأما قوله في البيت الأخير ، لا تتركوا مستحيلا إلى آخره ، فمن الصُّور
الضخمة في ذاتها ، ولكنه لا شيء من جهة الفن ، ومن آثار عبقريته في هذه
القصيدة قوله :

مقالة قد هوت من عرش قائلها على مناكب أبطال وشجعان

غير أنك إذا نظرت الى هذا البيت على حدة ، ولم يكن لك علم بالفرض الذي نظم فيه ، كان لك منه صورة أخرى ، فأنت يَنُذِرُ لا تشك في أن هذه المقالة كانت حصصاً على الحرب والقتال ، وليست (المناكب) هنا بمانعة . فهي كما تحمل الحجارة للبناء تحمل السيوف الى حومة النزول وساحة الهيحاء ، قال :

مادت لها الأرض من دعرٍ ودان لها ما في المقطم من صخرٍ وصوانٍ
لو غير فرعون ألقاها على ملاٍ في غير مصر لعُدَّت حُلُمٌ يقظانٍ
لكن فرعون إن نادى بها جبلاً لبَّت حجارته في قبضة الباني
في هذه الأبيات قوة الشعر ، وبراعة الشاعر ، ولكن قوله (حلم يقظان) في البيت الثاني مما يتمشى عليه حكم النقد ، وإن خيل اليك أنه توسعة في اللغة ، انها بصورة شاذة تحاول أن تعطيك معنى الأمانى المستحيلة ووصفها فتفضح نفسها ، وتريك من ذاتها لوناً عجيباً من ألوان المحال ، وفي هذه الصورة شيء آخر ، هو أن الأحلام على إطلاقها ليست من نوع هذه الأمانى الكاذبة ، فقد ورد في الأثر ان الرؤيا الصالحة جزء من الوحي ، ولك بما أثبتته العلامة ابن خلدون في مقدمته وعرفه الناس من أمر هذه الأحلام غناء ، وهذا شيخ المعرّة يقول :

إلى الله أشكو أننى كلَّ ليلةٍ إذا نمتُ ، لم أعدم خواطرَ أوهامٍ
فإن كان شرّاً ، فهو لا بدّ واقعٌ وإن كان خيراً ، فهو أضغاثُ أحلامٍ
ودع قوله (خواطر أوهام) فتلك سجية ، وهذا وأبو تمام على ما تعلم من شأنه وعلى أنه جعل للامام ماء فقال :

لا تَسْقَى ماء الملام ، فأنى صَبَّ قد استعذبتُ ماء بكأى
لم يجترئ على الأدب فيقول (حلم يقظان) وهو يذكر طلوع الشمس والليل راغم ، قال :

أما إنه لولا الخليطُ المودّعُ ورَبِعٌ خلا منهُ مَصِيفٌ ومَرَبِعٌ
لرُدَّتْ على أعقابها أريجِيَّةٌ من الشَّوقِ ، وأديها من الدِّمعِ مترَعٌ
لحَفْنَا بأخراجمُ ، وقد حَوَّمَ الهوى قُلُوباً عهدنا طيرها وهى وقَّعُ
فرُدَّتْ علينا الشمسُ ، والليل راغمُ بِشَمْسٍ لهم من جانبِ الخدرِ تَطْلُعُ

نضاضوة حاصبتغ الدجنة، وانطوى لبهجتها أوبُ الظلام المجرع
 فوالله ما أدري، أحلامُ نائمٍ أملتُ بناءً أم كان في الركب (يوشع) ؟
 وصدق أبو تمام إذ يقول في غير هذه القصيدة (وأخو الكرى لو لم ينم لم يحلم)
 وليس يصح الاحتجاج بقوله :

أيقظتَ هاجعهم ، وهل يغنيهم سهرُ النواظر ، والعقولُ نيامُ ؟
 وبعد ، فقد أخذ صبرى هذه الصورة من قول أبي جعفر الأعمى ، قال :
 كم مقلّة ذهبتُ في الغنى مذهبها بنظرة هي شأنٌ ، أو لها شأنُ
 رهنَ بأضغاثِ أحلامٍ ، إذا هجعتُ ورُبما حَلَمْتُ ، والمرءُ يقظانُ
 أما محصل المعنى في البيت الأول والثالث ، فينطوى في قول المعري :
 وأقسمُ لو غضبتَ على ثبيرٍ لأزعمَ عن محلتي ارتحالاً
 قال شاعرنا :

وآزرتَه جماهيرٌ تسيلُ بها بطاحٌ وادٍ بماضى القوم ملآنـ
 صرف جماهير للضرورة ، وأخذ من قول الأول (وسالت بأعناق المطى الاباطح)
 وقال :

ويشبهون إذا طاروا إلى عمل جنّا تطيرُ بأمر من سليمانـ
 برّاً بذى الأمر ، لا خوفاً ولا طمعاً لكنهم خلقوا مُطالبَ إتقانـ
 يشبه قوم فرعون بالجن ، وليس هذا بالجديد ، فقد تنازع الشعراء هذا التشبيه ،
 واستفاضت أقوالهم فيه ، فن ذلك قول عنتره :

لا أبعد الله عن عيني غطارفةً إنساً اذا نزلوا ، جنّاً اذا ركبوا
 أما قوله في البيت الثانى (برّاً بذى الأمر ... الى آخره) فيمحو كل المحو تلك
 الصورة التى صدر بها قصيدته ، فقد جعل فرعون يفرق في استفزاز القوم وإحراجهم
 حتى لقد كاد يطردهم من مصر ويحول بينهم وبين ماء النيل ، فإذا جرى حتى جردهم
 من الخوف والطمع ، ووضعهم في هذه المنزلة من البر والطاعة ؟ لسا بسبيل
 الحقائق التاريخية التى اضطرها الشاعر في قصيدته ، وانما نحن في مقام الابانة عن
 هذا العيب الفنى الكبير ، وفي هذا البيت الهادم لصدر القصيدة تصف شديد

من حيث الصناعة ، فقد تم المعنى في الشطر الأول منه ، إذ قال الشاعر (برآ بذى الأمر الى آخره) فلم يبق من مكان لقوله في الشطر الثاني (لكنهم) . وثم عيب آخر هو ذكر الاتقان في البيت وما هو بسبيل منه ، إنه لكما تراه لامطمئن الموضع ، ولا متصل السبب ، قال :

أهرامهم تلك ، حىّ الفنّ مُتخذاً من الصُّخور بُرُوجاً فوق كيوانـ
لم يأخذ الليلُ منها والنهارُ سوى ما يأخذُ النملُ من أركانـ نهلانـ
كانها ، والعوادي في جوانبها صرعى ، بناءً شياطينـ لشيطانـ
فصغرت كلّ موجودٍ ضخامتها وغضّ بنيانها من كلّ بنيانـ
كانما هي ، والأقوامُ خاشعةٌ أمامها ، صفحٌ من عالم ثانـ
إنّا نحى الفن مع الرئيس المكرّم ، ونستأذنه في إيراد بعض الشواهد على أن ما وصف به بناء الأهرام ، وأنها كالبروج المنيفة على كيوان ، ليس من المبالغات المخترعة ، وأن الشعراء لم يغادروا كما يقول غنّرة من مُتردّم في هذا الباب ، وهذا ما يقوله الشريف الرضى :

بنوا في بفاعِ المجد ، وهو ممنعٌ ربّنى طيرُها بين النجومـ وقوعٌ
وأشد من هذا إغراقاً قول السموأل في الأبلق الفرد :
لنا جبلٌ بجملته من بُحيرُهُ منبعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليلٌ
دسا أصله تحت الثرى وسما به الى النجم فرعٌ لا يُنالُ طويلٌ
بل هذا هو الفرزدق يجرى في هذا المضمار الى أبعد غاية فيقول :
إنّ الذى سمكـ السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولٌ
يقول صبرى في البيت الثانى ان الليل والنهار لا يأخذان من الاهرام إلا ما يأخذ النمل من جوانب نهلان ، وهو أحد الجبال العظام ، وهذا ولا ريب نمل المتنبي الذى يقول فيه :

أحبك ، أو يقولوا جرّ نملٌ ثبيراً ، وابنُ ابراهيمَ ريمـ
في البيت الثالث صورتان : الأولى سقوط العوادي صرعى في جوانب الاهرام ، والثانية أنها تشبه بناء الشياطين لبعض اخوانهم الشياطين ، وليس بين الصورتين من صلة ، ومن شأن أداة التشبيه التى توهم وجود هذه الصلة أن تزيدها تنائياً وبعداً . وفى معنى الصورة الاولى يقول البحرى :

رَدَّ الحوادث ملقاة أوائلها على أواخرها ردعاً وإيقافاً
وفي معنى الصورة الثانية يقول ابن المعتز في قصر ، وفيه زيادة ظاهرة :
فليس له فيما بنى الناس مُشَبِّهٌ ولا ما بناه الجنُّ في سالف الدهر
بل لقد قال شاعر قديم في وصف بعض الأبنية ، ولعله الغاية في هذا الباب :
عالٍ كأنَّ الجنَّ إذ مردتْ جعلته مِرْقاةً إلى النسر
فأما البيت الرابع فقد قال عبيد بن الأبرص في معناه :

لا يبلغ الباني ولو رَفَعَ الدعامَ ما بنينا
وقال جرير :

ورأيت أبنية خوت وتهدمتْ وبناء عرشك خالدٌ لم يُهدم

يصف شاعرنا ما يأخذ النفوس من الخشوع أمام عظمة الأهرام وجلالها ، حتى
لكأنها صحف من عالم آخر غير عالمنا هذا ، وهو وصف بليغ يجعل كل خشوع
في هذا الباب أو سواه مما يقاربه أو يتصل به مجرداً عن هذه الصورة الفخمة ، واليك
صورة من هذا الخشوع المجرد لتعرف ما بين الصورتين من التفاوت ، قال
الشريف الرضي :

قد مررنا على الديار خُشوعاً ورأينا البنى ، فأبنِ الباني ؟

هذا شيء آخر وإن كان المقام واحداً ، وإنك لتلمح نوعاً من الشبه بين بيت
صبري وقول بعضهم :

هم يهلكون ، ويبقى بعضُ ما صنعوا كأن آثارهم خُطَّتْ بأفلام
قال :

أين الألى سجَّلوا في الصخر سيرتهم وصَغَرُوا كلَّ ذي مُلكٍ وسلطانٍ ؟
بادوا وبادت على آثارهم دُولٌ وأُدرجوا طيَّ أخبار وأكفانٍ
وخلفوا بعدهم حرباً مَخْلَدَةً في الكونِ ما بين أحجارٍ وأزمانٍ
وزُحِزَّحوها عن بقايا مجدهم وسطاً عليهم العلمُ ، ذاك الجاهلُ الجاني
وَيْلٌ له ، هتَكَ الاستارُ مُقتحماً جلالَ أكرمِ آثاره وأعيانٍ

للجهل أرجح منه في جهالته إذا هما وُزنا يوماً بميزان
في هذه الآيات البليغة من العظة الكونية العامة ما يذهب في النفس البشرية
إلى أعماق غور وأبعد قرار، وفيها من تصوير مجد الفراعنة والننويه بآثارهم،
وذمّ العلم وهو يتهجم على تلك البقايا الغالية والذخائر الثمينة وينتهك محارمها في غير
تعفف ولا وفاء، ما يُريك صورة الفن الشعري في تسلطه قضايا التاريخ وأحكامه،
وحقائق الحياة وأوهامها، إنَّ لك في هذه القطعة وحدها لعالمًا غير محدود من
العبر والعظات، وانك حين تتأملها لترى الرئيس صبرى وقد برزت لك في تاجها
الرفيع، وعلى عرشها الذهبي المسكين، تكتب لدولة الفراعنة ولغيرها من الدول العظيمة
كلمة الرثاء في جبين الدهر، وتضع في فمه أنشودة الحياة الكبيرة، وتحية العظمة
البالغة، يرددها لفرعون وقومه، ولمصر العظيمة ونيلها، أمّا العلم — ذاك
الجاهل الجاني — فانظر اليه وهو يحقره ويحرض التاريخ عليه، ثم انظر في ناحية
أخرى ترّ الجهل البريء يرفع رأسه، ويشير إلى خصمه العلم، والشمانة ملء عينيه
وفمه، إشارة الذي يقول: هل فهمت؟

وبعد، فقد بالغ صبرى كثيراً وهو يقول في البيت الأول عن الفراعنة (وصغروا
كلّ ذى ملك وسلطان)، وإنّ للدول الإسلامية لحقاً كبيراً في ذمة التاريخ
والأدب، وخير ما يُفسر به هذا القول أنّه خاصٌّ بالدول المعاصرة للفراعنة،
أو ما كان منها بعد ذلك إلى العصر الإسلامي العظيم، فأما ما ورد في البيت الثاني
عن زوال الدولة الفرعونية وما بعدها من الدول تبعاً لتقلب الدهر وجرياً على سنة
الوجود فما لا يكاد يستوفي كثرة وانتشاراً، ومنه قول الشريف الرضى:

درجوا كما درج القرون وعلمهم أن سوف يُنحجر آخره عن أوّل
وقال المتنبي:

أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه، ما يومه، ما المصرع؟
وهي الدنيا التي يقول فيها المعري:

ما نال فرعون بها نعمة ولا صفا عيش لموسى الكليم

وكقول صبرى في هذا البيت (وأدرجوا طي أخبار وأكفان) قول المعري:

جمال ذى الأرض كانوا في الحياة، وهم بعد المات جمال الكتب والسّير

وفي معنى ما يقوله عن العلم والجهل يقول أبو العلاء :
 إذا علمى الأشياء جرّة مضرّة إلى فإنّ الجهل أن أطلب العلما
 ومما يتصل بهذا الباب قول بهاء الدين العاملي في من يجمع الكتب ولا يستفيد
 من قراءتها :

لعمري قد أضلّتك الهداية ضلالاً ما له أبداً نهاية
 فما تنجى النجاة من الضلالة ولا يشفى الشفاء من الجهالة
 وبالارشاد لم يحصل رشاد وبالتبيان ما بان السداد
 يقول صبرى في البيت الأخير من هذه القطعة :

ويُبلّ له هتك الأستار مقتحماً جلال أكرام أثار وأعيان
 وليس هذا بصحيح على إطلاقه فما كانت ذخائر الفراعنة وأجسادهم في مثل هذه
 المنزلة التي تفوق كلّ منزلة أخرى ، ولسنا ننكر مع كلّ هذا أن قصيدة (فرعون
 وقومه) ستبقى من الآثار البديعة والذخائر الغالية في عالم الشعر والأدب .

رثاء أميه فكرى باشا

وهبتك يادهر من تطلبُ أبعد أمين أخ يُصحبُ !
 طويت المودة في شخصه فأى وداد امرئ أخطبُ ؟
 وأى بديل له أرتضى وأى شمائله أندبُ ؟
 أمين اتقد في النوى ، وارعى فبني وبينك ما يوجبُ
 أنذكرُ إذ أنت منى النياط من القلب ، أو أنت لى أقربُ ؟
 وإذ نحن هذا لهذا أخ وهذا لذا ابن ، وهذا أب ؟
 ومن قال عنا من الناظرين ندبنا جذيمة ، لا يكذبُ
 حسبُ بانك لى خالد فكلان الذى لم أكن أحسبُ

ليس في هذا الشعر من دلائل الفحولة وشواهد العبقرية ما يأخذ النفس ، أو
 يزيد شيئاً جديداً في الفن : فأنت ترى صبرى في هذه القطعة يرسل القول على هين
 وكأنه يقص عليك حديثاً أو يطلعك على ذات نفسه في صورة مردّة من قديم

الرثاء وجديده، وأريد هذا الجديد الذى تراه ممسوخاً وتزبه مهتماً لا يعينك منه سوى أن تجاوزه وأنت فى عافية من بلائه . يقول صبرى فى مطلع قصيدته (وهبتك يادهرُ من تطلب) فهل لهذا من معنى فى مقام الرثاء ؟ وهل ترى بين هذه الصورة الجامدة وبين ما بعدها من الصور الباكية التى تتمثل لك فى هذه القطعة من تعاون أو الثنّام ؟ يهب صبرى للموت من يحب فى هدوء شامل وسخاء عميم وهذا الشريف الرضى يقول فى رثاء أمه :

لو كان يدفعُ ذا الحامُ بقوةٍ لتكدّست عُصَبٌ وراءَ لوائى
بمدرّينَ على القراعِ تقيّأوا ظلَّ الرّماحِ لكلِّ يومٍ لقاء
وانظر الى المتنبي وهو يتحدث بأخذ النار من الحى فى موت أمه فيقول :
هبينى أخذت النار فيك من العدى فكيف بأخذ النار فيك من الحى !
ولعلّ الأصل فى هذه الهبة المعدول بها عن وجهها قول أبى تمام :

قصدتُ نحوه المنية حتى وهبتُ حسنَ وجهه للترابِ
فأما قوله فى البيت الثانى (طويت المودّة فى شخصه) فشبهه بقول البحترى فى وصيف التركي :

فيالك من حزمٍ وعزمٍ طواهما جديده الردى تحت الصفا والصفائح
ومنه قول الشريف الرضى يخاطب القبر :
لم يواروا فيك ميتاً ، إنما أفرغوا فيك ذنوباً من نوال
وقوله وهو أفخم :

اليومَ اغمدتُ المهنّة فى الثرى ودفنتُ هضبَ متالعٍ ويَلعلم
وليس لقوله فى الشطر الثانى من البيت (فأىّ وداد امرئٍ أخطب.؟) أىّ جمال
فنىّ بل هو يكاد يعدّ اليوم من كلام العامة وأشباههم ، ورحم الله الشريف الرضى إذ يقول :

فى كلّ يومٍ مودّاتٌ مطلقةٌ قد كان زوجنيها الدهرُ مغرورا
يقول صبرى فى البيت الثالث (وأىّ شمائله أندب) ويقول الشريف الرضى :
أبكى ندامُ العريضِ أمِ بشرهُ اللا معَ للمعتفين ، أمِ ورعة ؟

ويقول صبرى فى البيت الرابع (أمين انشد الى آخره) وهو معنى من قول الشريف الرضى فى رثاء بعض أصدقائه :

ولقد حفظتُ له ، فأين حفاظهُ ؟ ولقد وفيتُ له ، فأين وفاؤهُ ؟
فأما قوله :

أنذكر إذ أنت منى النياط من القلب أو أنت لى أقرب ؟
فمن قول الشريف الرضى فى رثاء :

أعزُّ على عيني من العينِ موضعاً والطفُ فى قلبى من القلبِ موقعا
وقوله فى رثاء آخر :

يا ثانياً للنفس بل يا ثالث المينين عزاً

فأما قول الرئيس فى البيت السابع إنه كان صاحبه كنديى جذيمة فأخوذ من قول الشاعر :

وكنا كندمانى جذيمة حقةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
قال الرئيس :

حسبتُ بأنك لى خالدٌ فكان الذى لم أكن أحسبُ

يقال حسبتُهُ وحسبتُ أنه ، فلا محل للباء فى قوله (بأنك) ، وغريب أن يظن صبرى أو يحسب أن صديقه بنجوق من الموت فلعله أراد أن يقول كما قال الأول :

لقد كنتُ أرجو أن أملاًك حقةً خال قضاء الله دون رجائيا

أو لعله نظر الى قول الشريف الرضى فى رثاء الملك قوام الدين :

وما كنت أدري أن فوقك أمراً من الدهر يدعو بغتة فتطيع

وأنجب من هذا قول المتنبي :

ألا انما كانت وفاءُ محمدٍ دليلاً على أن ليس لله غالبُ

قال صبرى :

أفى ذا الشبابِ وهذا الالهَابِ يموت الفتى الطاهرُ الطيبُ ؟

ويؤدى الذكاء ، ويقضى الوفاء وزدى الفضيلة أو تعطبُ ؟

عجيبٌ من الموت أفعاله وعتي على فعله أعجبُ
 بهذا حكم الله في خلقه لكل امرئ أجلٌ يُكتبُ
 ينفجع الرئيس لموت الفقيد في شبابه ، ويبكى فيه الذكاء والوفاء والفضيلة ،
 وما هي بشيء آخر فيكون لنا من ذكرها صورة جديدة قائمة بذاتها ، فأما في
 المعنى الأول فيقول أبو تمام :

إنَّ الفجیعة بالریاض نواضراً لأشدُّ منها بالریاض ذوابلاً
 ويقول الشريف الرضي :

طويتك طىَّ البرْدِ لم يُنضَ من بیکِ وقد يُغمدُ المطرورُ وهو صنيعُ
 ولسنا نتكلف إيراد الشواهد على كثرة ما قيل في الباب الثاني ، فهو كل ما يقال
 في الرثاء ، فأما قوله في البيت الثالث إنه يعجب من (أفعال) الموت ، ويرى أن
 عتبه عل (عليه) أعجب ، فأنت أذكي من أن ندلك على ما في (أفعاله وفعله) من
 العجب ، والمعنى مأخوذ من قول الفطش الضبي :

أَخْلَئِيْ لو غير الحماهِ أَصَابِكُمْ عَتَبْتُ ، ولكن ما على الموت مَعْتَبُ
 بهذا حكم الله في خلقه لكل امرئ أجلٌ يُكتبُ
 صدق صبري وصدق الشيخ أبو العتاهية إذ يقول (وإن لكل ذي أجل كتاباً)
 وإذ يقول :

كلُّ نفسٍ ستوافي سعيها ولها ميقاتٌ يومٍ قد وجبُ
 ولم تضنَّ على الخنساء بالتحية وقد قالت :
 أبكى فتى الحى نالته منيته وكلُّ نفسٍ إلى وقتٍ ومقدارٍ
 إرعوى الرئيس بعد طول التفجع إلى حكم الله وسنة الحياة فأشبهه مسلم بن الوليد
 إذ يقول في يزيد بن مزيد :

أحقاً انه أودى يزيدُ ؟ تأمل أيها الناعي المشيدُ
 أحامى المجد والاسلام أودى فما للأرض وبحك لا تيمدُ ؟
 أما والله ما تنفكُ عيني عليك بدمعها أبداً تجودُ

أبعد يزيد تختزنُ البواكي دموعاً ، أو تصان لها خدودُ ؟
 لتبلك قبة الاسلام لما وهت أطنابها ، وهوَى العمودُ
 فإن بهلك يزيدُ ؛ فكلُّ حيٍّ فريسٌ للمنيعة ، أو طريدُ
 قال صبري :
 وجدتُ الحياة طريق المات وكلُّ الى حتفه يسربُ
 ويعثرُ فيه الفتى بالشباب ويدلفُ بالعله الأشيبُ
 فأما ان الحياة طريق المات ، فقد قال السؤال :
 ميتاً خلقتُ ، ولم أكن من قبلها شيئاً يموتُ ، فتُ حين حييتُ
 وقال الشريف الرضى :
 بقاء الفتى مستأنفٌ من فنائه وما الحىُّ الا كالمغيَّب في الرسمِ
 وأشد من هذا ابانة عن المعنى قول البحري :
 أجازتنا من يجتمع يتفرَّق ومن يك رهناً للجوارح يغلق
 وأوضح منه قول المعري :
 إن شئت أن تكفى الحام ، فلاتمش إن الحياة الى المنية سلَّم
 بل نحن ندع هذا السلم لنلتقى وشاعرنا الكبير في طريق واحد ، قال المعري
 مخاطب الدنيا :
 وجدناك الطريق الى المنايا وقد طال المدى ، فتى نجوزُ ؟
 وأما موت الشباب ، وبقاء الشيب فكثير ما قيل فيه ومنه :
 يرجو الأبُ الطفل الصغيرَ وطالما هلك الوليدُ ، وعاش فينا الوالدُ
 وقال بعضهم :
 كم عُوِجت عادةً كعابٌ وغودرت أمها العجوزُ
 والأصل في هذا الباب قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :
 رأيتُ المنايا خبطَ عشواء من تُصبُ نمتُه ، ومن نخطىَ يعمُرُ فيهرمُ
 قال صبري :
 لكما تكامل نورُ الأمين وتاه به الشرق والمغربُ

ووفى المكارم ما أمّلت وأعطى الفضائل ما تطلب
 ودان له أمل في الحياة وتم له في العلى مأرب
 طواه الردى علماً فانطوى به أمل مقبل نرب ؟
 عاد الشاعر الى التفجع بعد ذلك الارعواء ، وفي هذه القطعة تقليد ناطق لقول
 أبى تمام في أحمد بن هارون القرشى :

أفلمّا تمزّبل المجد واجتا ب من الحد أيما محتاب
 وتراءته أعين الناظر به قرأ باهراً وربّال غاب
 وعلى عارضيه ماء الندى الجا رى زوماً الحجي وماء الشباب
 أرسلت نحوه المنية عيناً قطعت منه أوثق الأسباب ؟
 قال صبرى :

فيا نائياً والهوى ما نأى وذكره في البال لا تمزب
 هنيئاً لداره تيمّمها لقد زارها الملك الأطيب
 وجاورها كوثر من خلائك خلّو مع الخلد مستعذب
 تنعمت فيها ، وخلصيتى لدى منزل يرفقه خلّب
 وداد الصديق به حوّل وقلب الصديق به قلب
 وصعب على الحرّ فيه المقام ولكن هجرانه أصعب

نأى أمين فكرى ، وما نأى هواء عن صبرى ولا عزبت ذكراه عن باله ولوشئنا
 أن نسوق اليك أسراباً متلاحقة من أشباه هذه الصورة ونظائرها لفعلنا ، فحبك
 منها قول أبى تمام :

لها منزل تحت الثرى وعهدتها لها منزل بين الجوائح والقلب
 وقوله (قالوا وشوقك لم يظمن ولم يبن) وقول الشريف الرضى :

شوق أقام وأنت غير مقيمة والشوق بالكيف المعنى أعلق

فأما قول صبرى (هنيئاً لداره تيمّمها) فلا طائل تحته وهو معنى من قول
 أبى تمام :

بات الثرى بأخي جذلان مبنهجا وَيَتُ بِحَكْمُ فِي أَجْفَانِي السُّهُدُ
وانك لفي غَيِّ عن إيدانك بما في البيت الثالث من الاضطراب وشدة القلق ،
وأما قوله (تَنَعَّمَتْ فِيهَا وَخَلَّفْتَنِي ، إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ) فمن الصَّوَرِ الَّتِي تَنَاوَلَهَا
الشریف الرضی فی قوله :

يفوز بالراحة الفقيدُ وللفا قدر طولُ العناء والتعب
تخطي البيت الخامس الى ما بعده ، وهو الذي يقول صبري فيه إن الحياة في
هذه الدنيا ثقيلة على الحرِّ ، ولكن الموت عليه أُنْقَل ، وهذا وصفٌ عامٌّ يَتِمُّشَّى
على الناس كافةً ، فلا معنى هنا للتخصيص والحصر ، (تعبٌ كل الحياة ...) . قال
عمران بن حطَّان في الدنيا :

أرى أشقياء الناس لا ينامونها على أنهم فيها عُرَاءٌ وَجُوعٌ أ
لا ، فلك قضية لا تُؤخذ إلا من فم المعرِّي ، ومنه أخذ صبري ، قال :
وجدنا أذى الدنيا للذيذا كأنما جَنَى النحل أصنافُ الشقاء الذي نجى
فما رغبت في الموت كدَرُ مسيرها إلى الورْدِ خمسٌ ثم يشر بن من أجنـ
ولا فلقات الليل باتت كأنها من الأئین والادلاج بعض الفنا الدنـ
وخوف الردي آوى إلى الكهف أهله وعلم نوحاً وابنه عمل السفنـ
قال صبري :

ويا تربة حلَّ فيها الأمينُ لأنت الفراديسُ أو أخصبُ
حُيِّسَتْ على رحمتِ الرحيمِ وجادك رضوانهُ الصَّيِّبُ
ولا زالت السحبُ منهلةً وأنت لا ذيلها مَسْحَبُ
وَرَوَّكَ مِنِّي دموعٌ تسيلُ تخامرها مُهَجٌ تسكبُ
ليس في تشبيه القبر بالروضة شيء جديد ، فالمرأى حافلة بهذا ومنه قول الشريف
الرضي :

وان ضرائحك في الصعيد لتكسو الخبيث من الأرض طيبا
وقوله في قبر ابن الطائع لله ، وفيه صورة أخرى ولونٌ مزيدٌ :
منهلُ الجناتِ تضحك أرضه فكان بين فروعها الجوزاء

ويقول أبو تمام :

مضى طاهر الأثواب ، لم تبق روضة
غداة ثوى الا اشتت أنها قبراً
والغاية في هذا الباب قول المتنبي :

وما ربحُ الرياض لها ، ولكن كساها دفنهم في الأرض طيباً

يدعو صبرى لربة الأمين بسقيا السحب ، فمن يصدق أن هذا من قوله ؟ وماذا تصنع السحب بالقبور ؟ ياله من تقليد جاهلى لا يكاد يرحم الأدب ، ولا أدري كيف تقيد الشريف الرضى في القرن الخامس من التأريخ المهجرى بهذا المذهب فاكتر من طلب السقيا للقبور ، ومنه قوله :

سقاك وإن كنت في شاغل
عن الرى داني الندى صائب
وقوله :

أخلأى لا زال جمُّ البروق
أجشُّ الرعود يطبعُ الجنوبا
يشقُّ المزادَ على مُربكم
ويمرى على كلِّ قبرٍ ذنوبا
وقوله :

أرمنى النسيمُ بواديكم ، ولا برحت
حواملُ الزن في أجداثكم تضعُ

بقي أن نحكم حكماً عاماً على هذه القصيدة فنقول في غير مداراة ولا مصانعة إنها ليست من الشعر المأثور ، وإنها قصيرة العمر قريبة مدى البقاء في عالم الأدب الحى ، ومن عيوبها أنها لا تعطى القارئ صورة واضحة عن الفقيده ، فهي مأتم يفزعك ما تسمع فيه من شدة الصخب والضجيج ، ولكنك لا تعرف عن الميت الا انه صديق عزيز ، وانه كان ذكياً وفيئاً ، تكامل نوره ، فتاه به الشرق والغرب ، وقى المكارم حقها وأعطى الفضائل طلبتها ، كان عالماً فأنطوى ، وانطوى فيه أمل : هذا هو أمين فكرى في قصيدة الرئيس . وقد يُردّ كل ما عزى اليه من الفضائل في ظلمة هذا الغموض الى المبالغات الشعرية فلا يبقى الا انه صديق عزيز وأخ للشاعر كريم ، وما أشجى ما يقول الشريف الرضى في فقد الاخوان والاصدقاء :

أحبابى الأدين كم ألتى بكم
دائمٌ يمضُ فلا أدأوى الداء
إلا يكن جسدى اصيب ، فانى
فرقتُهُ ، فدفنتهُ أعضاءا

مذنب هالي

مزع العالم كله لما كان يُتوقع من جسام الحوادث حين زعم المهوّلون المزاعم عن هذا المذنب العظيم فلم يكن عجباً أن يتناول صبرى باشا هذا الحادث الكبير فيخلّد ذكره في قصيدة من شعره الجزل . وأنا لبسبيل هذه القصيدة التي تُرينا صبرى الشاعر الكبير ، وصبرى العالم الفيلسوف ، وصبرى الزعيم الداعية ، وصبرى الحائق المتغيّظ ، وانك لترى صبرى الأخير في هذه القصيدة وقد اتّقدت عيناه ناراً ، وتدقّ الغضب من فمه متدافعاً زخاراً ، فتذكر به نوحاً وقوله : (ربّ لا تذّر على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً) .

يغضب صبرى في هذه القصيدة غضبته الكبرى ، لا مُتجنباً على العالم وناسه ، ويستنزل الموت والعذاب على هذه الأرض لا لقسوة في طبعه ، ولا لشراسة في احساسه ، ولكنه رأى الأمم تتخذ من أهوائها الظالمة وشهواتها الوحشية الدينيّة أو ثنائاً تعبدها ، وأصناماً تعكف عليها ، ووجد مظالم البشر ومناكرهم تُنقل ظهر الأرض وتعلأ جوانب العالم ، فلا حنان ولا حُب ولا نور ولا جمال ، وهذا ما يصفه في قصيدته ، قال :

غاض ماء الحياء من كل وجه	ففدا كالح الجوانب قفرا
وتفشّى العقوق في الناس حتى	كاد ردّ السلام يُحسب برا
أوجه مثل ما نثرت على الأجر	دات وزدا إن هنّ أبدين بشرا
وشفاه يقلن أهلاً ولو أدبر	ن ما في الحشا لما قلن خيرا
عمرّك الله هل سلام ودا	ذاك ، أم حاول المسلم أمرا ؟
جميت عن طريقها أم تعامت	أمم في مفاوز الجهل حيرى ؟
غرّها سعدوها ومن طاعة السف	د يؤتاني يوماً ويخذل دهر
فتجنت على الشعوب وشنّت	غارة في البلاد من بعد اخرى
نسيت في الصعود يوم التّدلى	والتّدلى بصاعد الجدد مُغرّى
تعب الفيلسوف في الناس عصراً	وتولّى السّرائر الدين عصرا

والورى طاردٌ ازاء طريد
عبرٌ كلها الليالى ، ولكن
أنت نعم النذيرُ يا نجم هالى
ظنَّ قومٌ فيك الظنون وقالوا
إن يكن فى يمينك الموت فافذرف
أغداً تستوى الانوفُ فلا ينز
أغداً يصبحُ الصراعُ عناقاً
إن يكن كل ما يقولون ، فاصدع
وَعُقَابٌ يُسمى يطاردُ صقرا
أين من يفتح الكتاب ويقرا ؟
زُلزل السَّهْلَ والرواسى ذعرا
آيةٌ ارسلت الى الأرض كُبرى
هُ شواطئاً على الخلائق طراً
ظُرُّ قومٌ قوماً على الأرض شزرا ؟
فى الهوى ، وَيَصْبِحُ العبدُ حرّاً ؟
بالذى قد أمرت حيث عسرا !

ظهر صبرى فى مواضع كثيرة من هذه القصيدة التى بقيت منها أبيات أخر لم
تتناولها ظهوراً واضح الأثر ، ناطق الدلالة . ولسنا نزع أن قضى حاجة الفن كل
القضاء ، وأتى من سعة التصوير ودقة الوصف بكل ما يتطلبه الأديب ، فقد كف
نفسه عن كثير من أطماعها الفنية ، وقنع بالزر اليسير من تمثيل آلام الانسانية
شأنها ، فلو ما اشتملت عليه القصيدة من جودة النظم ، ولولا ما وعنت من
الحكمة وبراعة الوصف فى ~~الاشراق منها~~ ، لفقدت جمالها ، ووقعت
فى مكان آخر غير مكانها ، وقد يكون هذا حكمها لو لم ~~تجى~~ للمسبة المحملة
فقد عرفنا أن صبرى يعيا بالمطولات ولا يستطيعها ، وليس لما أكره عليه الطبع
من جمال .

لم تخل هذه القصيدة من عيوب فنية ، يتمثل بعضها فى الرجوع الى الشعر القديم
والاستعانة به على تأدية بعض الأغراض ، ويقوم بعضها الآخر فى اغفال ما لا
منه لاصابة الوجه واقامة المذهب . فمن الباب الأول قوله :

غاض ماء الحياء من كُلِّ وجه
فقد كالح الجوانب قفرا
وقد تداول الشعراء ماء الحياة فى حالتيه فهو يفيض على ألسنتهم تارة ويغيب
تارة أخرى ، وكذلك هم قد تناولوا خصب الوجوه وجديها ، فأطالوا فى ذلك
وأكثرُوا . فما قالوا فى ماء الحياة :

كثيرُ حياءِ الوجهِ يقطرُ ماءهُ
على أنه من بأسه النارُ تلتفحُ !

ومن قولهم فى الوجوه الخصبية وهو للخزيمى :

وما الخصبُ للضياف أن يكثر القرى ولكنما وجهُ الكريم خصبُ

وقال ابن أبي الهيثم في تقيض هذا المعنى :

لي صديقٌ هو عندي عَوَزٌ من سدادٍ ، لا سَدَادٌ من عَوَزٍ

وجهه يُذكرني دارَ البلى كلما أقبل نحوى وَضَمَزُ

ومن هذا قول الآخر :

لا يعملُ المِبْرَدُ في وجهه وَوجهه يعملُ في المِبْرَدِ !

ومن قول صبرى في باب الرجوع الى القديم :

وتفشَّى العقوق في الناس حتى كاد رَدُّ السلام يُحسبُ برًّا !

فان ذلك قول ابن عمار :

تناهيتمو في برنا لو سمحتمو بوجه صديق في اللقاء وسيم

ويقول صبرى .

وَشِفَاهُ يَقلَنَ أَهْلًا ولو أَذِيٌّ . . . نَ ما في الحشا لما قلَنَ خيراً !

وهو من قبيل قولهم :

يقولون لي أهلاً وسهلاً ومرحاً و حروا بي ساعة قتلوني !

والله من قوله (خيراً) في هذا البيت من عيوب القافية ، وقد تكرر هذا

العيب في قوله :

صَحِيَّتٌ عن طريقها ، أم نعامتٌ أممٌ في مفاوزِ الجهل حيرى ؟

وقوله (مفاوز الجهل) في هذا البيت لا يخلو من مطعن ، ففي اللغة على وجه

راجح ان المفازة صفة عكسية للفلاة المهلكة يُراد بها التفاضل بالنجاة ، وليس المقام

بمحتمل هذا ، و مَرَدُّ الأمر الى فقه اللغة وأدبها ، ومن التعسف اللغوى قوله :

غرَّها سعدُها ، ومن عادة السَّعْدِ دِرٍ يُوأتى يوماً ويخذل دهرًا

يقال من عادته أن يفعل كذا ، فلا وجه لاسقاط (أن) . قال الشاعر :

أَعَادَتْهَا أن لا يعاد مريضُها وَسيرتُها أن لا يُفكَّ أسيرُها !

والمواتة لُغَةٌ الموافقة ، فما هي للخذلان بضدِّه ، والمعنى في هذا البيت وقوله :

فسيَّتٌ في الصعود يوم التذلى والتذلى بصاعد الحدِّ مُغرَى

مأخوذ من قول الشاعر :

ما طار طيرٌ وارتفع
إلا كما طارَ وقع

ومن قول الآخر :

لا يَأْمَنُ قوًى نَقَضَ مِرْنَه
إني أرى الدهرَ ذا نقضٍ وإمرارٍ

ومن الخلل الوصفى قوله (والورى طارد إزاء طريد) فالوجه أن يقال وراء
لتستقيم الصورة ، وفي هذا المعنى يقول الشريف الرضى :

والناسُ أَسَدٌ تَحَامَى عن فرائسها
إمّا عقرتْ ، وإما كنتَ معقورا
وللمعري في الناس :

هُمُ السَّبَاعُ إِذَا عَنَّتْ فرائسها
فإن دعوتَ خيرَ حَوْلُوا مُحَرًّا
وله :

إذا أنتَ لم تهرب من الألسِ ، فاعترفْ
بطُلُسٍ تعاوى ، أو ثعلبَ تَضِجُ
وقال :

والعيشُ حربٌ ، لم يَضْعُ أوزارَها
إلا الحِمَامُ ، وكلُّنا أوزارُ
فأما قول صبرى :

عَبَرَتْ كُلُّهَا الحَيَاةُ ، ولكن
أينَ من يَفْتَحُ الكِتَابَ ويقرأ ؟
فن الصور القديمة التى يراها الأديبُ كداساً متراكمة فى أفنية المدرسة
الشعرية الأولى ، قال عدى بن زيد :

كنى زاجراً للمرء أيامُ دهره
تروحُ عليه بالعظا تِ وتفتدى
وقال المعري :

إفهمْ عن الأيامِ ، فهى نواطقٌ
ما زال يضربُ صَرَفُها الأمثالا
وقال :

والدَّهْرُ شاعرٌ آفَاتِ يَنوهُ بها
للناسِ ، يَفكرُ أحياناً ويرنجلُ
ومن قوله فى هذا الباب :

أو ما قرأتَ سَجَلَ دهرِكَ ناطقاً
بالهَلِكِ ، يَشْكُلُ بالخطوبِ ويُنْقَطُ ؟
وقال أبو العتاهية :

إِنَّ الزَّمانَ لَشاعِرٌ وَخطيبٌ

قال صبرى :

إِنْ يَكُنْ فِي بَيْتِكَ الْمَوْتُ فَأَقْذِفْهُ شَوْاطِلًا عَلَى الْخَلَائِقِ طُرًّا
أَعْدًا تَسْتَوِي الْأَنْوْفُ فَلَا يَنْظُرُ قَوْمٌ قَوْمًا عَلَى الْأَرْضِ شِزْرًا ؟

كان الخطر المتوقع من ذنب نجم هالى ، فلا معنى لذكر بيمينه أو شماله ، وليس في البيت الثانى أكثر مما قيل قديماً :

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى الْقُبُورِ فَمَا مَيَّزْتُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْمَوْلَى
وَمِثْلَهُ قَوْلُ الْمُعَرِّى :

وَالْمَوْتُ يُسَلِّبُ مَا فِي الْأَنْفِ مِنْ شَمَمٍ تَحْتَ التُّرَابِ ، وَمَا فِي الْخَدِّ مِنْ صَعْرٍ
وَقَالَ الشَّرِيفُ الرُّضَيْىُّ فِي الْمَوْتِ :

نَزَلُوا بِقَارِعَةٍ تَشَابَهَ عِنْدَهَا ذُلُّ الْعَبْدِ ، وَعِزَّةُ الْأَحْرَارِ
وَمِنْ الصُّوَرِ الرَّائِعَةِ فِي قَوْلِ صَبْرِى فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

تَعَبَ الْفَيْلَسُوفُ فِي النَّاسِ عَصْرًا وَتَوَلَّى السَّرَائِرَ الدِّينُ عَصْرًا

ولكنك اذا عرضت هذه القضية الضخمة على عقلك وأنت تنظر الى تأريخ البشر وأديانهم وفلسفاتهم لم تجد لها من أثر أمام الحقيقة ، فان الانسان الأول لم يهبط الى هذه الأرض الاّ ورسالة الدين في عنقه ، فالولاية العامة إذاً على هؤلاء البشر لم تكن لشيء آخر سوى الدين فى أى عصر من العصور ، ولا يطعن فى ذلك ماكان من تلك الفترات التى تخللت بحجى الرسل والانبياء عليهم السلام ، ولست بمنكر عمل الفلاسفة وأثر الفلاسفة فى حياة الأمم ولكنى أنكر تلك الصورة المحرفة التى توهم التعاقب فى الولاية بين الفلسفة والدين ، وهو ما لا وجود له . وأبدع ما فى هذه القصيدة قوله :

أَوْجُهُ مِثْلَهَا نَثَرَتْ عَلَى الْأَجْ . . . دَاءٍ وَإِنْ هُنَّ أَبْدِينَ بَشَرًا !

وقوله :

أَعْدًا يَصْبَحُ الصَّرَاعُ عِنَاقًا فِي الْهَيُولَى ، وَيَصْبَحُ الْعَبْدُ حُرًّا !

وأنا أرجو أن تكون الصورة التشبيهية فى البيت الأول من مبتكرات صبرى .

ولعل قوله في البيت الثاني (ويصبح العبد حراً) مما يدخل في باب الملحقات التي لا صلة بينها وبين ما هي اليه من الكلام ، وقد اندمج هذا المعنى في قوله (أغدأ تستوى الأنوف ، الى آخره) فلم يبق له من محل ، وقد كان من حق هذا البيت البديع الذي يعدّ من الشعر العلمي ، وهو قليل في آثارنا الشعرية ، أن يأخذ مجراه على هذا النسق الى النهاية ، ولكن عين الكمال كما يقول الأقدمون أصابت شاعرنا فأنتمت بهذه الرقعة التي حجت وراءها جمالاً كثيراً ، وانك حين تتخيل هذا الصراع البشري العنيف وقد استحال بعد الموت وآثاره غناقاً وضماً والتزاماً بين بقايا البشرية وأنقاضها ، أو بين مادتها المنحلة وجوهرها الذائب المتناثر ، إنك حين تتخيل هذه الصورة الرائعة لتريد أن تلتهمها كاملة ، وانك لتراها ناقصة في البيت ، والكمال لله وحده ، فاعذر صبري ، وانظر ما يقول المعري في المرتبة الأولى من مراتب هذا الغناق وهو يصف المنايا وأحداثها :

فكم قارئ من رأسه برجله وكم ألحقن من قدمه برأسه !

قصيرته في ترثيته السلطان مسين

ليس لهذه القصيدة من شأن يذكر ، ولعل هذا لأنها نظمت لضرورة سياسية ، ونحن نر بهذه القصيدة لماماً . قال في مطلعها :

اليوم أنّ لشاكره أنّ يجهر بالشكر ، مرتفع العقيرة في الوري ومنها :

هذا ابنُ اسماعيل : نجم طالع هداية الساري ، غي على السرى وقد ختمها بقوله :

حالٌ اذا نظر الأدب جاهلاً . شكر الاله ، وحقه أن يشكرا في البيت الأول اضطراب ظاهر ، وفي الثاني معنى مكرر من أشعار المتقدمين ، ومنه قول كعب الأشعري في آل المهلب :

نجومٌ يهتدى بهموا اذا ما أخو الغمرات في الظلمات حارا فأما البيت الثالث فشبهه بقول البهاء زهير في الأمير مجد الدين محمد بن اسماعيل :

وغفرتُ ذنبَ الدهر يومَ لقائه وشكرتهُ ، وبحقِّ لي أن أشكرا
وأحسن ما في هذه القصيدة قوله :

والنيل لم يبرح على العهد الذي أخذته قبلُ عليه ناضرةُ القرى
منهادياً بين البقاع ، مناجياً أرجاءها بالخصب يكتنفُ الثرى

لو أنه اطلول المنازل تنطق

هذه هي القصيدة الرنانة التي احتلت مكاناً رفيعاً ومنزلةً ساميةً في مملكة الشعر وكانت لصبرى آية ناطقة وحجة ناهضة على أنه من مهرة الشعراء وجهابنتهم ، وهي محلاة بالكثير من بدائع الفن ومحاسنه . وقد انبسطت فيها نفسه وتدفق طبعه ، على غير عادته في المطولات فظهرت فيها قوة الباعث ونشاط الروح الشعرى وجاءت من الماثورات التي تستطيع الاحتفاظ بمجدها وحرارتها مدة طويلة . وفي معتقدنا أن هذا النشاط المتجدد في القصيدة مردود الى تجدد الأغراض وترادفها فقد اشتملت على سبعة وثلاثين بيتاً : منها خمسة في ذكر الاطلال والمنازل ومناجاة الأحباب والشكوى من الفراق ، وأربعة في عيد الفداء وسدة الملك وما ينتظم في هذا السلك ، واثنا عشر بيتاً في مدح الامير وذكر الشورى ونحو ذلك ، وثلاثة عشر في فاجعة دنشواى وآثارها ، وثلاثة وهي ختام القصيدة في مدح العباس والدعاء له . هذا ما نعتقده ولعلنا فيه على صواب .

قال صبرى في هذه القصيدة :

لو أنَّ اطلال المنازل تنطقُ ما ارتدَّ حرَّانَ الجوانح شيقُ

لا ننكر على صبرى ذكر الاطلال إنكار من يرى أن هذا يعد من مهجورات الزمن القديم والحياة الاولى فان للشاعر أن يتناول كل شيء ، وليست اطلال الديار وذكرى الأحباب مما يدخل في ذلك الباب فما تزال يد الزمن تغفو الآثار وتبلى الجديد .

لا ننكر هذا على صبرى ولا سواء من شعراء عصرنا ، بل نحن نرى أن يكون وصف الطلل من الصور الفنية التي ينبغي لكبار الشعراء أن يتناولوها ، ويتباروا فيها ، ولكن لا على تلك الطريقة القديمة التي لا تتعدى ذكر القدم ووصف البلى

ذلك الوصف الجاف الذي لا يفيد من الوجهة الفنية ولا يغنى ، وهذا موضع العيب في قصيدة صبرى ، وثم موضع آخر مُقَدَّمٌ على هذا ، وهو فساد الذوق وسوء الاستعمال ، فإن كل مقام لا يحتمل ولا يقبل إلا ما يناسبه من الصور والألوان ، وصبرى في هذه القصيدة بسبيل النهضة وفي مقامها ، فليس من أدب الفن ونظامه أن يبدأها بتلك الصورة المحزنة ، ولا أن يلطخ وجهها بمثل ذلك اللون القاتم ، واليك أمثلة من الشعر القديم تريك تقليد صبرى في ذكر الاطلاع واضحاً ، وتدلّك على قصوره وضعف قوّته حتى في هذا التقليد . قال امرؤ القيس :

رقفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان - ورسم غفت آياته مُنْذُ أزمان -
أتت حججٌ بعدى عليها فأصبحت - كخط زبور في مصاحف رهبان -
ذكرتُ بها الحىّ الجميعَ فهبجتُ - عقابيل سُقم من ضمير ، وأشجان -
فسحت دموعى في الرداء كأنها - كلّى من شعيب ذات سُحّ وتهان -

وصف امرؤ القيس الاطلاع في هذه الأبيات فشبهها في دورها وخفاء معالمها بأساطير الكتب القديمة ، وذكر ما أصابه وهو يقف فيها فيراها مُقفرة من ساكنها ، وهو إذ تغلبه الذكرى على صبره في هذا الموقف فيسكى ، يصوّر لك كيف بكى ، ويصف دموعه وهى تجري سحّاً على رداثه ، فيقول لها إنها كانت كالماء يتدفق من الرقعة الواهية في السقاء البالى ، وهذه صورة تشبيّه أخرى ، لها شأنها في باب التصوير الفنى ولها مكانها ، قال زهير بن سلمى :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم - بحومانة الدراج فالتنم -
ودار لها بالرتين كأنها - مراجع وشم في نواشر معصم -
بها العين والآرام يمشين خلفه - وأطلاؤها ينهضن من كل نجم -
وقفتُ بها من بعد عشرين حجة - فلا يآعرفتُ الدارَ بعد توهم -
فلما عرفتُ الدارَ قلتُ ربعها : - ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم -

هذا وما قبله من الشعر الوصفى الذى يزيد في ثروة الفنّ وبوسع أفقه ، ومما يُنسب الى عنتره . وفي البيت الثانى موضع كبير للشك لبعد العرب عما يُرى فيه من آثار الصناعة :

لمن طللٌ بالرتين شجاني وعانت به أيدي البلى فحكاني
وقفتُ به ، والشوق يكتب أسطراً بأقلامٍ دمي في رسوم جناني
كان هذا شأن القوم في العصر الأول ، وقد بقي لهذا المذهب أثره حتى في
العصر الأموي الذي ألبس الشعر ثوباً جديداً من الحضارة . وهذا ما يقوله
الأخطل :

لمن الديارُ بحايلٍ فوُعالِـ درستُ وغيرُها سنونَ خوالِـ
درَجَ البوارحُ فوقها فتسكَّرتُـ بعد الأنيـسِـ معارفُ الأطلالِـ
فكأنما هي من تقادم عهدِها ورقٌ نُشِرن من الكتابِ بوالِـ
دارُ تبدلت النعامَ بأهلِها وصُورَ كلِّ ملعٍ ذبَّالِـ
أما جرير فيقول :

ما للمنازل لا يُجِبْنَ حزيناً أصممن أم قدُمَ المدى فبلينا ؟
على أن جريراً خيراً من الأخطل ، فقد أخرج نفسه وفنه من هذا المضيق بعض
الشيء فقال :

حَيَّ الديارَ كوحى الكاف والميمـ ما حَظُّكَ اليوم منها غيرُ تسليمـ
بل هو قد استحدث للشعر لغةً جديدة في وصف الديار ، فانظر الى البيت الثاني
من قوله :

لمن الديارُ كأنها لم تُحَلَلِـ بين الكناسِ وبين طلحِ الأعزلِ ؟
ولقد أرى بك ، والجديدُ الى بلى مَوْتَ الهوى وشفاء عين المجتلى
ليس هذا هو التجديد بعينه ولكنه المهمُّ به والزروع اليه ، فدعني أنتقل بك
الى العصر العباسي لأريك ما جدّد الحسن بن هاني وأبو تمام والبحرّي في هذا
الباب . قال الأول :

لمن دمنٌ تزدادُ حُسنَ رسومِـ على طول ما أقوت ، رطيبَ نسيمِـ ؟
أترى لو أن صبري إذ لم يجد من ذكر الاطلال بدأ قال مثل هذا في مطلع قصيدته
أكنت تصيبه بكثير من اللوم ؟ ان الصديق أبا نواس قد خلع على الاطلال من هذا

الوصف الشائق ما تشتهي الرياض الضاحكة أن يكون لها ، وانك لذو بصر وفطنة ،
واليك ما يقوله في قصيدة أخرى :

ألا أرى مثلي امترى اليوم في رسم تُفصّر به عيني ويلفظه وهمي
أنت صَوْرُ الأشياء بيني وبينه فظني كلا ظنّ ، وعلى كلا علم
ان في هذا اللوناً جديداً من ألوان الفن النواصيّ البديع ، وانه للتجديد بعينه ،
وهذا أبو تمام وفنه ، قال :

من سجايا الطلول أن لا نجيبا فصوابٌ من مقلتي أن تصوبا
فأسألها ، واجعل بكاك جواباً نجد الدمع سائلاً ومجيباً
قد عهدنا الرسوم ، وهي عكاظ للصبي زدهيك حسناً وطيباً
أكثر الأرض زائراً ومزوراً وصعوداً من الهوى وصوباً
هكذا يقول حبيب في الطلول وسجايها وسؤالها وجواب سائلها ،
وهكذا يصوّر أيامها الأولى وحياتها البائدة فتراه وكأنما هو يصف لك دولة كانت
بالأمس في أوج مجدها وسؤدها ، ثم عصفت بها حوادث الزمن فلم تترك منها
سوى آثار طامسة ، ورسوم صماء ، وان أبا تمام لشاعر خصب الفكر غني البيان ،
وهذا صوت آخر له ، قال :

على مثلها من أربعم وملاعب أذيلت مصونات الدُموع السواكب
أמידان لهوى من أتاح لك البلى فأصبحت ميدان الصبّا والجنايب
أصابتك أبكار الخطوب فشنت هوأيّ بأبكار الأطباء الكواعب

صورة جديدة لا شك فيها ، ومع أنا لسنا من أنصار البديع في الشعر فإنّ براعة
الشاعر في هذه الصورة تكاد تشغلنا عنه وعن رأينا فيه ، ومعنى هذا أنّ ما ورد فيها
من أنواع البديع قد جاء متمكناً ، ووقع هادئاً مستقراً ، حتى لقد يضيّق بنا المذهب
إذا زعمنا أنّ الشاعر أراد أو قصد اليه وإن كان هذا هو الشأن ، فإنّ أبا تمام مولع
بهذا المذهب الذي وضع مسلم بن الوليد أساسه في الشعر العربي وجرى فيه أبو تمام
على أثره ، حتى لقد قال بعض النقاد من الأقدمين إنّ أبا تمام يُغرم بالبديع
فيدفعه إلى المحال ، وقد يكون قوله (أبكار الخطوب) من هذا النوع عندهم ولكني
لا أرى فيه شيئاً :

يا منزلاً أعنقت فيه الجنوبُ على رسمٍ مُحمّلٍ وشعبٍ غيرٍ مُملنمٍ
 هُرمّت بعدى ، والرَّبْعُ الذى أفلت منه بُدُورُكَ مَعذُورٌ على الهرمِ
 عهدى بِمَعْنَاكَ حَسَنَ المعالمِ من حَسَانَةِ الجيدِ والبُردى والعَمِ

* * *

يا موسمَ اللذاتِ غالتك النوى بعدى ، فربّك للصباةِ موسمٌ
 ولقد أدركَ من الكواعبِ كاسياً فاليومَ أنتَ من الكواعبِ مُحرّمٌ

* * *

أدارَ البؤسَ حَبِيبَ التَّصَابِى إلى ، فصرتِ جَنَاتِ النعيمِ
 لئن أصبحتَ ميدانَ السَّوَابِى لقد أصبحتُ ميدانَ الهمومِ
 أظنُّ الدَّمْعَ فى خدّى سَيُجِى رسوماً من بكائى فى الرُّسومِ

* * *

لا تُتَكَرَّنْ ملامى إن عكفتُ على رُبْعِ الحبيبِ ، فلم أعكف على وَثْنِ
 كلِّ هذه الصورِ الغُضّةِ والألوانِ الحلوةِ الملتَمعةِ لأبى تَمَامٍ ، فانظر كيف اختفت
 الطلول بما فيها من همود ووحشة خلف هذا الجمالِ الفنى وتوارت وراءه كما تتوارى
 القبور البالية وراء القصورِ الأنيقةِ والحدايقِ النضرةِ ، فأنت لا تعافها ، ولا تملّ
 النظر إليها ، وحسبنا هذا من أبى تَمَامٍ ، فالكلمة الآن للبحترى ، قال :

أرُسومُ دارِ أم سطورُ كتابِ درستَ بشاشتها على الأحقابِ ؟
 يجتازُ زائرُها بغيرِ لُبَانَةٍ ويردُّ سائلُها بغيرِ جوابِ
 علقَ البحترى بالقديمِ فى البيتِ الأوّلِ وألمّ به فى الثانى ، ولكن بديباجةٍ
 جديدةٍ ولغةٍ أخرى ، وخيرٌ من هذا قوله :

لولا تعنّفتنى ، لقلتُ المنزلُ معنىً بَيِّنُهُ يومعنى مُشكِلُ
 يا دارُ لا زالتِ رُبّاك مَجُودَةً من كلِّ غاديةٍ تُعَلُّ وتُنهَلُ
 فَهَمَّتِنا دُولُ الزمانِ وَصَرَفَتْهُ وأرَيْتِنا كيفَ الخطوبُ التَّنَزَلُ
 أصباةٌ برسومِ رامةٍ بعد ما عرفتَ معارفها الصَّبَا والشَّمَالُ ؟

حتى هذه الأبيات لا تُعدّ من الصور الفنية التي هي من حق الفن على شاعره
كبير كالبحتري ، ولعله أقرب الى الرجاء في قوله :

يادمنة جاذبتها الريحُ بهجتها تبثُ تنشرها طورا وتطويها
لا زلت في حُللٍ للغيثِ ضافيةٍ يُنيرُها البرقُ أحيانا ويُسدِّيها
تروحُ بالوابلِ الداني روائحُها على رُبوعك ، أو تغدو غواذِها
ومن الجديد في هذا الباب قوله :

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجَعَ مَا أَنْتَ قَائِلُهُ وأبدى الجوابَ الرَّبْعُ عَمَّا تَسْأَلُهُ
أَفِي ذَاكَ بُرْءٌ مِنْ جَوَى أَهْبِ الْحِشَا تَوَقَّدُهُ ، واستغزَرَ الدَّمْعُ جَائِلُهُ ؟
على أنَّ فنَّ البحتري لا يبدو لك واضحا كما نشاء إلا حيث يقول :

أَصَبَا الْأَصَائِلَ ، إِنَّ بَرْقَةَ تَهْمِدُ تشكو اختلافك بالهبوبِ السَّرمِدِ
لَا تَتَعَبِي عَوَاصِنَهَا ، إِنَّ الْهَوَى مُلْقَى عَلَى تِلْكَ الرُّسُومِ الْهَمْدِ
دِمْنِ مَوَاقِلُ كَالنَّجُومِ ، فَإِنْ عَفَتْ فَبَأَى نَجْمٍ فِي الصَّبَابَةِ نَهْتَدَى ؟

نستفيد من كلِّ هذا أنَّ أئمة الشعر ما برحوا على توالي العصور يعالجون هذا
المذهب ويستحدثون فيه من مختلف الصور والمعاني ما يؤدِّي رسالة الفنِّ ، ويكشف
لنا عن محاسنه ، ومن العجز البالغ المدى أن يقوم شاعر كبير كصبرى باشا فيقول
في القرن العشرين :

لَوْ أَنَّ أَطْلَالَ الْمَنَازِلِ تَنطَقُ ما ارتدَّ حَرَّانَ الْجَوَانِحِ شَيْقُ
ودع عنك قوله بعد هذا :

أَمَطَالِحَ الْأَقَارِ أَهْلُكَ أَمَرُوا فِي النَّأْيِ إِسْرَافَ الْغِنَى ، وَأَغْرَقُوا
لَوْ أَنَّهُمْ (قَدْ) أَنْصَفُوكِ (مَنَازِلًا) مَا حَازَهُمْ فِي الْكَوْنِ بَعْدَكَ مَشْرِقُ
عِزٍّ وَأُبَيْكَ ظَاهِرٌ ، وَتَقْلِيدٌ أَبْتَرَّ لَا مَعْنَى لَهُ ، وَلَا فَائِدَةٌ فِيهِ ، وَإِنَّ الْمُتَنَبِّيَ وَهُوَ
أَقْرَبُ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ عَهْدًا بَنَّا وَبِهَذَا الْعَصْرِ الَّذِي نَتَعَاطَى الْأَدَبَ فِيهِ لِيَصُوبَ إِلَيْنَا
مِنْ نَظَرَانِهِ الْجَارِحَةِ وَمَحْنٍ عَلَى عَهْدِنَا مِنَ الْقُصُورِ مَا يَسْتَفِيدُهُ كُلُّ أَدِيبٍ مِنْ قَوْلِهِ :
بَكَيْتُ يَارَبِّعُ حَتَّى كَدْتُ أَبْكِيكَا وَجَدْتُ بِي وَبِدَمْعِي فِي مَغَانِكَا
بَأَى حَكْمَ زَمَانٍ صَرَتْ مَتَّخِذًا رِيمَ الْفَلَا بَدَلًا مِنْ رِيمِ أَهْلِكَا ؟

أيام فيك شمسٌ ، ما ابتعن لنا إلا ابتعن دماً بالحظ مسفوكا

لك يا منازل في القلوب منازلٌ أقفرت أنت ، وهن منك أوائلٌ

لا تحسبوا ربكم ، ولا طلة أول حي فراقكم قتلة

فدينك من ربع ، وإن زدتنا كربا فانك كنت الشرق للشمس ، والغربا

وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا فؤادا لمرقان الرسوم ، ولا لبنا

نزلنا عن الأكوار غشى كرامة لمن بان عنه ، أن نلّم به ركبا

أثلت ، فانا أيها الطلل نبكى ، وترزم تحتنا الإبل

أو لا ، فلا عتب على طلل إن الطول مثلها ففعل

لو كنت تنطق ، قلت معتذرا : بي غير ما بك أيها الرجل

أبكاك أنك بعض من شفقوا لم أبك أنى بعض من قتلوا

إن الذين أقت وارتحلوا أيامهم لديارهم دؤل

الحسن يرحل كلما رحلوا معهم وينزل حيثما نزلوا

هذا هو المتنّي فرعون الأدب ، وجبار الشعر ، يغزو مملكة الفكر فيستبيح معاقلها وينتهب ما يريد وفوق ما يريد من ذخائرها ، فانك لتراه في كل صورة من هذه الصور خالقا مبتدعا ، يبكي الربع حتى يكاد ييكى ، ويجود بنفسه ودمه في مغانيه ، ثم يقول لك يا منازل فيجابه الفن هكذا فليكن كل قائل ، الى غير هذا من معان مولدة وطرائق هي له وحده مهيّدة ، فاذا قال صبرى :

لو أنهم (قد) أنصفوك (منازلا) ما حازهم في الكون بعدك مشرق

إذا قال صبرى هذا قال فرعوننا العظيم وجبارنا الأكبر : أن الذين ... الى آخر البيتين . قال شاعرنا :

هل عند ذاك السرب أنا بعده في الحى من آمافنا تسدق

أثر العبقرية في البيت قوله (مِنْ آمَاقِنَا نَتَدَفَّقُ) ، وصبرى من هذا الأثرين
حالتين : حالة البصر بأسرار الفن ودقائقه ، وحالة الانسكال على القديم واعادته في
لباس جديد من اللفظ المصقول والكلام المنمَّق ، وهذا نوعٌ من القوة وضرب
من الاقتدار ، ولكنه قليل الفائدة على كل حال . ولقد درج المتنبي على هذا في
طائفة غير قليلة من شعره ، فاعتصب كثيراً من الصور المعنوية الرائعة وكساها من
حسن الديباجة وجودة السبك ما يحجز أصحابها عنه فنسبت إليه وعرفت به ، وقد
أجاز هذا علماء النقد ، ولكنى لا أراه حقاً قال الشريف الرضى في معنى بيت صبرى :

لقد جلّ قدرُ الرّزء أن يبلغ البكى مَدَاهُ ، ولو أنّ القلوبَ دُمُوعُ
وقال البهاء زهير ، وهو في حدّه من المقاربة :

وأقسمُ ما ضاعت دموعى عليكم ولو أنّ رُوحى في الدُمُوع تَسِيلُ
أمّا الصورة بعينها فظاهرة في قول الشاعر :

الله في مغرمٍ حُشَّاشَتُهُ مُنْهَلَةٌ في الأدمعِ الدُّرْفِ
وقد تناول المتنبيّ هذا المعنى فقال :

أشاروا بتسليم ، فجدنا بأنفسِ تَسِيلُ مِنَ الْآمَاقِ وَالسَّمُ أَدْمُحُ
السَّمُ لغةٌ في الاسم ، وله في هذا المعنى من قصيدة أخرى :

ليس القِبابُ على الركاب ، وإنما هُنَّ الحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلامِ
ليت الذى خلق النوى جعل الحصى تخفّافهنّ مفاصلى وعظامى
متلاحظين نسحُ ماء شؤوننا حذراً من الرقباء في الأكامِ
أرواحنا انهملت وعشنا بعدها من بعد ما قطرت على الأقدامِ
وقال غيره في هذا المعنى :

ترَفَّقَ فما هذى دموعى التى ترى ولكنها نفسى تذوبُ فتقطرُ
وهذه صورة أخرى تريك شاعراً يتدفق من فمه وعينه ! وهذا الممكن هو محمد
ابن قاسم النحوى قال :

لو عاينت عيناك قَدَّفى من فمى كبدى ، ودمعى معَ دُمى مسفوحُ
لأريت مقتولاً ، ولم تر قاتلاً وعلمتْ أُنَى من فى مذبوحُ !

كبدني على صدى جرت ، والى متى أغدو أعدبُ في الهوى وأروحُ ؟
وهذه صورة عكسية للمعنى تدل على براعة صاحبها واتجاهه الى التجديد . قال :
مَلَكْتُ دموعَ العين ، ثم رددتها إلى ناظري ، فالعينُ في القلب تدمعُ !
قال صبري :

أمنازلَ الأقدارِ ، أهلكِ أسرفوا في البلى إسرافَ الغنى وأغرقوا
لو أنَّهُم قد أنصفوكِ (منازلاً) ما حازهم في الكون بعدكِ مَشْرُقُ
كثر القول في الشموس والأقدار ، وتمشَّى كذلك في هذه الكثرة الى مطالعها
ومغاربها ، فمن ذلك قول البحترى :

صدقَ الغرابُ ، لقد رأيتُ شمسَهُم بالأمس تغربُ عن جوانبِ غُربِ
ولابن هانيء :

بانوا مراعاةً ، للهوارج زفرةً ممَّا رأينَ ، ولمعطى حنينُ
لا الجؤجؤُ مشرقٌ ، ولو اكتسى زهراً ، ولا الماءُ المَعِينُ مَعِينُ
لا يبعدنَّ اذا العبيرُ له رَوى والبانُ دوحٌ والشموسُ قطينُ
وله من قصيدة أخرى :

ما للمهاري الناجياتِ كأنَّها حنَّ عليها البينُ والعدواة
يدنو منالُ يدِ المحبِّ ، وفوقها شمسُ الظهيرةِ ، خذرها الجوزاءُ
وله :

أحسب ساري الليلةِ البدرَ واحداً وفي كِلِ الأطلعانِ ثانٍ وثالثُ
وقال الأبيوردي في هذا المعنى : عشيَّة اختفتِ الأقدارُ في الكِلالِ
لله ما صنعت أيدى الركابِ بنا وله من قصيدة أخرى :

منطقُ الدارِ من رَحْلٍ عنها طالما أخرسَ الديارَ الرحيلُ
فَلَكْ أَطْلَعَ الكواكبَ صُبحاً وطلوعُ النجومِ صُبحاً أَفولُ

فأما قول صبرى أمرفوا فى النأى امراف الفنى ، فليس من الصُّور الشعرية التى يتقبَّلها الذوق الفنى بكثير أو قليل من الاستحسان ، وهذا مثلٌ من أقوال المتقدمين فى هذا الباب :

أَيْفَ النوى ، حتى كأنَّ رحيله للبين رِحْلَتُهُ إلى الأوطانِ
وقال الأبيوردي ، وفيه مزيد من ذكر الأقدار ومنازلها :

بمنازلِ القمر اقتدى فى بُعدهِ قرُّ المنازلِ بين رامةٍ والحى
وفى قوله — لو أنهم قد أنصفوك منازلًا — إكراهٌ عنيف لكلمة (قد) إذ لا محلَّ لها فى الكلام . وقد جاءت كلمة (منازل) من الزوائد الملقاة فى ذاتها ولو أحسن الشاعر الصياغة لاستغنى عن هاتين الكلمتين ، وكان له الخيار فى قوله (أنهم) ففى كذلك بما يقع فى طَرَفٍ من هذا الحكم ، وما عليك من بأس إذا قلت إنَّ الجزء الحى فى شطر البيت كله هو قوله (لو أنصفوك) وفى معنى انصاف الديار وظلمها ، وأحيائها وقتلها ، يقول المتنبى وهو مما ذكرناه له :

لا تحسبوا ربكم ولا طَلَكَةَ أوَّلَ حَيٍّ فراقكم قَتَلَهُ
وقد أخذ أبو الحسن التهامى هذا المعنى فقال :

ماتت لفقد الطاعنين ديارهم فكأنما كانوا لها أرواحا
وللأبيوردي فى هذا الباب :

متبدلينَ لوى العقيقِ من الحى انَّ التبدُّلَ للمصونِ تبدُّلٌ
قال صبرى :

عيدَ الفداء ، ألا سعدتَ بسدِّقِ أمسى يحيطُ بها الجلالُ ويحْدقُ
هلا رأيتَ بعبادين مع الملا ملكًا خلافتُهُ تَضوعُ وتعبقُ
وجعتَ من تلك الشائل طاقًا تزدانُ أيامًا بها وتُخلَقُ
ورجعتَ من نُورِ الأميرِ مزودًا حتى تعودَ وأنت زامٍ مُشرقُ

الطاقة الحزمة ، وهى هنا بحكم الفريضة طاقة الريحان ، وتُخلَقُ الرجل تطيب بالخلق ، وهو نوعٌ من الطيب السائل يخالطه ماء الزعفران ، وبين هذا وطاقة الريحان أو ما يشابهه ويدخل فى معناه بَوْنٌ بعيدٌ ، وفى قوله عن الطاقة — تزدان

أياماً بها وتخلّق — انتقاص من قدر المدوح لأن ذلك يفيد أن ما في شمائله من
النضارة والطيب لا يدوم طويلاً ، وقد يما قيل :

« يَبْلَى القميصُ وفيه عَرَفُ المندلِ »

وكل ما ذكره شاعرنا الكبير عن العيد وما يستفيدة من طيب سجايا الأمير
ونوره إنما هو من القديم المعاد ، ومما قيل في هذا الباب :

تسعى المواسمُ كلُّها لرحابه إذ لا بهاء لها بغير بهائه

ومن هذا القبيل قوله في البيت الثاني (ملكاً خلائقه تضيع وتعبق) .
وللبحتري في هذا المعنى :

العارضُ النجّاجُ في أخلاقه والروضةُ الزهراءُ في آدابه

وقال محمد بن يزيد في روضة :

كأن ما نجتنيه من زخارفها أخلاقٌ مستحسن الأُخلاق محبوب
ولبعضهم :

وما روضةٌ حلَّ الربيعُ نطقها وجرت بها الأنواء حاشية البرد

إذا حدرت فيها النعamy لنامها ثنى عطفه الخوذان والتف بالرائد

بأطيب نشرأ من خلائقه التي تمُّ برياتها على العنبر الورد

قال صبري :

أحرزت يا عباسُ كلَّ فضيلةٍ وبلغت شأواً في العلى لا يلحقُ

من ذا يجارى أخصيكت إلى مدى وهوالك سباقُ ، وعزمك أسبقُ

إحراز الفضائل ، والاستئثار بالمحامد ؛ وبلوغ الشأو الأبعد ، والأمد الأقصى ،
كل هذا مما حفلت به قصائد المديح ، وحفيت من طول ترديده ألسنة الشعراء ،
وحسبك أن بقول مهيار الديلمي :

لا أدعى لأبي العلاء فضيلةً حتى يسلمها إليه عداؤه

وما أشبه الشطر الثاني من البيت الأول بقول أبي تمام : (هيهات تطلب شأو
من لا يلحق) وفي السبق إلى الغايات يقول البحتري :

ولقد حرّيتَ الى المعالي سابقا فأخذتَ حفظَ الأولِ المتقدمِ -
وله في هذا المعنى :

طُوبَى لَأَفْصَى غَايَةٍ بَعْدَ غَايَةٍ إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ تَنَاهَى تَزِيدًا

ومن الخطأ في هذا الباب قول صبرى : (مَنْ ذَا يُجَارَى أَخْصِيكَ ؟) فإنّ الملوك لا تمدح بمنل هذا ، وأولى بهذه المجازاة أن تكون بين العدائين كالسّليك بن السّلكة ، والشنفرى وأمثالها ، فليس المجد مما يُنال بالعدو على الأقدام فيكون للأخصيين عملها فيه ا قال البحرى :

إِذَا سَوَّدْتُ دَانِي لَهُ ، مَدَّةً هُمُهُ إِلَى سَوْدِي نَائِي الْمَحَلِّ يُزَاوِلُهُ

لم يقل مدّة قدمه ، أو طار بأخصيه ، وهذا هو المتنبي يريك مجل الأخصيين من المدح . قال :

وَمَا تَنْقُمُ الْإِيَّامُ مِمَّنْ وَجُوهُهَا لِأَخْصِيهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ ؟

وله ، وفي الشطر الأول من البيت نظر :

فَبِأَيِّمَا قَدَمٍ سَعَيْتَ إِلَى الْعَلَا أَدُمُّ الْهَلَالَ لِأَخْصِيكَ حَذَا
وقال :

وَكَيْفَ لَا يُحْسَدُ امْرُؤٌ عَظُمَ لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمُ ؟

وفصل الخطاب في هذا الباب لشيخنا أبي العلاء المعرّى إذ يقول :

فَالْمُرَّةُ يَقَعْدُ بِالْمُسْكَارِمِ قَائِمًا وَيَقُومُ فِي طَلَبِ الْمَعَالَى قَاعِدًا
على أننا لا نظلم المتنبي فقد قال من قبل .

وَحَقٌّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِسًا وَيُذْرِكُ مَا لَمْ يُدْرِكُوا غَيْرَ طَالِبٍ

وَيُخَفِّدُنِي عِرَانِينَ الْمُلُوكِ ، وَإِنَّهَا لَمَنْ قَدَمِيهِ فِي أَجَلِّ الْمَرَانِبِ

بقى من البيتين قول صبرى : (وهو سبّاقٌ وعزمك أسبق) . يقول إنه إذا أراد أمراً سبق عزمه إرادته فكان ما يريد ، وهذا من المعاني المطروقة التي كثر تداولها لما فيها من غلوٍّ شديد ، وإغراق لا يستقيم في العقول ، وعندى أن هذا النوع من أكبر عيوب الشعر وأظهر مساوئه ، وقد يشفع فيه شيء واحد هو أن

يحيى في باب الوصف المطلق ، فأما في باب المدح فلا . ومن النوع المقبول عندى قول ابن هاني في وصف الخيل :

عُرِفَتْ بِسَاحَةِ سَبْقِهَا ، لَا أَنْتَهَا
وَأَجَلُ عِلْمِ الْبَرْقِ فِيهَا أَنَهَا
وقول البحترى في جواد :

جَارَى الْجِيَادَ ، فطَارَ عَنْ أَوْهَامِهَا
قال المتنبي في معنى صبرى :

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلًا مُضَارِعًا
مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ
وقال :

أَمْضَى إِرَادَتَهُ ، فَسَوْفَ لَهُ قَدْرٌ
وَأَسْتَقْرَبَ الْآفَاقِ ، فَمَنْ لَهُ هُنَا
قال صبرى :

إِنْ يُرْتَجَلُ عُرْفُ ، فَأَنْتَ إِلَى الَّذِي
لَمْ يَرْتَجِلْهُ الْمَالِكُونَ مُؤَفَّقُ

معنى قديم يظنه بعض المتأدبين أو كثير منهم من مبتكرات صبرى ، أو أن الأصل فيه قول شوقي في بعض منشوراته : (فارتجل نظرة في السماء) ، وليس كذلك . قال طريح بن اسماعيل النقي :

وَقَدْ كُنْتُ تُعْطِنِي الْجَزِيلَ بَدِيهَةً
فَارْجِعْ مَغْبُوطًا ، وَتَرْجِعْ بَالِي
ويقول ابن هاني ، والصورة واحدة :

أَطَافَتْ بِخَرْقٍ يَسْبِقُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ
فَلَيْسَ لِيَوْمِيهِ وَعِيدٌ وَلَا وَعْدُ
وقال الأبيوردي :

جَاءَ النَّدَى وَالْبَاسُ مِنْكَ بَدِيهَةً
وَأَلَمَ الْمَعْرَى بِهَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ فِي السِّيفِ :

غَرَارَاهُ لِسَانًا مَشْرِفِيَّ يَقُولُ غَرَائِبَ الْمَوْتِ أَرْتَجِلَا
وليس الموت قولاً ، فهو إنما يريد الفعل . وقال ابن عمار :

رَوَى لِيضْرَبَ، وَابْتَدَهَتْ بِضَرْبِهِ أَنْ الطَّعَانَ بِدَاهَهُ الْفَرَسَانِ.
وَقَالَ ابْنُ بَرْدٍ :

يَا شَاعِرَ الْحَسَنِ ، بِي تَرْفُقُ لَا تَقْتَلْنِي كَذَا بَدِيهَا
قَالَ صَبْرِي :

سَدَّدَ سِهَامَ الرَّأْيِ بِالشُّوْرِيِّ يُحِيطُ بِكَ مِنْهُ فُظِّلِمَ الْحَوَادِثُ فَيُلْقُ
وَاسْبِقُ بِهِ ، وَاضْرِبْ بِهِ ، وَافْتَحْ بِهِ مَا شِئْتَ مِنْ بَابِ أَمَامَكَ يُغْلِقُ

يَذَكِّرُ صَبْرِي فَضْلَ الشُّوْرِيِّ ، وَيَصِفُ مَا لِأَصَالَةِ الرَّأْيِ مِنْ حَسَنِ الْإِثْرِ فِي تَنْدِيرِ
الْأُمُورِ ، وَكَيْفَ أَنَّهُ يَغْنَى غِنَاءَ الْجِيُوشِ وَيَقُومُ مَقَامَهَا ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُلِّ هَذَا شَيْءٌ ،
فَهُوَ يَرُدُّ لَنَا أَقْوَالَ الْأَقْدَمِينَ ، وَيُبَلِّغُنَا رِسَالَاتِهِمْ . قَالَ بَشَارُ بْنُ بَرْدٍ فِي الْمَشُورَةِ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ ، فَاسْتَعْنِ بِرَأْيِ نَصِيحٍ ، أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمٍ.
وَلَا تَحْسَبِ الشُّوْرِيَّ عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ.

فَأَمَّا قَوْلُ صَبْرِي فِي الرَّأْيِ وَوَضْعُهُ مَوْضِعَ الْجَيْشِ فَمِنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ :
يُكَلِّفُنِي إِذَا مَا الْجَيْشُ كَانَ عَرْمَرَمًا فِي جَيْشٍ رَأْيٍ لَا يُقَلُّ عَرْمَرَمٍ.
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

وَبَعَثَتْ كَيْدَكَ غَازِيَا فِي غَارَةٍ مَا كَانَ فِيهَا السَّيْفُ غَيْرَ مُفْشِيحٍ.
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

تَرَاهُ عَنِ الْحَرْبِ الْعَوَانَ بِعَمَزٍ وَأَرَاؤُهُ فِيهَا وَإِنْ غَابَ شُهْدُ

فَأَمَّا مَا قِيلَ فِي مَنْزِلَةِ الرَّأْيِ وَأَثَرِهِ ، وَسَدَادِهِ وَجُودَتِهِ ، فَهَذَا سَبِيلٌ إِلَى اسْتِقْصَائِهِ
وَحَسْبُكَ أَنْ نَدْلِكَ عَلَى بَعْضِهِ ، قَالَ الْمُتَنَبِّي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ ، وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي

وَلَرَبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَفْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعَنِ الْأَقْرَانِ
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

وَمَا شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَقْضَى عَلَى الْمَهْجَاتِ مِنْ رَأْيٍ سَدِيدٍ

وقال يمدح :

مجرداً سيف رأى من عزيمته للبأس ، صيقله الاطراق والفكر
عصباً ، اذا سلّه في وجه نائبة جاءت اليه صُرُوفُ الدهر تعتذر
وقال ابن هاني :

فاذا بعثت الجيش فهو منية واذا رأيت الرأي فهو قضاء
وقال آخر :

وان مضى رأيه أو حدد عزمته تأخر الماضيان : السيف والقدر
وهل رأيت خلاً أو اضطراباً كالذي تراه في قول صبري عن الرأي :

واسبق به ، واضرب به ، وافتح به ما شئت من باب أمامك يُفلق ؟
إنّا إذا جرّدنا هذا البيت عما فيه من خطر وتشويش وجدناه يمت بصلة قوية
الى قول الامام الشافعي :

الجَدُّ يَدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شاسِعٍ والجَدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقِ
قال صبري :

عوذتُ مجدك أن تنام وفي الحى أملٌ عقيمٌ ، أو رجاءٌ مُخْفَقُ
وفي هذا المجد المعوّد يقول المعري :

أعاذ مجدك عبد الله خالقه من أعين الشهب ، لا من أعين البشر
ويقول المتنبي :

كأنّ الردى عادٍ على كلّ ماجدٍ إذا لم يُعوذ مجده بعيوبِ
وفي معنى الأمل العقيم أو الرجاء المخفق ونحوها يقول الشريف الرضى :

وما الفخرُ في أدبٍ فاجرٍ يُضَافُ إلى مطلبٍ عاقرِ
ويقول الأبيوردي في المستظهر بالله :

يا خيرَ مَنْ ألقَحَ الآمالَ نائله بموعدٍ بِلِدِ النِّعماءِ مضمونِ
ولأبي تمام :

نلقح آمالاً وترجو نتائجها وعمرك بما قد ترجّيه أقصرُ

أما معنى بيت صبرى فى قول الشريف الرضى :
 "نعمى أمير المؤمنين حريرة" ألا تنام عن الرجاء المهمل
 قال صبرى :

ولربَّ محلٍ فى النهى متحكّم - قد كاد يحترّم النفوس ويؤبّق
 أرسلت فيه نظرة ضمين الحجب - والعلم نُصرتّها ، وقلبٌ مُشفّق
 وأخذت رأى أولى النشئ مستوفّاً - مستوزراً ، وكذا الحكيم يدقّق
 حتى اهتديت الى الصواب ، ولم يزل - بين الصواب وبين رأيك موثّق
 وأهبت ، فابتكر النصارى سحائباً - تهيم ، وتفتقد الحيل ، وتغدق

ليس فى هذه القطعة شيء من المحاسن الفنية ، وهى كما تراها فى كثير من
 أجزاء ريكّة النظم ، متداعية البناء ، وموضع ذلك قوله فى البيت الثالث
 (وأخذت رأى أولى النشئ) وقوله فى البيت نفسه (مستوزراً وكذا الحكيم يدقّق)
 فالجملتان الأولى من الشوقى المبذول ، والكلمة الأولى من الجملة الثانية لا معنى لها فى
 هذا المقام . وسائرهما من الكلام الذى يُجاء به لسدّ الفراغ غسباً ولا يشفع فى
 ذلك اطراد المعنى فأنت ترى الفلق بادياً فى هذا الجزء من البيت وهو قوله
 (وكذا الحكيم يدقّق) فأما قوله فى البيت الرابع (حتى اهتديت الى الصواب)
 فاتهم رأى المدحوظ وطعن عليه ! ألا ترى أن الشاعر لم يغفل عن ذلك فى نفسه
 فاحتال لستر العيب وسدّ الخلل بقوله (ولم يزل بين الصواب وبين رأيك موثّق)
 وفى البيت الخامس من الاضطراب وسوء السياق ما تراه فهو يقول إنّ الأمير أهاب
 فابتكرت سحائب النصارى - تهيم وتفتقد الحيل وتغدق - وما هكذا يكون الترتيب
 فى مثل هذه الصورة والصواب - تفتقد الحيل فتهيم وتغدق - وقد أراد
 بالمُحيل الماحل أو ما فى معناه فأخطأ : فالمُحيل ما أتى عليه الحول من شيء أو صار
 من حال الى حال ، وهو ما يظهر لك واضحاً من قول ابن المعتز :

ألم تحزن على الزّيع المُحيل - وآثاره وأطلاله مُحول ؟

ومن عيوب هذه الصورة المبالغة فى وصف الحال والتّجافى به عن الوجه
 الأمثل ، فالعنى أن الأمير رأى الجبل فاشياً فى الأمة فأراد أن يُنقذها من غوائله
 بنشر العلم والمعرفة ، وليس فى هذا من غوامض الأمور ومشكلاتها ما يُشير هذه

الحزكة أو يقيم تلك القيامة : يستشير الأمير ، ثم يستوثق ، ثم يستوزر ويدقق ، ثم يهتدى الى الصواب بعد أن خفيت وجوهه ، وتنسكت معاملته ، ما هذا كله ؟ إنه لا مِرَافٌ في القول كبير ، وليته كان من نوع ذلك الاسراف الذي ورد ذكره على لسان شاعرنا العظيم في البيت الرابع من هذه القصيدة .

الحقُّ أن صبرى قد اتهم الأمير كثيراً في رأيه وفطنته ، وليس هذا هو المذهب حتى في عظام الحوادث وجلائل الأمور ، قال مہيار الديلمی :

ودبر الدنيا برأى واحداً يأنف أن يشرك فيها أحداً

إذا استشار لم يزد بصيرةً ولا يلوم رأيه إذا استبد

وقال الشريف الرضى :

يستمعُ الرأيَ ، وعنه غنى قد يصقلُ السيفُ ، ولم يطبع

وقال البحتري :

إذا انساب في تدبير أمره رافدت له فكرٌ ينجح في كل مطلب

ومن قوله في هذا المعنى .

إذا ما جرى في حلبة الرأي برزت تجاربُ معروفٍ له السبق قارح

وله :

تشفُّ أقاصي الرأي في بدائنه لعينٍ وسيرُ الغيب غير رقيق

وله :

إذا المرء لم تبدهك بالخزم والحجى فربحتُه لم تغن عنه تجاربه

وقال المتنبي

قد كفتك التجاربُ الفكرَ حتى قد كفاك التجاربُ الالهام

وقال سلام الخاسر ، ويروى لأبي نواس :

بديتهُ وفكرتهُ سواء إذا ما نابهُ الخطبُ الكبير

وأحزمُ ما يكونُ الدهرُ رأياً إذا عى المشاورُ والمشير

فأما قول صبرى - بين الصواب وبين رأيك موثق - فانا نعرض عليك من

الصُّورِ ما يدلُّك على مواضعه من الشعر القديم ، قال أبو نواس :

مَلِكٌ تَقْصِرُ الْمَدَائِحُ عَنْهُ هَاشِمِيٌّ ، مُؤَفَّقٌ لِلصَّوَابِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

تَنْسَابُ مِثْلَ الْأَرْقَمِ الْمُنْسَابِ كَأَنَّمَا تَنْظُرُ عَنْ شَهَابٍ
بِمَقْلَةٍ وَقَفَرٍ عَلَى الصَّوَابِ

وليس هذا فحسب فإنا نميل بك ناحية هي الى الانصاف أقرب ، وبالنقد الفنى
الدقيق أشبه ، وأنت ترى أن هذا الموثق الذى عقده الشاعر بين الصواب وبين رأى
الأمير يجعلهما بمنزلة الحليفين أو العقيدتين أو نحوهما ، وهذا أبو تمام يقول :

حَلِيفٌ نَدَى ، وَتَرَبُّعٌ عَلَا ، إِذَا مَا هَتَفَتْ بِهِ ، وَسَيْفٌ خَلِيفَتَيْنِ
وَقَالَ :

مَلِكٌ إِذَا تُبِىَ النَّدَى مِنْ مَلَتَقٍ طَرْفِيهِ ، فَهُوَ لَهُ أَخٌ وَحِيمٌ
وَقَالَ :

هَذَا أَخُوكَ النَّدَى ، لَوْ أَنَّهُ بَشَرٌ لَمْ يُلَفْ طَرْفَةً عَيْنَ غَيْرِ مُبْتَسِمٍ
وهذه صورة أخرى من قول أبى تمام تعطى المعنى الذى انتحله صبرى :

مُسْتَرْسَلِينَ إِلَى الْخُتُوفِ ، كَأَنَّمَا بَيْنَ الْخُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ
فأما أن الجهل يبيت النفوس كما يقول صبرى فقد يما قال المتنبي :

أَمَاتَكُمْ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمْ الْجَهْلُ وَجَرُّكُمْ مِنْ خَفَةِ بَكْمِ الثَّمَلِ
فأما قوله :

وَأَهَبْتُ فَاثْتَسَكَرَ النَّضَارُ سَحَابًا تَهْمِي ، وَتَفْتَقَدُ الْمُحْجِلُ ، وَتُفَدِّقُ
فهو من حيث سحاب النضار ينظر الى قول بديع الزمان الهمذاني :

وَكَادَ بِحِكْمِكَ صَوَّبُ الْمَزْنِ مِنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَلَقَ الْحَبَا بِمَطَرُ الذَّهَبِ
وقول أبى تمام :

بَحْرٌ مِنَ الْجُودِ يَرْمِي مَوْجُهُ ذَهَبًا حَبَابُهُ فَضَّةٌ زِبْنَتُهُ بِمَقْيَانِ

وأما ما ورد فى البيت من عمل هذه السحاب وانها تقتقد المحول - لا المحيل -
فنهى وتفقد ، أما هذا فن باب قول ابن المعتز فى السحاب :

لم يَدْعُ أرضاً من المحل إلا جاد أو مدَّ عليها جَنَاحاً
وقال آخر يصف ديمة :

كَأَنَّ غَنَاءَ لَهَا أَنْ تَرَى بَيْساً مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يُبَلَّلِ
قال صبرى :

إِنْ أَمَرْتَ تِلْكَ الْمَوَاتُ ، وَأَوْرَقْتُ فِيهَا الرِّيَاضُ ، فَانْمَا لَكَ تُورِقُ
وإبراق الرياض من أهون صفاتها ، وأدنى منازلها ، وقد نزل الشاعر في هذا على
حكم القافية ، وما أكرر جنائيات هذا الحكم ، فلو أنَّ القصيدة كانت رائية لقال :
إِنْ أَمَرْتَ تِلْكَ الْمَوَاتُ وَأَثْمَرْتَ فِيهَا الرِّيَاضُ ، فَانْمَا لَكَ تَنْمُرُ
ولكان هذا أجود ، وما أظن المتنبي ترك لشاعرنا شيئاً من هذا المعنى بعد
قوله :

إِنَّ الْبِلَادَ وَإِنَّ الْعَالِينَ لَكَ

قال صبرى في ذكر دنشواى :

وَأَقْلَتَ عَثْرَةَ قَرْيَةٍ حَكَمَ الْهَوَى فِي أَهْلِهَا ، وَقَضَى قَضَاءً أُخْرَقُ
إِنْ أَنْ فِيهَا بَائِسٌ مِمَّا بِهِ وَأَرَنْ ، جَاوِبُهُ هُنَاكَ مُطَوَّقُ
جاء البيت الأوّل بعد قوله (إن أمرت) فهو منقطع الصّلة بما قبله ، بل هو
من المفاجآت المتناهية في الشذوذ ، وأنت تعلم أىّ مطوّق يريد في البيت الثانى ،
انه يريد حمام دنشواى ، فالنظر الصّلة بين هذه الصّورة وبين قول ابن هانئ :
لَيْلَى لَا آوَى إِلَى غَيْرِ سَاجِعٍ بَيْنَكَ ، حَتَّى كُلُّ شَيْءٍ حَمَامٌ
وَلَمَّا التَقْتَ الْحَافِظَنَا وَوُشَاتُنَا وَأَعْلَنَ مَرُّ الْوَشَى مَا الْوَشَى كَانَتْ
تَأْوَةً إِنْسَى مِنَ الْخُدْرِ نَاعِمٌ فَاسْعَدَ وَخَشَى مِنَ السَّدْرِ بَاغَمٌ
قال صبرى :

شَكَرْتُكَ مِصْرُ عَلَى سَلَامَةِ بَعْضِهَا شَكَرًا يَغْرُبُ فِي الْوَدَى وَيَشْرِقُ

بيت مقفر من الروح الشعرى ، متجافٍ في لفظه ومعناه عن أدب الفن ونظام
الصناعة ، فان سلامة بعض مصر في قول الشاعر وبقاء سائرهما في جانب آخر ليس من

الصُّورَ التي يَصْخَرُ أن تَتَمَثَّلَ في مَدَارِجِ الشُّكْرِ وَمَوَاطِنِ الشُّنَاءِ ، وَقَدْ اِتْرَادَفَ ذِكْرُ
النَّشْرِيقِ وَالتَّغْرِيبِ فِي مِيرَاثِنَا الشُّعْرِي فَلَتَهُ النُّفُوسُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ :

أَشْرَقَ أَمْ أَغْرَبُ يَا سَعِيدُ وَأَنْقَصُ مِنْ زَمَاعِي أَمْ أَزِيدُ ؟
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

شَرَّقْ وَغَرِّبْ تَجِدُ مِنْ غَادِرٍ بَدَلًا فَالْأَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ
وَقَالَ الْبَهَاءُ زَهِيرٌ :

وَجَبَسْتُ فِي مِصْرَ عَلَيْكَ رَكَائِي غَيْرِي يَغْرِبُ تَارَةً وَيُشْرِقُ
قَالَ صَبْرِي :

قَانُونُ دَنْشَوَائِي ذَاكَ صَحِيفَةٌ تُتَلَّى فِتْرَتَاعِ الْقُلُوبِ وَتُخْفَقُ
هَلْ يُرْنِجِي صَفْوَةٌ وَبَهْدًا خَاطِرُهُ وَالْمَوْتُ حَوْلَ نِصْوَصِهَا يَتَرَفَّقُ ؟

أَبَاحَ لِنَفْسِهِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مَا ظَنُّ أَنَّهُ مِنَ الْإِضْرَارَاتِ الشُّعْرِيَةِ فَجَعَلَ حَرَكَةَ الشَّيْنِ
مِنْ دَنْشَوَائِي أَلْفَا ، وَقَدْ كَانَ لَهُ مَتَسَعٌ لَوْ تَحَوُّطٌ ، فَأَمَّا أَنَّ الْمَوْتَ يَتَرَفَّقُ حَوْلَ نِصْوَصِ
قَانُونِ دَنْشَوَائِي أَوْ صَحِيفَتِهِ فَذَلِكَ مَا سَبَقَ إِلَيْهِ ، رَهْوٌ يَتَمَثَّلُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الصُّوَرِ
كَقَوْلِ بَعْضِ الْأَعْرَابِ فِي إِسْمَاعِيلِ بْنِ صَبِيحٍ كَاتِبِ الرَّشِيدِ :

لَهُ قَلَمًا بُوسٍ وَنُعْمَى ، كِلَاهُمَا سَحَابَتُهُ فِي الْحَالَتَيْنِ دَرُورُ
وَكَقَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

كَمْ مَنَايَا ، وَكَمْ عَطَايَا ، وَكَمْ حَنَنٍ فَيَرْوَعِشُ ، تَضُمُّ تِلْكَ السُّطُورُ
وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ فِي الْقَلَمِ :

لُحَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُحَابُهُ وَأَرَى الْجَسَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِي عَوَاسِلُ
وَلِسْلَيَانِ بْنِ وَهَبٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

إِذَا مَا التَّقِينَا وَاتْتَضَيْنَا صَوَارِمًا يَكَادُ يُصِمُّ السَّامِعِينَ صَرِيرُهُ
تَظَلُّ الْمَنَايَا وَالْمِطَايَا شَوَارِعًا تَدُورُ بِمَا شِئْنَا ، وَتَعْضِي أُمُورُهُ

بَقِيَ لَوْ أَنَّ مِنْ هَذِهِ الصُّوَرِ يَقُومُ فِي قَوْلِهِ (يَتَرَفَّقُ) وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى أَشَدِّ نِخَامَةٍ وَرُوعَةٍ
فِي قَوْلِ الْمُتَنَبِّيِّ :

بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا يَفْرَعُ الْقَنَا
وَمَّا قِيلَ عَلَى لِسَانِ الْحَمَامَةِ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ :

وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ

قال صبري :

لَنْ تَبْلُغَ الْجُرْحَى شِفَاءً كَامِلًا
وَأَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى مَعْنَى الْبَيْتِ قَوْلُ الْمُتَنَبِّ :

وَاحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَا جَانِبٍ
قَالَ صَبْرِي فِي خَتَامِ الْقَصِيدَةِ :

وَاللَّهُ عَوْنُكَ إِنْ رَكِبْتَ إِلَى الْعُلَى
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ ، لَا يُشَابُّ بَرِيَّةٍ
وَالْحَكْمُ حَكْمُكَ ، وَالْآلَةُ مُصَدِّقُ
وَيَقُولُ الْبَحْرِيُّ :

أَلَّهُ جَارُكَ ، تَبْتَغِي مَا تَبْتَغِي
وَفِي مَعْنَى الطَّرْقِ يَضِلُّ بِهَا الْهَدَاةُ يَقُولُ الْمُنْخَلُّ :

وَدِيمُومَةُ قَفَرٍ بِحَارٍ بِهَا النُّقْطَا

وَالْقَطَا فَلَمَّا بِحَارٍ ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ (أَهْدَى مِنَ الْقَطَا) وَمِنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ :

نَجِمْ بِطَرَقِ الشُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا
وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الْآخَرُ :

بِحَارٍ فِي حَافَتَيْهَا الْمَدْلُجُ الْهَادِي

فَأَمَّا فِي مَعْنَى الْخَوْفِ فَيَقُولُ الْقَطَامِيُّ :

بِكَلٍّ مُخْتَرِقٍ يَجْرِي السَّرَابُ بِهِ
وَفِي الْبَيْتِ صُورَةٌ مِنْ قَوْلِ صَبْرِي - إِنْ رَكِبْتَ - وَلِلْأَخْطَلِ :

وَجَوْزٍ فَلَاةٍ مَا يُغْمَضُ رَكْبُهَا
وَقَالَ الْمُتَنَبِّ :

كَمْ مَهْمٍ قَذْفٍ ، قَلْبُ الدَّلِيلِ بِهِ
قَلْبُ الْحَبِّ ، قَضَائِي بَعْدَ مَا مَطَّلَا

وفي معنى البيت الأخير من القصيدة يقول المتنبي :

والأمرُ أمرُك والقلوبُ خوافُك في موقفٍ بين النيةِ والى

وأقرب منه الى ذلك المنحى قول كمال الدين الفقيه :

بَقِيَتْ بقاءَ الدهرِ أمرُك نافذٌ وسعيك مشكورٌ، وحُكْمُك مُنصفٌ

لواء الحسن

من مطوّلات صبرى قصيدة رقيقة يصح أن تسمى (لواء الحسن) أو (ملك الجمال) فهي تصوّر لنا جمال المرأة وسلطانها، وترينا ما لها من أثر بالغ وتفوذ كبير في الحياة، وإذا لم يكن الشاعر ترجان الجمال فمن يكونه؟ وهل لفنه سوى المرأة تعلمه ما هو، وتوحى إليه كيف تكون أنواعه وفنونه؟ وهذه هي القصيدة، قال صبرى :

يا لواء الحسن، أحزابُ الهوى	أيقظوا الفتنةَ في ظلّ اللواءِ
فرّقهم في الهوى ثاراتهم	فاجعى الأمر، وصوّنى الأبرياءِ
إنّ هذا الحسنَ كالماء الذى	فيه للأتقى رىّ وشفاة
لا تذودى بعضنا عن وزده	دُون بعض، واعدلى بين الظّماءِ
أنتَ يَمُّ الحسن، فيه ازدحت	سفنُ الآمال، يزجيها الرجاءِ
يقذفُ الشوقُ بها فى مانج	بين الجئين: عناء، وشقاءِ

جعل صبرى المرأة في مملكة الجمال كاللواء، تنور حوله معارك الحب بين أحزابه وتستيقظ الفتنة في ظلّه - والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها إلا في هذه المعركة، وتحت ذلك اللواء - الله أكبر يا ثارات عثمان - لسا في ثارات عثمان رضى الله عنه، وانما نحن في ثارات أحزاب الهوى الذين دبّت الفرقة بينهم، فأيقظوا تلك الفتنة النارية الحرّى، الفتنة التى لا تصيب الذين ظلموا منهم خاصة، ولكنها تُلغ الأبرياء، وتغمر الصالحين والمؤمنين من أمة الحب ورعيّة الجمال، هو الجمال أيقظ هذه الفتنة الحامية وأثارها، وسقى هؤلاء وهؤلاء نارها، ثم جميعاً أبرياء، وهو هو المستبدّ العادل، ما ظلم يوماً ولا أساء. قال أبو نواس في شأن هذه الفتنة :

ما براها الله إلا فتنة حين براها

وقال :

رشاً لولا ملاحظته خلت الدنيا من الفتن.

وقال :

كلُّ جزءٍ من محاسنه فيه أجزاءٌ من الفتن
وليس هذا وحده ، فقدأكثر الأولون من ذكر هذه الفتن ، وإن صبري
لعلّ هذا الأثر وفي ذلك السن :

فرّقهم في الهوى ثاراتهم

صدق ، فقد قيل قبل هذا :

قامت حرّوبُ الهوى على ساقٍ

فاجمعي الأمر ، وصوئي الأبرياء

ولم يكون هذا وقد قال ابن الفارض :

تجمّعت الأهواءُ فيها ، فأتري بها غيرَ صبٍّ لا يرى غيرَ صبوتي !

وقال مسلم بن الوليد قبله في الرشيد :

إذا اختلفت أهواءُ قومٍ جمعتهم

وجاء ابن هاني بعده فقال للعزّ :

وتجمّعت فيك القلوبُ على الرضى

فاجمعي الأمر ، وصوئي الأبرياء

هو أقرب من هذا كلّهُ إلى قول صفيّ الدين الحلي :

لعلّ الحبّ يرفق بالرعايا فيأخذ للبرى من المثلّم

إنّ هذا الحسنَ كاللّذي فيه للأنفس رىّ وشفاء

بين الحسن والماء مسافةٌ ما بين الاسم والكنية من قرب ، بل هما إن شئت المزيد
بمنزلة الجفن والهدب ، كلٌّ يحمل صفة صاحبه ، ويأبى أن يجري عليهما حكم الفاعل
ونائبه . الحسن ماء ، والماء حسن ، هما في صفة واحدة ، عملهما واحد ، يقع في دائرة
واحدة هي الحياة . هكذا يقول صبري وما هو بعتهم ، ومن قبل قال الأبيوردي :
للحسن أمواه تروق بروضه وعلى جوانبه الدماء تراق

دع عنك إغادته على المتنبى في ذكر الشرف الرفيع وكيف يسلم وكن كأنك لا تعرفه ، إنما نحن بسبيل أمواه الحسن فهنا قتلى تراق دماؤهم حولها ، وهناك في بيت صبرى نفوس تروبها هذه المياه فتحيا ، ولولاها لذهبت قتلى ولكل وجهة . ولقد نظرت الأبيوردي إذ يقول في قصيدة أخرى :

يقولون ماء الحسن تحت عذاره على حاله الأولى ؛ وذاك غروره
ألسنا نعاث الماء من أجل شعرة ؟ إذا وقعت في الماء ، وهو نيمر ؟
ولكن ماء صبرى والله الحمد مصون من شعر الأبيوردي لاختلاف الموردين .
ولأبي الفاسم المطار في المعنى :

رقت محاسنه ، وراق نعيمها فكأنما ماء الحياة أديمها
ولقد حام أبو تمام على ماء الحسن فتناوله ، وسقى عشاق أدبه الصافي من نيمره
العذب ما أراد فقال :

صَبَّ الشَّبابُ عَلَيْهَا وَهُوَ مُقْتَبِلٌ ماءً من الحسن ما في صفوه كَدَرُ
وقال في لونه آخر من الوصف :

خاضت محاسنها مخاوف غادرت ماء الصبا والحسن غير زلال
ومن محاسن البهاء زهير قوله في هذا الباب :

رِيَّانٌ مِنْ مَاءِ الْجَمَالِ مُهْفَفٌ أَرَأَيْتَ غُصْنَ الْبَاذِرِ كَيْفَ يَمِيلُ ؟
قال صبرى :

لا تذودى بمعضنا عن وِردِهِ دُونَ بعضه ، واعدلى بين الظما
يريد قسمة الماء ، وما هو بظالم ، ومن العناية أن يكون الشأن على حد ما قال
الأول :

نَحْنُ نَفْتَشَاهَا الْعِصَى ، وَحَوْلَهَا أَقَاطِيعُ أَنْعَامٍ تُعَلُّ وَتُنْهَلُ
ولك أن تقول :

وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا نصبحنا
قال صبرى :
أنتَ بِمِ الحَسَنِ ؛ فيه ازدهت سُقُنُ الآمالِ يُزجِها الرِّجاءُ

يقذفُ الشوقُ بها في مانحٍ بين لُجَيْنٍ ، عناءٍ وشقاءٍ

لهذه الصورة أشباه في أشعار السلف الأسبق ، قال بعضهم في الدنيا :

فكروا فيها ، فلما علموا أنها ليست لحيٍّ وطنا

جعلوها لُجَّةً ، واتخذوا صالح الأعمال فيها سُفُنًا

وهذه صورةٌ أخرى للسراج الوراق

يابنى الآمالِ قد خات الرجا : وقد اشتدَّت ، وقد عزَّ العزاء

سُفُنُ الآمالِ في بحرِ المنى وحلتْ منا ، فأين الرؤساء ؟

وهذه صورة ثالثة لأبي التمام بن العطار :

الحبُّ تسبحُ في أمواجه المهجُ لومدَّ كفًا إلى الغرقى بهِ الفرَجُ

بَحْرُ الهوى غرقت فيه سواحله فهل سمعتم ببحرِ كلِّه لُجَجُ ؟

لم يبق بعد هذا من مربية في أن شاعرنا رحمه الله لم يخترع هذه الصورة ، ولقد

يُحْيِلُ إلينا أنه كان أكثر نظراً إلى قول السراج الوراق فكما قال هذا (سفن

الآمال في بحرِ المنى) والآمال والمنى بمعنى ، كذلك قال صبرى (سفن الآمال

يزجها الرجا) والآمال والرجاء بمنزلة واحدة ، وعجيبٌ أن يففل صبرى عن مثل

هذا ، ولم تكون سفن الآمال عنده بين لُجَيْنٍ من عناء وشقاء وهى تزجى بقوة

الرجاء وعلى يده كما يقول ؟ وما هو وجه التنويع في قوله عنه وشقاء ، وهما من جنس

واحد ، فما بينهما من تفاوت ؟ كل هذا من الزلل أو أشدّه ، قال :

ساعِني آمالَ أنضاء الهوى بقبولٍ من سجاياك رُخاء

ونجلى واجملى قومَ الهوى تحت عرش الشمس في الحكم سِواء

في قوله (قوم الهوى) بعد (أنضاء الهوى) أثر واضح من آثار الفقر الذهنى

والفاقة البيانية ، وقد كثر استعمال هذه الأنضاء هى ومُضافها صورة ومعنى في أشعار

المتقدمين حتى لقد صارت السلامة في اجتنابها ، ومنه قول الطغرأتى (يقتلن أنضاء

حبٍّ لا حراك بها) وقول البحترى :

فان تُلَفِّنِي نِصْوَ العظامِ فانها جريرةٌ قلبي منذ كان على جسمي

أما ما أفرغه في الشطر الثاني من البيت على السجاياء من صفة القبول وهي ربح الصبّا فكذلك هو من القديم المستعمل ، قال أبو تمام :

خُلِقَ مُشْرِقٌ ، ورأى حَسَامٌ وودادٌ عَذْبٌ ، وريحٌ جَنُوبٌ

وأدقُّ من هذا في الوصف قول البحترى :

خُلِقَ طَيِّعٌ إِذَا رِيضَ للجو دِ انْتَى عِظْمُهُ ، وطَاعَ عِناهُ

في البيت الثاني عرش الامارة ونظام الحكم ، وليس من حقنا ونحن بسبيل الفن أن نداعب روح شاعرنا العظيم وهو يضع لمملكة الجبال ودولة الحب نظاماً باطلاً كهذا — إنه يريد النصفة والسوية . وما بهذا ومثله يرتفع شأن المملكة أو يستقيم أمر الدولة ، لا القوة الحاكمة تستطيع الأخذ بهذا الدستور الآخرق ، ولا الرعية على ضعفها وشدة حاجتها تقبل أن تحكم بهذه الشريعة الظالمة ، ومن اتخذ مذهباً غير هذا أو حاول أن يتخذها فقد جهل حق الجبال وعمى عن معنى الحب ، لسنابنسبيل هذا كما قلنا ، فلننظر الى هذا الملك الكبير هل هو من مؤسسات شاعرنا ؟ كلا وإليك البيان ، قال زين الدين بن الوردى :

يا أميرَ الجبالِ قُلْ فالراسيم تُسمعُ ا

وقال أبو محمد بن سارة :

كم قد رأت عيناى منك والياً للحسن ، تنهب النفوس جنودُهُ

الدهر طوعُ يديه ، والدنيا له أمةٌ ، وأحرارُ الأنام عبيدُهُ

ويقول آخر :

فتعطف على رعاياك يا من علق كفه لواء الجبال

ومن أشهر ما قيل في هذا الباب قول ابن النبيه :

أيا ملكَ القلوب فتكتَ فيها وفنكك في الرعيّة لا بحلُّ

ومن ملح السراج الوراق قوله في أحد هؤلاء الملوك وكان قد حلق حاجبه :

سلطانُ حسن زاد في عدله فاختر أن لا يبقى بلا حاجب ا

قال صبرى :

أقبلى نستقبل الدنيا وما ضمنته من معدّات الهناء

واسفري ، تلك حَلَى ما خُلقت لتواري بلثام أو خباء
واخطري بين الندامى يحلفوا أن روضاً راح في النادى وجاء
وانطى ، ينثر اذا حدثنا نثر الدر علينا ما نشاء

لو خلا البيت الأول من (معدات الهناء) لكان خيراً ، وما رأيت هذه
المعدات الثقيلة وقعت في شعر قبل هذا ولا بعده . وفي الهناء خلاف لفوى يُعذر
فيه الذين ينكرون استعمال هذه الكلمة على الوجه المراد في البيت . ولكنهم
يخطئون في قولهم ان الصحيح هناءة فالكلمتان بمعنى واحد ، وهما من المصادر
لقولهم هنا الطعام اذا ساغ ، ولم أرهما في الفصح المذهب من الكلام ، ولا معول
على قول ابن نباتة .

هنا محاذك العزاء المقدما فسا عبس المحزون حتى تبسما
ولا على قول بعض المغاربة :

وفتيان صدق عرسوا تحت دوحه وليس لهم الا الهناء فراش
في البيت الثانى اعاده وترديد لكثير من أقوال المتقدمين ، وهذه أمثلة منها ،
قال أبو تمام :

أتى النصف ، فانت خاذلة المها أمنيّة الخالى ، وهو اللّاهى
ولابى الحسن التهامى :

حطى النقاب ، لعلّ مربّ عيوننا فى روض حسنك يرتعين قليلا
وانظر الى منطق الشاب الظريف إذ يقول :

لك حُسنٌ وللأنامِ قلوبٌ

ولغيره فى هذا المنحى :

يا أحسنَ العالمين وجهاً ما لك من أن محباً يُدّ

كلّ هذا يعطى الصورة التى اشتمل عليها بيت صبرى ، وهو فى بعض لفظه
ومناه يمتّ بصلّة قوية الى قول مهبّار الديلمى فى النبايا :

لو لم تكن مخلوقةً للرّشَف ، لم يُخلقن فلجاً

شُبّهت النساء بالرياض كما شُبّه الرجال بها . وكثر ذلك في الأدب القديم كثرة بالغة ، فليس في البيت الثالث أمر جديد ، وقد تروّعك تلك الصورة الوصفية التي تريك الروض يذهب ويحییء في النادي ، ويزيدها روعةً في ذاتها واستقراراً في نفسك أن يحلف الندامي كما يقول الشاعر أنها بصورة صادقة ، وقد شاء مثل هذا في تأكيد الخبر الوصفي أو الصورة التشبيهية فهو كذلك من آثار الأولين ، ومنه قول أبي تمام :

والسيفُ يحلفُ أنَّكَ السيفُ الذي ما اهتزَّ الا اجتثَّ عرشَ عظیمٍ
واليك من الصُّور الأولى ما يححو من نفسك ذلك الأثر الذي علق بها من
بيت صبري ، قال أبو تمام :

خرجن في خضرةٍ كالروضٍ ليس لها الا الحلى على أعناقها زهرٌ
هكذا وجدت البيت ، ولا معنى للخضرة هنا الا اذا أريد بها وصف الثياب ،
وهو ما لا أظنه ، وقد جاءت الخضرة بمعنى النعومة وذلك أقرب الى المراد ، وما
أظن الكلمة الا محرفة ، ولعلها في الأصل (نضرة) . وقال من قصيدة أخرى :

غيداء تجادَ وَلِيُّ الحسَنِ سَنَّهَا فَصَاغَهَا بِيَدِيهِ رَوْضَةٌ أَنْفَا
ولابن خفاجة الاندلسي :

يا بَانَةَ تَهْتَزُّ فِينَانَةً وَرَوْضَةٌ تَنْفَحُ مِعْطَارًا

وقال طاهر البغدادي فزاد عليه :

خطرت فكاد الطيرُ يخطر فوقها إِنَّ الحمامَ لمغرمٌ بالبانِ
ولعلّ روض شاعرنا الذي يذهب ويحییء في النادي أشبه شيء بروض كشاجم
أو بطاووسه العزيز حيث يقول في رثائه :

رُزِئَتْهُ رَوْضَةٌ تَرُوقُ وَلَمْ أَسْمَعْ بِرَوْضٍ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ !

وفي معنى المشي يقول أبو نواس :

بَدَرُ نَمٍّ فِي قَضِيبٍ مُمَوَّرَقٍ مَن رَأَى بَدْرًا عَلَى الْأَرْضِ مَشَى !

وهذا هو البحرى لا يكفيه أن يأتي بالروض ماشيا فهو يسوق الربيع كله الى
معدوحه ويضعه بين يديه ، قال :

أتاك الربيعُ الطلقُ بختالٍ ضاحكاً
من الحسنِ حتى كاد أن يتكلما
نريد الاكتفاء بهذا، ويأبى ابن المعتز وابن هانيء إلا أن يكونا من هذه الجبهة
فقد قال الأول :

وقفتُ بالروضِ أبكى فقد مُشبهه
حتى بكت بدموعي أعينُ الزهر
وقال الثاني :

وما خلتُ أنّ الروض بختالٍ ماشياً
ولا أن أرى في أظهرِ الخيلِ عبقرًا
اتهينا الى البيت الرابع « وانطى ... » وفي معناه يقول البحري :

ولمّا التقينا واللوى موعدٌ لنا
تعجّبُ رائى الدرّ منا ولا قِطْه
فن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها
ومن لؤلؤٍ عند الحديث تساقِطْه
وللثوري :

ترى الدرّ منشوراً إذا ما تكلّمت
وكالدرّ منظوماً إذا لم تكلم
وقال علي بن عطية البلنسي :

كلّمتني نخلٌ ذُرّاً ثبيراً
وتأمّلتُ عقدها هل تنائر ؟
وللأمير محمد بن منجك :

وكان الحديث منه هو اللؤلؤ
لؤلؤ يرقضُ بيننا والجنانُ
قال صبري :

وابسمي ، مَنْ كان هذا ثغرُه
يملاّ الدنيا ابتساماً وازدهاء
لا يخاف شططاً من أنفُسِ
تعرّض الصبوة فيها بالحياة
ويقول أبو نواس في معنى البيت الأول ، وفيه زيادة ظاهرة :

ظبيٌ لبكاهُ ومضحك
فينا تُنيرُ وتظلمُ الدنيا
وأما ما قيل في معنى العفة وهو محصل البيت الثاني فكثير ، ومنه قول
مضرّس بن الحارث المرّسي :

تتوقُّ اليك النفسُ ثمّ أردّها
حياءً ، ومنلى بالحياة خليق
وقال مسلم بن الوليد :

أخذتُ لُطرفِ العينِ منها نصيبهُ
وأُخليتُ مِن كفى مكانِ المُخلخلِ
ولعبدِ الله بنِ المعتزِّ :

كم قد خلوتُ بها وثالثُنا التثني
يحمي على الظمانِ برَدَ الموردِ
وقال المتنبي :

يَرُدُّ يَدَا عن نوبِها وهو قادرٌ
ويُصمى الهوى في طيفِها وهو راقِدٌ
ولغيره :

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ
إلاَّ عصاه الحياءُ والكرمُ
وقال آخر :

فُعصيتُ سُلطانَ الهوى
وأطعتُ سُلطانَ العفافِ
وللشريف الرضي :

بتنا ضجيعينَ في قَوْبِي هَوَى ونُفَى
يَلُفُّنا الشَّوْقُ من فرعِ إلى قدمِ
وله :

وإذا هممتُ بمنِ اِحْبُ أُمالي
حَصَرْتُ يعوقُ ، وعَفَّةٌ تَهاني
هذا شيءٌ مما جاء في معنى العفة والحياء ، وفي البيت جمالٌ فنيٌّ يتمثل في الصبوة
تَعَثُّرُ بالحياء . وليست هذه بالعترة الأولى تقع بين الشيء والشيء ، فإن لها لانتظائر
كثيرة في أشعار المتقدمين ، قال الشريف الرضي :

في موقفٍ تُغضى العيونُ مهابةً
فيه ، ويُعَثَّرُ بالكلامِ المنطقُ
وقال الأبيوردي :

أرى نظراتِ العصبِ يُعَثِّرُنَّ دونها
بأُعرافِ جُرْدٍ أو رهوسِ عَوَالِ
وللقائد أبي الرضاء :

يا قالةَ الشعرِ قد نصحتُ لكم
ولستُ اذْهَى إلاَّ من النُصحِ
صونوا القوافي ، فأرى أحداً
يَعَثِّرُ فيه الرجاءُ بالنُججِ
قال صبري :

أنت رُوحانية ! لا تدعى
أن هذا الحسنَ من طينِ وماءِ !

وقال شوقي :

صُونِي جَالِكَ عَنَا ، إِنَّنَا بَشَرٌ
مِنَ الشَّرَائِبِ ، وَهَذَا الْحَسَنُ رُوحَانِي

وسواء كان المتقدم صبرى أو شوقي فالوصف قديم ، والصورة ترجع الى العصر الاول ، حتى أن القرآن الكريم لم يخل منها (فَلَمَّا رَأَيْنَا أَكْبَرَ نَعْمَةً وَقَطَعْنَا أَيْدِيَهُنَّ وَأَفْلَحْنَا حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) قال شاعر قديم :

أَوْ حَيِّيةَ الْعَيْنِينَ أَيْنَ لَكَ الْأَهْلُ ؟
وَأَيَّةُ أَرْضٍ أَخْرَجَتْكَ ؟ فَانْتَبَهْ
فَقِي خَبْرِنَا ، مَا طَعَمْتَ ، وَمَا الَّذِي
فَانَّ عِلَامَاتِ الْجَنَانِ مُبِينَةٌ
وَلَا بِي نَعْمًا :

إِنِّي سَيِّئَةٌ إِنْ حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا
جَنِيَّةُ الْآبَوَيْنِ ، مَا لَمْ تُنْتَسَبْ
وَلَهُ :

يَاهُ هَذِهِ أَقْصَى ، مَا هَذِهِ بَشَرٌ
وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِي :

وَمُضْمَخَاتٍ بِالْعَبِيدِ . . .
أَقْبَلْنَ مِنْ بَابِ الرِّصَا
وَالشَّرِيفِ الرِّضَى :

أَنَا مِنْكَ فِي كَمَدٍ عَلَى كَمَدٍ
جَنِيَّةٌ ، وَقَبِيلُهَا بَشَرٌ
وَلِبَعْضِ الشَّعْرَاءِ (أَهْلًا بِهِ مَلَكًا فِي زِيٍّ إِنْسَانٍ) وَلِغَيْرِهِ :

أَخْرَجَهُ رِضْوَانٌ مِنْ دَارِهِ
خَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ الْحَوْرُ
قَالَ صَبْرِي :

وَانزَعَى عَنْ جِسْمِكَ الثَّوْبَ يَبِينُ
لِلْعَلَا تَكْوِينَ سُكَّانِ السَّمَاءِ

وأرى الدنيا جناحي ملكٍ خلفَ تمثالٍ مصوغٍ من ضياءٍ

ذهب البيت الأول بكل ما في القصيدة من أدب القول ونزاهة النفس ، ولقد كان في قول الشاعر « واسفري البيت » ما يكفي ولكنه أبى إلا أن يتزبد فيطلب نزع النياب ، وعجبت لشاعرنا النافذ البصر خليل مطران كيف يُفغى عما في هذا البيت من شطط خلقي كبير وهو يمتدح هذه القصيدة في (المجلة المصرية) وينزّهاها عما وقع لبعض الشعراء المتقدمين في باب الغزل والنسب من مستنكر الوصف وساقط القول ، ولقد ازدحمت المعاني في البيت الثاني ازدحاماً يمثل لك لوحة من الصور الشمسية اختلطت فيها الرسوم والأصباغ حتى ما تكاد تسبين كل رسم أو لون على حدة — ان صبري يضع أمامك صورة الدنيا كأجل ما يكون الحسن ، وأحسن ما يكون الجمال ، ولكنك حين تكدّ ذهنك لتفهم كيف تكون هذه الدنيا كجناحي ملك يقوم خلف تمثال من الضياء ، وما وجه الشبه بينها وبين هذين الجناحين ، وما هو هذا التمثال ، وما موضعه ومعناه من الصورة التشبيهية أو ابحازية أو أية صورة أخرى هي ما هي — انك حين تكدّ ذهنك لتنتزع من كل هذه الصورة الجميلة في ذاتها ، بل المتناهية في الجمال ، صورة معنوية ذات لون خاص ، أو دلالة خاصة ، لا تستفيد شيئاً آخر سوى ما اجتمع لك عند النظرة الأولى ، فحاصل البيت أن الدنيا جميلة ، وإذا كان الشاعر بصدد المرأة فلك أن تفهم أن هذا الجمال ممتلئ فيها ، وإذا أنت توسّعت في استنباط الأغراض والمعاني جعلت لجمال العفة والحياء وأدب النفس ، وهو ما ذكره في هذه القصيدة ، مكانه في هذه الصورة الخرساء . ولعلك واجد شهماً بين هذا الذي يقوله صبري وبين قول صلاح الدين الصفدي في صفة القمر يبدو من خلال الغصون وفيه خطأ كما سيحيى :

كأنما الأغصان لما انثنت أمام بدر التّم في غيبه

بنتٌ مليكٍ خلفَ شبا كها تفرّجت منه على موكبه

لا أقول أن الشبه تام بين الصورتين ولكنه متقارب ، فأنت حين تعكس الصورة القائمة في هذين البيتين وتقف وراء الغصون مستقبلاً القمر وهو يطالعك من خلالها تتمثل لك تلك الصورة التي يسوقها صبري اليك في وصف الدنيا وتصويرها ، ففي هذه الغصون مشابهة من جناحي الملك ، والقمر هو التمثال المصوغ

من الضياء ، ومثل هذه الصلة الوثيقة بين الصورتين مما يدركه علماء النقد وينظرون إليه نظراً واسعاً ، فجازَّ عندهم أن يقال إن بيت صبرى مأخوذٌ من هذين البيتين اللذين لم يسلم صاحبهما من الخطأ ، بل هو قد أخطأ خطأً فاحشاً من جهة الوضع التشبيهي ، فهو قد أراد تشبيه القمر وهو يبعث بأنواره من وراء الغصون بينت الملك تطلُّ من خلف شبّاكها لترى الموكب فأطلق هذا التشبيه على الأغصان لا عليه ، وقد نقدّه ابن حجة الحموى صاحب (خزانة الأدب) وأورد قول محي الدين ابن قرناص في تصحيح هذه الصورة :

وحديقة غنّاء ينظم النّدى بفروعها كالدرّ في الأسلاك

والبدْرُ يُشرق من خلال غصونها مثل الملبّح يطلُّ من شبّاك

ولشاعرنا العظيم قصيدة في رثاء بطرس غالى باشا من أبياتها :

فتشتُ ، لمّا لم تجد مقلى كفتوا ، عن الفضل لبيكى معى

ف قيل لى : قد سار فى إثره يوم دفنّاه ولم يرجع !

لم يقل شيئاً ، فقد أسرف الشعراء فى مثل هذا ، ومنه قول أبى تمام :

ولم أنس سعى الجود خلف سريره بأ كسف بال ، يستقيم ويطلع

وما كنت أدري ، يعلم الله ، قبلها بأن النّدى فى أهله يتشيع

ولك فى هذه الصّورة الكثيرة الوجوه والنواحي ما يدلّك على اختناق الروح

الفنى فى قول شاعرنا :

سار ولم يرجع ... ، ول بعضهم فى هذا الباب :

نوى الجود والكافى معاً فى حفيرة لئانس كلّ منهما بأخيه

وقال الحسين بن مطير الأسدى :

ولمّا مضى معن مضى الجود والنّدى وأصبح عربن المكارم أجدا

قال صبرى :

يانازلاً بين وفود البلى آنستهم يأموحش الأربع

وقال شاعر قديم :

أمّا القبور فأتتهنّ أوانس بجوار قبرك ، والدبار قبور

ولابى بكر بن الصائغ :

لئن أنست تلك القبور بلحدهم لقد أوحشت أقطارُهُ وقصورُهُ
وعلى هذا المنهاج درج البهاء زهير فى قوله يرئى بعض أصحابه :
الدارُ من بعدك قد أصبحت فى وحشةٍ يا مؤنس الدارِ
ولولا القافية وعنادها لقال يلمؤنس القبر ، وقد توسع المعرى فى هذا المعنى
فقال يرئى الشريف الطاهر الموسوى :

إن زاره الموتى كسائم فى البلى أ كفان أباج مكرم الأضياف
قال صبرى :

عيني فيك اليوم (قبطية) تروى الأسمى عن (مسلم) موّجِع
والشطر الأول من هذا البيت صبرة ناطقة من قول ابن خفاجة الأندلسى :
عيني به عين مجوسية تعبد من وجنته نارا
ومسلم من رواية الحديث ، وهذا هو التوجيه عند البديعيين ، ومنه
قول ابن نباتة المصرى :

ملك باهر المكارم يروى وجه لقياه عن (عطاء) و (بشر)
ولغيره فيه :

عن (نافع) وصّله روى كما روى المهجر عن (ضرار)
ومن أجود ما قيل من هذا النوع قول ابن رشيق القيروانى فى الأمير نجم
ابن المعز :

أصح وأعلى ما محمناه فى الندى من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث تروىها السيول ، عن الحيا عن البحر ، عن كف الأمير نجم
وقد عدوا الغاية فى هذا الباب قول علاء الدين الوداعى :

من أم بآبك لم تبرح جوارحه تروى أحاديث ما أوليت من من
فالعين عن (قرّة) والكف عن (صلت) والقلب عن (جابر) والأذن عن (حسن)
وبيت صبرى إذا قيس بهذا المقياس وأعنى من عيب التقليد وقع فى النمط
الأول والمنزلة العليا من هذا النوع ، وليس هذا بسبيلنا فنحن نريد إطلاق الروح

الفنى وتحريره من أمثال هذه القيود الصناعية التى ذهبت بمجد الأدب ، وأفسدت ما له من قوانين وأحكام . ولقد بلغ من أمر رجال المدرسة البديعية الذين أحدثوا هذه البدع المنكرة فى عالم الشعر أن جعلوا أشعار الفحول من غير فريقتهم فى المنزلة الثانية ، وحسبك من هذا العيب أن ترى ابن حجة شيخ علمائهم يبالغ فى التشجيع لفنه حتى ليكاد يقضى لصنى الدين الحلى وابن نباتة على المتنسب فيما وصف به قصيدتين لهما فى معارضة أبى الطيب ، وقد جعلنا موضوع هذه المعارضة قصيدته اللتين يقول فى مطلع احدهما :

بأبى الشمس الجانحات غواريا اللابسات من الحرير جلابيا
ويقول فى مطلع الثانية :

أرقى على أرقى ، ومثل يارق وجوى يزيد ، وعبرة تفرق
فقال صنى الدين :

أسبلن من فوق النهود (ذوائبا) فتركن حبات القلوب (ذوائبا)
وقال ابن نباتة :

ما بت فيك بدمع عيني (أشرق) إلا وأنت من الغزالة (أشرق)

وكل هذا من أجل ذوائب وذوائب ، وأشرق وأشرق ، وهم يسمون هذا النوع الجنس التام ويكثر منه ، فانظر أى شيء من السمو الفنى فى هذه الصناعة ! وإليك لونين من قصيدة ابن نباتة فتذوقهما وارجع الى أثرها فى نفسك لترى أيهما هو الشعر ، قال :

يمتاز من دمعى عليك ذوو البكا فاعجب له من (سائل) يتصدق
يا حبذا ليل (نبيع) به الكرى لكننا (لا عن رضى تفرق)
ما مررتنى أن (الكُميت) بحسبها محوى الشقاء ، وأن قودى (ألق)

هذا هو اللون البديعى أو الصناعى ، فانظر ما يقول بعد هذا ولك الحكم :

قوم لذكراهم على مصحف الملى أصل الفخار ، وكل ذكر ملحق
الملك بعض ديارهم ، فليزلوا والنجم بعض جودهم ، فليرتقوا

هذا ولا ريب خير اللونين ، وأقوم السيلين . ولنا نغادى البديع فى ذاته فهو

عنصر فني كبير الشأن ، ولكننا نكره أن يكون صناعة فاشية ، وأن يكون له مثل تلك الغلبة وذلك الطغيان . انظر الى قول عبد المطلب جدّ النبي ﷺ :

لا ينزلُ المجدُّ إلا في منازلنا كأنوم ليس له مأوى سوى المقل
فذلك هو « الاستطراد » عند البديعيين ، ومنه قول القاضي الفاضل :
فكأنني ألفٌ ولامٌ في الهوى وكأن موعداً وصلكم تنوينُ
هذه ملحمة لا شك فيها ، ولكن أين هي من ذلك الجلال وتلك الفخامة ؟
ومن مصلح القوم في باب الاستعارة قول ابن رشيقي :

بادرْ الى الذاتِ ، واركب لها سوابقَ اللهورِ ذواتِ المراحِ
من قبل أن ترشفَ شمسُ الضحى ريقَ الغواصي من ثغورِ الأفاحِ
وقول الوليد بن حيان الشاطبي :

فوق خدِّ الرودِ دمعٌ من عيونِ السحبِ يُذرفُ
برداءِ الشمسِ أضحى بعد ما سال يُجففُ

ومن مختار ما يقع في هذا الباب قول مجير الدين بن تميم :
وليلةٌ بتُ أسقى في غياهبها راحاً تسُلُّ شبايى من يدِ الهرمِ
ما زلتُ أشرها حتى نظرتُ إلى غزالةٍ الصبحِ ترعى نرجسَ الظلمِ
كلّ هذا مستحسن ، وجميل أن يقول ابن سكرة أحد غلاتهم :

قيلَ ما أعددتَ للبرِّ دِ ، فقد جاء بشدةٍ
قلتُ درّاعةً عرى تحنها جُبّةٌ رعدةٍ

ولكن أين هذا من قول ذى الرمة :
أقامت بها حتى دوى العودُ في الثرى ولفَّ الثريا في ملاءةِ الفجرِ
وقول الراعي :

هم كاهلُ الدهرِ الذي يتقى به ومنكبُّه ، إن كان للدهرِ منكبٌ

انظر الى الاعرابي كيف يتوقر في شعره فيقول « إن كان للدهر منكب » وتأمل حاله وحال من يجعل من العرى درّاعة ، ومن الرعدة جبة ، وإن العتلى لمواطن يصفر فيها حتى ليكاد يزدرى ، فن هذه المواطن الذميمة قوله في سيف الدولة :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تُنلقى عليه الجوازُ
ليس بهذا ومثله بلغ المتنبي ما بلغ من شرف باذخ ومجد عظيم ، وأية قيمة لهذا
البيت الذي هو أشبهُ بأشعار النحاة بعرض قوله في هذه القصيدة :

وقفت ، وما في الموت شكٌ لو أقفِ
كأنك في جفن الردى ، وهو نائمٌ
تمرُّ بك الأبطالُ كلِّى هزيمةً
ووجهك وضحاً ، ونفركَ باسمٍ
ضمت جناحيهم على القلبِ ضمةً
تموتُ الخوافى منها والقوادمُ
بضربِ آتى الهاماتِ ، والنصرُ غائبٌ
وصارَ إلى اللبّاتِ والنصرُ قادمٌ
قال صبرى :

يا مَنْ سقانى الجَمَّ مِنْ وُدِّهِ
هذا ودادى كلُّهُ فا كرعِ
وقال أبو تمام :

ولقد أتيتك صادياً ، فكرعتُ في
شِمْمِ الدِّمِ مِنَ الرُّلالِ الباردِ
وللشريف الرضى :

سقانى على القربِ كأسَ الاخا . مطلولةً بنسيمِ الصفا
فهذا كلُّهُ من منبعٍ واحدٍ ، ومن أشهر شعره تلك القطعة الرقيقة التى
يقول فيها :

أقصرُ فؤادى ، فالدكرى بنافعةٍ ولا بشافعةٍ فى ردِّ ما كانا
جرى فى قوله « بنافعة ولا شافعة » على مشهور قول الناس ، وقد سبقه البهاء
زهير إلى ذلك فقال :

أرْحَنِى مِنْكَ حَتَّى لَا أَرَى مَنظَرَكَ الوعرِ
فقد صرتُ أرى مُبعدَكَ عَنِّى الرَّاحَةَ الكبرى
فما تنفعُ فى الدَّنيَا ولا تشفعُ فى الأخرى
ومن هذا القبيل قولهم « الفاعل التارك » ولنور الدين العسيلي فى فاعل على
لغة أصحاب الأعمال عندنا :

وفاعله يتركى عامداً وهو لرقى فى الهوى مالكى

أقول للناس : ألا فاعجبوا من صنع هذا « الفاعل التارك » !

ومعنى البيت كله من قول المتنبي :

ولا يَرُدُّ عليك الفأيتَ الحزنُ

قال صبري يخاطب فؤاده :

سلا الفؤادُ الذي شاطرتُه زمناً حملَ الصبابة ، فافحق وحدك الآنا

الصورة في هذا البيت معكوسة ، والمعنى غير مستقيم ، فقد أراد الشاعر أن يقول لقلبه إن القلب الذي كان يشاطرك حمل الصبابة قد سلا ، فأجرى فعل المشاركة على قلبه هو ، وأنت ترى أن وقوع الفعل من قبَله يُعفيه من عناء هذا السلو ، ويريمه من ذلك العبء الذي كان يحمله ، وإذا فلا معنى لأن يفحق وحده ، ومعنى البيت على الوجه المستقيم من المعاني المطروقة لانتخاذه صورة الحكاية التي قل أن يخلو منها شعر الحب ، أو تدعها السنة المحبين ، فمن ذلك قول بعضهم :

أشكو الذين أذاقوني محبتهم حتى إذا أيقظوني للهوى رقودوا

وقول الشريف الرضي :

أحذاك حرَّ الوجدي ، غير مُسامٍ وسقاك كأسَ الهمِّ غير مُماقرٍ

وفي معنى شمانة الشاعر بقلبه وقوله (فافحق وحدك الآنا) يقول عبيد الله ابن عتبة :

فَدُقْ هجرَها ، قد كنتَ تزعم أنه رشادٌ ، ألا فائأر بما كذب الزعم

وللطغرائي في معنى البيت كله :

يا قلبُ مالك والهوى من بعد ما طاب السلو وأقصر العشاق ؟

أو ما بدالك في الإفاقة ، والأثلى نازعتهم كأس الغرام أفاقوا ؟

مرض النسيم وصح ، والداء الذي أشكوه لا يُرجى له إفراف ؟

وهذا خفوق البرق ، والقلب الذي تطوى عليه أضالي خفاق ؟

وهذا ابن وكيع يقول في معنى الشمانة بالقلب :

لقد شمت بقلبي لا فرج الله عنه

كم لمت في هواه فقال : لا بُدَّ منه ؟

قال صبرى :
هلاً أخذت لهذا اليوم اهبتُهُ من قبل أن تصبحَ الأشواقُ أشجاناً
أخذُ الأعبةَ للامر قبل وقوعه مما كثر القولُ فيه ، ولكننا من هذا البيت أمام
أمر لا يحلُّ مثله عقدة ، ولا نؤخذ له عُدة ، وقد يستقيم قول بعضهم :

أقول لها ، والدَّمعُ يغلبُ صبرها أَعِدَّتْى لفقدي ما استطعتِ من الصبرِ
قد يستقيم هذا ، وقد يكون مقبولا كذلك قول ابن المعتز :

كلما فُكِرَ في الهجرِ بكيً ويحْتُ يبكى لما لم يقعِ
فأما أن يأخذ الحبُّ عدته لسلو الحبيب أو لغدره فلا معنى له سوى انتقاض
الحب وفساد العلاقة ، ومثل هذا وإن جرى في القول مجرى الملح فليس بشيء في
مقام النقد ومعرض البحث والنظر ، ومن هذا العبث قول ابن رشيق والمعنى في
البيت الأول مسخر للغرض المتمثل في البيت الثاني :

فكرتُ ليلة وصلها في صدّها فجرت بقايا أدمعى كالعندمِ
فطفقتُ أمسحُ مقلتي في نحرها إذ عادةُ الكافورِ إمساكُ الدَّمِ
إن حال صبرى في هذا البيت لقريبٌ من حال ذلك الشاعر الذى يقول :

ولمّا نزلنا على زمزمِ ونحن نريد طوافَ الافاضةِ
بكيتُ فقالت : على مَ البنكا ؟ فقلتُ : على الودِّ أخشى انتقاضه
فقلت : فكنتك من عاشقِ تُشمرُ ذيلك قبل الخاضةِ
فقلتُ : صدقتِ ، ولكننى أعلمُ نفسى طريقَ الرياضةِ

يرى صبرى في هذا البيت بين الأشواق والأشجان منزلة ، وأن الأولى أخفُّ
محملاً ، وأيسرُ عناءً ، وإذا فقد كان قلبه يستطيع أن يتخذ العدة والأشواق
وحدها هى الغالبة عليه ، أفهذا من جد القول وصحيح الكلام ؟ لعل قول
الشاعر الحكيم (لا يعرف الشوق إلا من يكابده) إنما أُعيد لهذا الذى يقوله
شاعرنا العظيم ، وارجته لقبيسُ لبني إذ يقول :

فواكبدي من شدّةِ الشوقِ والجوى وواكبدي ، إني الى الله راجعُ !

وهذا آخر يصف لنا الشوق فيصدق :

رَعَى اللهُ مَنْ هَامَ الْفَوَادُ بِحُبِّهِ وَمَنْ كَدَتْ مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِ أُطِيرُ

وانظر الى الشهيد عروة بن حزام إذ يقول لثافته :

مَتَى نَجْمِي شَوْقِي وَشَوْقَكَ نَظْمِي وَمَا لَكَ بِالْعَبْرِ الثَقِيلِ يَدَانِ

هو الشوق منذ العهد الأول ، لم يحُلْ عن طبيعته ولم يتغير ، هو الذي قال فيه مسلم بن الوليد (أغرى به الشوق ليلَ الساهر الرَّمِدِ) وقال فيه أبو تمام :

هَذَا مُحِبُّكَ أَدَمَى الشَّوْقُ مُهْجَتَهُ فَكَيْفَ تُنْكَرُ أَنْ تَدَمَى مَا قَبِي ؟

ووصفه في مكان آخر فقال :

لَنْسَارُ نَارُ الشَّوْقِ فِي كَبِدِ النِّفَى وَالْبَيْنُ يُوقِدُهُ هَوَى مَسْمُومُ

خَيْرُهُ لَمْ يَنْ أَنْ يُخَامَرَ صَدْرُهُ وَحَشَاءُ مَعْرُوفُ أَمْرِي عَمَّكُومُ

أنا آنيك بصبري نفسه ينقض ذلك الفول وينادي أن الأشواق عنصر ناري ، وأنها هي والأشجان بمنزلة واحدة ، فاسمع ماذا يقول في قطعة أخرى :

يَا مَنْ أَقَامَ فَوَادِي إِذْ تَمْلِكُهُ مَا بَيْنَ نَارَ بْنَ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ شَجْنٍ

الحمد لله ، ظهر الحق واستبان السبيل ، ونحن نضع الآن هذه القطعة الأنيقة بين يدي النقد ، وإنا لنرى هذا البيت كثير التطلع في منهجه ومرماه الى قول أبي جعفر بن البني :

يَا مَنْ يَمْدَنِي لِمَا تَمْلِكُنِي مَاذَا تَرِيدُ بَعْدِي وَإِضْرَادِي ؟

وقد تم المراد في هذا البيت ، وحلا بيت صبري من كل شيء ، فهو لا يفيد معنى في ذاته ، ولا يعطيك صورة مستقلة من نفسه ، وهذا من عيوب الشعر ، وفي النارين والاستعانة بهما على تزيين الكلام وتنميقه يقول أبو نواس :

صَلَيْتُ مِنْ حُبِّهَا نَارَ بْنَ : وَاحِدَةً بَيْنَ الضُّلُوعِ ، وَأُخْرَى بَيْنَ أَحْشَائِي

ويقول الخطيب الحمصكي :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مِنْ نَارِ بْنَ : وَاحِدَةً فِي وَجْنَتَيْهِ ، وَأُخْرَى مِنْهُ فِي كَبِدِي

قال صبري :

تَعْدِيكَ أَعْيُنُ قَوْمٍ حَوْلَكَ أَرْدَهَتْ عَطَشِي إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ وَجْهِكَ الْحَسَنِ

وفي معنى ازدحام العيون حول هذا المورد العذب يقول الشيخ أبو الفضل بن أبي الوفاء :

على وجنتيه جَنَّةٌ ذاتُ بهجةٍ ترى لعيونِ الناسِ فيها تزاها
ولأبى تمام :

إنَّ حزني علىَّ ، لا بل عليكِ بل على مُهجةٍ تسيل لديكِ
أنتِ تُزهي بصورة غدت الأب..... صارُ من حُسنها وراحت عليكِ
وقال :

لَهْفَ نَفْسِي علىَّ ، لا بل عليكِ أنْ تجولَ العيونُ في خديكِ
وعزيرٌ علىَّ أنْ تجتني الأب..... صارُ زهرَ الربيعِ من وجنتيكِ
وللعلاء الدين المارديني :

قد كَتَبَ الحُسْنُ على وجهي : يا أعينَ الناسِ ، فني وانظري !
فأما حُسْنُ الوجوه وما فيه من ماء هو رُى العيون الظماء والقلوب الحائِمة ،
فليس هذا بأول المهد به ، وهذه طائفة من أخباره . قال ابن خفاجة الأندلسي :

أما ترى الماءَ على وجهي يجولُ ، والنارَ على وجنتيه
فوجهي رِيًّا كطرفي به وَخَدُهُ وَقَدَأَ كقلبي عليه
وقال :

تَرَقَّرَقُ ماءُ مُقْلَتَيَّ ووجهي وَيَذْكُو على قلبي ووجنته الجُرُ
ولبعضهم :

أشكو الصَّدَى أبدأ وما الحسنُ في خَدَّيْهِ جارٍ
ومن الاثنان في هذا الباب قول الآخر :

لم تَرِدْ ماءَ حَسَنِكَ المينُ إِلَّا شَرَقَتْ قَبْلَ رِيِّهَا بِرَقِيبٍ
وهل أناك حديث « أفواه المني » ترشف ذلك الماء ثُمَّتْ تصدر ظمأى وأنت
تظنها رواء ؟ قال صاحب الرحانة :

ماءَ الجَمالِ في رياضِ خَدَّها وَرَدُّه بأفواهِ المني مُسْتَضْبُ

ولابن خفاجة الأندلسي :

فكاد يشربُ نفسي وكدتُ أشربُ خدُّهُ ١

ومثله أو قريبٌ منه قول الآخر :

يكاد أن يشربه إذا تبدى نظري ١

ونحن نختم هذا الباب ببيتين قيل إلهما للمهلب في غلام تركي جعله معز الدولة قائد جيش سيّره لقتال بني حمدان ، والشاهد في قوله (يروق الماء في وجناته) ، قال :

ظبي يروقُ المساء في وجناته ، ويرقُ غودُهُ
جعله قائدُ عسكرٍ ضاع الرّاعيلُ ومن يقوده

قال صبري :

جردت كلّ مليح من ملاحظته لم تتق الله في ظبي ولا عُصنـ
فاستبق البدر بين الشهب رُبته تملكه في أوجه عبداً بلائمن
الظبي والعُصن والبدر ، أو الشمس حيناً ، هذا هو مدار القول عند الأولين
إذ يبالغون في وصف الجمال . جاء صبري بهذه المجموعة في البيتين لسكيلا يفوت
شيء ، وليكون قوله في البيت الأول (جردت كلّ مليح من ملاحظته) متناولاً
كل ما يقع في معناه ، أو يقوم تحت حكمه ، فلو لم يذكر البدر لاضطربت (كلّ)
في مكانها ، وفقدت الشطر الأكبر من قوتها وسلطانها ، وما أظنّ البراعة في وصف
الجمال ، أو المبالغة فيه على وجه الإجمال ، قد فارقت بيت البحرى الذى يقول فيه :
أعطيت بسطة على الناس حتى هي صنف ، والناس في الحسن صنف

ومن الشعر الجامع في هذا الباب قول بعضهم :

كلّ حُسن في البرايا قهوّ منسوب اليك

وأبلغ من هذين قول عبدا لله بن عبدا لله :

سلمى : وما سلمى ؟ تفوق المئى والحسن أوصافاً وألواناً

ولبحرئى في المجرى الذى تتبعه صبرى ، وهو عندي في المحل الثانى :

فيمى الشمس بهجة ، والقضيب خض لنا ، والرّيم طرفاً وجيدا

وله :

في طلعة الشمس شيء من ملاحظتها وللقضيب نصيب من تنسبها
وقال مهباز الديلمي :

سلاطية الوادي ، وما الظبي مثلها وإن كان مصقول الترائب أكحلا :
أنت أمرت البدر أن يصدع الدجى وعلمت غصن البان أن يتميلا ؟

وهذان شاعران ، هذا يتهم موصوفه بالسرقة من الظبي والفصن ، وهذا يتهم
الغزلان بالسرقة من موصوفه ! قال الأول وهو أبو الفتح بن عبد السلام المغربي :
سرقَ الجيّدَ والحافظَ من الظبي ، ولينَ القوامَ من غصنِ بانٍ
وقال الثاني وهو القطب المكي :

ما أرى الغزلانَ إلا سرقاً منك جيداً والتفاناً وحداقاً
ثم خافت ، فتولت شرّداً كيف لا يشرّدُ خوفاً من سرق ؟

أما ما قيل في البدر وحده ومنزلته من الموصوف بالجمال من قبل أن يتناوله
صبري ويضعه في ذلك المكان ، فهذا طرف منه ، قال عبد الله بن المعتز :
كدت أقولُ البدرُ شبهة لها أجعلها كالبدْرِ ؟ حاشاها !

وقال الشيخ زين الدين بن الوردي :

وبى أغيد من حصنه البدر خائف على نفسه ، والنجم في القرب مائل

نريد أن نقرب من غرض صبري ، ففي هذا البيت أن البدر خائف على نفسه
وترجمة هذه العبارة في بيت صبري (واستبق البدر بين الشهب رقبته) أي أنه خائف
فاعطه الأمان ، فبقى أن يكون عبداً ، أو عبداً بلائمن ! واليك ما يقوله أحد الشعراء :
في النوم عني ، يا لقومي ، مهفّف غلام ، ولكنّ الهلال غلامه !

لعلك تقول أين الغلام من العبد ، وهل الهلال كالبدْر ؟ ليس لك أن تقول
هذا ، ولكني موافق فذاكرتك قول القاضي محي الدين بن عبد الظاهر :

وأنت تعظمُ عندي أن يُسمى البدرُ عبدك !

سنقول وابن موضع (بلائمن) من الشعر القديم ؟ الجواب عند البهاء زهير ،

قال :

لَكُمْ الرُّوحُ وَالْبَدَنُ لَكُمْ السَّرُّ وَالْعَلَنُ

أَنَا عَبْدُهُ مَلَكْتُمُوهُ ، وَلَكِنْ بَلَا ثَمَنًا !

قال صبرى من قطعة أخرى :

يَا آسَى الْحَيِّ ، هَلْ فَتَشْتَ فِي كَبْدِي ؟ وَهَلْ تَبَيِّنْتَ دَاءً فِي زَوَايَاهَا ؟

أَوَّاهُ مِنْ حُرْقٍ أودتْ بِمَعْظَمِهَا وَلَمْ تَزَلْ تَتَمَتَّئُ فِي بَقَايَاهَا

يقال فتش الشيء وفش عنه ، فقلوله (فتشت في كبدي) خطأ لغوي ، وقد ورد هذا الفعل على وجهه الصحيح في غير ما موضع من الشعر ، قال المتنبي :

طَلَبْتَهُمْ عَلَى الْأُمُوَاهِ حَتَّى تَخَوْفَ أَنْ تُفَتِّشَهُ السَّحَابُ

وقال أبو الحسن التهامي :

وَلَرُبَّمَا فَتَشْتَ بَعْضَ عَطَائِهِ فَوَجَدْتَ فِيهِ السَّيِّدَ الْبُهْلُولَا

ولأحد الشعراء :

يَا وَجَّحَ قَلْبِي مَا خَلَا مِنْ شُغْلِهِ بِصَبَابَةٍ وَحُبَّةٍ مُمَذَّكَانَا

لَوْ فَتَشُوهُ ، لَمَارَأَوْا السَّوَى الْهَوَى فِيهِ ، وَلَا غَيْرَ الْغَرَامِ مَكَانَا

وفي هذه الزوايا التي ذكرها صبرى يقول البهاء زهير :

وَبِمَيْلٍ بِي لِحْوَةِ الصَّبِيِّ قَلْبُهُ رَفِيقُ الْحَاشِيَةِ

فِيهِ مِنَ الطَّرَبِ الْقَدِيمِ بِقِيَّةٍ فِي الزَّوَايَةِ

ولناصح الدين الأرجاني :

تَأَمَّلْ تَحْتَ ذَاكَ الصَّدْغِ خَالًا لَتَعْلَمْ كَمْ خَبَايَا فِي الزَّوَايَا !

فأمَّا تلك البقايا الواردة في البيت الثاني فحسبك من قديم ذكرها ما نسوقه اليك ، قال الشاعر :

وَمَا أَبْقَى الْهَوَى وَالشَّوْقُ مِنْى سِوَى رُوحِ رَدَدَدٍ فِي خِيَالِ

وقال آخر :

لَمْ يُبْقِ مِنْ كَبْدِي شَيْئًا أَعِيشُ بِهِ طُولُ الصَّبَابَةِ ، وَالْبَيْضُ الْعَطَابِيلُ

ولأبي بكر بن دريد :

انّ الذي أبقيت من جسمه
صباية لو أنّها قطرة
وقال البهاء زهير :

لك الحياة فاني
لم يبق مني الا
وقال :

لم يبق غير حشاشه من مهجتي ، وأخاف أن لا

وما أكثر الشبه بين البيت الثاني من هذه القطعة وبين قول المتنبي يذكر
خروجه من أرضه قطعها :

حتى وصلت بنفس مات أكثرها وليتني عشت منها بالذي فضلاً

لشاعرنا الكريم أبيات من جسد شعره في معنى الوداع ناجي فيها قلبه ، لا يدري
أهو إن حمّ الفراق ناصره ، أو هو مُسلمه فخاذله ، ووصف ساعة البين يعصف
بالأحباب ، وأنها قطعة من العذاب ، وأنت تراه يجود بروحه فداء لمن يرفق به
فيمحو هذه الساعة الشديدة الهول من صحيفة المقدور ، قال :

أترى أنت خاذلي ساعة التو ديع يا قلب في غد ، أم نصيري ؟

ويك قل لي متى أراك بجنبي راضياً عن مكانك المهجور ؟

ساعة البين ، قطعة أنت قدت للمحبين من عذاب السعير

لا تحيني - روى الفداء لمّا حيي لك غداً من صحيفة المقدور

يناجي الشاعر قلبه في البيت الأول مناجاة الحاضر معه ، ثم ينظر فلا يراه ،
وينصت ليسمع جوابه فلا يجد سوى صده ! هو في البيت الثاني غائب عن مكانه
المهجور لا يعطف عليه ، ولا يرضى عنه فيرجع اليه — هذا هو التدلّه ، وإنّه
لشفيع ووجيه لمن يُصاب به فيخالف هواك ، أو يعدل بك عن السبيل ، هو
التدلّه ، فإن أبيت فهو التلاعب البياني ما للشاعر المتصرّف في فنون الكلام منه
بدّه ، ولا لك عليه من سلطان وهو يأخذك به — أفان صبري بعد البيت الأول
من ذلك التدلّه ، أو هو قد جرى على منهاجه في هذا التلاعب ، فإذا به يسأل قلبه

متى أنت راجع ؟ وما تصنع القلوب والجنوب بلاقع ؟ جرى صبرى فى هذا على
سنة الأولين ، فوضع قلبه بين قلوبهم ، وضم جنبه الى جنوبهم ، وهذا هو
المثلبى يقول :

أَنْظَعْنَ يَا قَلْبُ مَعَ مَنْ ظَلَعْنَ حَبِيبِينَ ؟ أَنْدُبُ نَفْسِي إِذْنُ ؟
وَلَمْ لَا تُصَابُ ، وَحَرْبُ الْبَسُو سَيِّئَ الْجَفُونِ ، وَبَيْنَ الْوَسْنِ ؟
وَهَلْ أَنَا بَعْدَكُمْ عَائِشٌ وَقَدْ بَانَ قَلْبِي ، وَبَانَ السَّكْنُ ؟
ولأبيوردى :

ظلعنوا ، فما لك لا تفارقهم يا قلبُ إن ظعنوا ، وإن حطوا ؟
وما أشبه صبرى بابن ميادة إذ يقول :

فوالله ما أدري ، أيفلبنى الهوى إذا جدَّ جدُّ البينِ ، أم أنا غالبه
وفى معنى البيت الثانى يقول صنى الدين الحلى :

هَجَرْتُ بَعْدَكَ الْقُلُوبَ الْجُسُومَا حِينَ أُمَسْتَ مِنْكَ الدِّيَارُ رُسُومَا
وأقربُ من هذا الى غرض صبرى قول ابن المعتز :

سَأَلْتُ جِسْمِي عَنْ سَاكِنِهِ وَمِنْ الْجَهْلِ سُؤَالُ الطَّلَلِ
وَمَا يُنْسَبُ إِلَى غُرْدِ الْمَوْسُوسِ :
فَلَمَّا تَوَلَّوْا وَلَّتْ النَّفْسُ فِيهِمْ فَقُلْتُ ارْجِعْ أَقَالْتُ : إِلَى أَيْنَ ارْجِعْ ؟
إِلَى جَسَدٍ مَا فِيهِ لَحْمٌ وَلَا دَمٌ وَمَا هُوَ إِلَّا أَعْظَمُ تَتَقَعَّمُ
وللبورينى :

مَنَازِلُ هَذَا الْقَلْبِ كَانَتْ أَوَاهِلًا وَمَا هِيَ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ طُلُولُ ؟

فأما ساعة البين وانها قطعة من العذاب أو أشد ، فمن الشائع المتواتر ، ومنه قول
أبى بكر الزبيدى :

مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ عَذَابٍ أَشَدَّ مِنْ وَقْفَةِ الْوَدَاعِ !
وقول أبى تمام فى الآيات الثلاثة :
أَمَّا الْهُوَى فَهُوَ الْعَذَابُ فَإِنْ جَرَتْ فِيهِ النَّوَى ، فَالَيْمُ كُلُّ أَلِيمِ

قالوا الرحيلُ فما شككتُ بأنّها نفسى عن الدنيا تريدُ رحيلاً

أظنّه البينُ حتى أنه رجلٌ لو مات من شغله بالبين ما علمنا !
وقال احمد بن عبد ربه :

يا سقيمَ الجفونِ من غير سقمِ بين عينيكِ مصرعُ العشاقِ
انّ يومَ الفراقِ أصعبُ يومِ ليتنى متُّ قبلَ يومِ الفراقِ
ولبعضهم :

والله ما فارقتهم لكننى فارقْتُ قلبي
وللبهاء زهير :

أنت الحياةَ ومن تَفا رقةُ الحياةَ فكيف حاله !

في البيت الرابع من أبيات صبرى معنى، يبدو كأنه طريف ، فهو يبذل روحه
أو (جائزة) لمن يحو ساعة الفراق من صحيفة المقدور ، وعلى هذا الوجه فهو يؤثر
أن يموت قبل أن تحين هذه الساعة ، وهنا يلتقى هو واحمد بن عبد ربه في قوله
(ليتنى متُّ قبلَ يومِ الفراق) ويبقى له بعد ذلك نحو الساعة من الصحيفة ، واقتطاعها
من الغد أو من الزمن ، وهذا شاعر قديم يجاوز هذا الحد فلا يريد الا أن يزول
الغد كله من مجموعة الدهر وجريدة الايام ، قال :

قالوا الرحيلُ غداً ، عدمتك يا غداً !

ومن الصوَر الواردة في هذا الباب قول البحترى :

يا يومُ عرجٍ ، بل وراءك يا غداً قد أجمعوا بيناً ، وأنت الموعِدُ

ومنها قول كلثوم بن صعب ، والشاهد في البيت الثاني :

دما داعياً بينَ ، فن كان باكياً معى من فراق الحى ، فليأتنى غداً
فليت غداً يومٌ سواه ، وما بقى من الدهر ليلٌ يحبسُ الناسَ مرمداً
لتبكِ غرائبقُ الشبابِ فأنى إخالُ غداً من فرقة الحى موعداً

وهذه صورة أخرى في آخر لابن المعتز ، قال :

طوّلَ في أبولٍ شهرُ الصيامِ وما قضينا فيه حقَّ المدامِ

والله لا أرضي عن الدهر ، أو يسرق شهر الصوم في كل عام !
فأنت تأخذ من جملة هذه الصور أن صبري لم يبتدع شيئاً في أمر ذلك المحو الذي
أرادته ، وهو جهدٌ مارمى إليه في تلك القطعة ، وأحب أن يذكر له ويؤثر عنه .
وهذه قطعة أخرى من شعره ، قال :

تمسى تذكرنا الشباب وعهدهُ حسناء مرهفة القوام فنذكرُ
هيفاء أسكرها الجمالُ ، وبعضُ ما أوقى على قدر الكفاية يُسكرُ
تنبُّ القلوب إلى العروس ، إذ أبدت وتُطلُّ من حدق العيون وتُنظرُ
وتبيتُ تكفرُ بالثُجور فلائدُ فاذا دنت من نحرها تستغفرُ
وتزبد في فما اللآلئ قيمةً حتى يسود كبيرهن الأصغرُ

تأتق الشاعر في صياغة هذه القطعة الفنية الرائعة وتلويحها ، واستعان على تأدية
أغراضه فيها بأسباب لطاف ، ووسائل ما في براعتها وحسن اتساقها من خلاف ،
وانما يتمشى النقد في هذه القطعة على الأغراض والمعاني ، وإن كان قوله (هيفاء)
في البيت الثاني بعد قوله (مرهفة القوام) في البيت الأول من فضول الكلام ،
وما أرى البيت الآخر صورة من قول المتنبي :

وفتاتٍ العيين ، قتالة الهوى إذا نَفَحَتْ شَيْخاً رَوَّاحُهَا شَبَاباً

ولقد بدأ الشاعر القطعة بتذكر الشباب وعهده ، وما برح هذا التذكر يستطير
رنيته في أشعار الماضين ، ويتجاوب صده في نفوس المتأدين ، قال منصور الخيري :

ما تنقضى حسرةً مني ولا جزعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُجمعُ
وقال المعري :

ولقد سلوتُ عن الشباب كما سلا غيري ؟ ولكن للحزين تذكرُ

وهذا من الأغراض العامة والمواطن المباحة ، وليس في هذا البيت من
الصُّور الفنية الخاصة أو المعاني المولدة ، ما هو من النظر بموضع أو من النقد
بسبيل ، وموضع ذلك في البيت الثاني حيث يقول الشاعر (هيفاء أسكرها الجمال)
وما أبرح ما لاقت النفوس من هذا الشراب الذي أسكر الشعر والشعراء ، فألممه
اغنية الحب ، وعلمهم كيف يرددون أنغامها الروحية الصافية على معازف الفن .
قال البحتري في معنى ذلك السَّكر :

وبومَ تَنَفَّتْ للوداع ، وسَلَّمَتْ
تَوَهَّمَتِها أَلْوَى بأعْطافِها الكرى
بمِئينِ موصولٍ بلحْظِها السَّحَرُ
كُرى النّومِ ، أومالتْ بأعْطافِها الحَرُ
وقال المتنبّي :

وغيضَتِ من الادلال ، سَكْرَتِ من الصَّبِي
ومن قول ابن هاني :
منعوكِ من سِنَةِ الكرى ، ومَرَوَا ، فلو
ودَعَوَكِ سَكْرَتِ ، ما سَقَوَكِ مدامةً
شَفَعْتُ اليها من شِبابي بَرِيقِ
عَثروا بطيفِ طارقِ ظَنوكِ
لَمّا تَمَائلَ عِطْفُكِ أَتَهْمُوكِ !
ولبعضهم :

يرنحها سُكْرُ الشّباب ، فتننّي
وزاد جمال الدين بن مطروح على كل هذا فقال :

نشوانُ ، ما شَرَبَ المدام ، وانما
قال صبري في البيت الثالث :

تَبُّ القلوبُ الى الرُّؤوسِ ، إذا بدتْ
حدّد الشاعر مرعى تلك الحركة التي تأخذ القلوب إذا بدت موصوفة بقوله
(تَطُلُّ وتَنْظُرُ) وهذا معنى فاسد ، لأن القلب لا ينظر من العين ، ولسنا في مقام
البحث العلمي ، فحسبنا شهادة الشعر ، قال بشرار :

يَزْهَدُنِي في حُبِّ عِبدَةٍ مَعشَرُ
فَقَلْتُ دَعُوا قَلْبِي وما اخْتارَ وارْتَضَى
قُلُوبُهُم فيها مَخالِفَةٌ قَلْبِي
فَبِالْقَلْبِ لا بِالْعَيْنِ يُبْصَرُ ذُو البِ
ولا تَسْمَعُ الأُذنانُ الأَمِنْ القَلْبِ
وما تُبْصَرُ العَيْنانُ في مَوْضِعِ الهوى
فان قيل إن بشراراً أعمى يفتصر لنفسه ، فهذه أقوال طائفة من المبصرين حاول
المعرى أن يتعلق بها فنفيها ، قال الشريف الرضي :

إذا تَوَجَّسَ كان القَلْبُ نَظَرَهُ
والقَلْبُ يَنْظُرُ ما لا يَنْظُرُ البَصَرُ

أغار عليه البهاء زهير فقال في المعنى :

إِنِّي عَشَقْتُكَ ، لا عن رُؤْيَةٍ عَرَضَتْ
فَقِيتُ مِنْكَ بأَوْصافٍ مُجَرَّدَةٍ
والقَلْبُ يُدْرِكُ ما لا يُدْرِكُ النَظَرُ
في القَلْبِ مِنْها مَعانٍ ما لها صُورَةٌ

وقال حسن بن محمد البوريني من شعراء الرميحة :

أحوّل وجهي حين يُقبلُ عامداً مخافةً واشٍ بيننا ورقيب
وفي باطني - والله أعلم - أعينٌ تلاحظه في أضلعهم وقلوب
ولصاحب الرميحة :

ونظره من قلبي الصبّ أعينٌ عليها لمعنى الضلوع حواجب
ولم هذا كله ؟ أما كان كافياً أن يقال (قلوبُ العاشقين لها عيون ؟) ولقد
أبصرت القلوب التي جعلها صبري ثوباً إلى الرؤوس بشهادته هو ، وليس بعد هذا
كلمة من دلائل على فساد المعنى الذي جاءنا به ، وانظر ما يقول أحمد الكيواني الشاعر
الدمشقي في المأخوذ في سلطان الجمال :

قلوبهم كلّها عيونٌ وكلّ أجسامهم قلوبٌ !

لو أنصف صبري لأعنى القلوب من ذلك الثوب ، أو لأطلقها من تلك القيود
التي احتجزتها وراء العيون ، ولسنا نكتم شهادة ذلك الشاعر الذي يؤمّ قوله أن
شاعرنا على شيء من الصواب ، وهذا ما لا يكون إلا على أضعف وجوه التأويل
وأدق مدارج الاستنباط ، ذلك هو شهاب الدين بن رضوان الغرناطي ، قال :

يا مَنْ اختار فؤادي سكناً بابُه العينُ التي رُمقه
فتحَ البابَ سُهادي بمدكم فاعشوا طيفكم بظلمة !

جعل العين باب القلب ، وهذا وصفٌ صحيح في أكثره وهو يحتمل مجوزاً أن يقال إن
وثوب القلوب إلى الرؤوس لتطل من حلق العيون وتنتظر انماها في حكم من يرى أمام داره
منظراً حسناً أو غير حسن من المناظر التي تنير النفوس فيهرع إلى الباب لينظر عن
قرب ، ولكن هل يستقيم هذا المثل والوصف جارٍ على القلوب ؟
تلك إحدى صورتين ، فأما الأخرى فحركة القلب في ذاتها وصلتها بالشعر
القديم ، وليس من هذه الصورة ما قيل في القلوب تطير شوقاً أو فزعاً ، ولكن
منها قول أبي تمام :

مشت قلوب أناس في صدورهم لما رأوك ثمشتي نحوهم قدما

البيت في معنى الفزع ، ولكن حركة القلوب فيه أشبه بها في بيت صبري ،
فهي تمشي هنا وثب هناك ، وبين المشي والثوب ما ترى من مجاور وقرب . ومن
هذا النوع قول المتنبي :

أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْقَسَمَهُمْ
وَقَوْلُهُ فِي الْخَيْلِ : يُجَدِّرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا

يُجَذِّبُ فِرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعْنَهُ
بِعِزْمٍ يَسِيرُ الْجِسْمُ فِي السَّرَجِ رَاكِبًا
وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ بِمَدْحٍ :

فَمَا لَيْتُ غَابَ يَسْلَبُ الْجَيْشَ بَأْسَهُ
إِلَى أَنْ يَقُولَ وَهُوَ الْمَوْضِعُ :

بَأَجْرًا مِنْهُ حَدٌّ بِأَسْرِ وَعِزْمَةٍ

وَهَذِهِ صُورَةٌ أُخْرَى مِنْ قَوْلِهِ تَكْشِفُ لَكَ عَنْ أَنْجَاؤِ آخِرِ هَذَا النَّوعِ الَّذِي
تَرَاهُ مِمثْلًا وَاضِحًا فِي بَيْتِ صَبْرِي ، قَالَ :

لَوْ تَسْتَطِيعُ قُلُوبُهُمْ تَفْذَتِ أَجْسَامُهُمْ ، فَتَصَافَتْ حُبًّا
قَالَ صَبْرِي :

وَتَبَيَّتْ تَكْفَرُ بِالْبُخُورِ قَلَائِدُ قَالَا ذَنْتُ مِنْ نَحْرِهَا تَسْتَغْفِرُ

هَذَا وَلَا خَفَاءَ مَعْنَى دَقِيقٍ هُوَ مِنْ أَبْعَدِ أَسْرَارِ الْفَنِّ غُورًا ، وَأَشَدَّهَا تَعَذُّرًا
وَأَمْتِنَاعًا ، تَنَاوَلَهُ شَاعِرُنَا الْقَدِيرُ فَصَوَّرَ لَكَ فِيهِ كَفَرَ الْقَلَائِدِ وَاسْتِغْفَارَهَا ، وَلَكَ أَنْ
تَقُولَ إِنَّ الْكُفْرَ لَا يَمْحَى بِالِاسْتِغْفَارِ ، وَأَنْ الْإِيمَانَ هُوَ الْمَطْلُوبُ فِي هَذَا الْمَقَامِ - ذَلِكَ
مِنْ أَحْكَامِ الْقَوْلِ وَشَرَائِطِهِ ، وَمَا بَكَ مِنْ شَطَطٍ حِينَ تَقُولُهَا ، وَلَكِنْ دَعِ هَذَا
نَاحِيَةً ، وَادْهَبْ مُتَعَدِّدًا فِي مَعْنَى الْبَيْتِ ، إِنَّكَ مِنْ هَذَا فِي الْمَطْلَبِ الْأَجَلِ وَالشَّأْنِ
الْأَعْظَمِ ، أَنْتَ مِنْهُ بَيْنَ صَوْرَتَيْنِ دَقِيقَتَيْنِ : صُورَةُ الْكُفْرِ وَصُورَةُ الْاسْتِغْفَارِ ،
وَلِعَلَّكَ تَحْزَنُ مَعِيَ لِهَاجَةِ هَذِهِ الْآيَةِ الْفَنِيَّةِ الرَّائِعَةِ بَعْدَ قَوْلِ مَهْيَارَ :

كَفَرْتُ وَجُوهُهُمُ الْبُدُورُ وَأَمَنْتُ لَا كَفَهُمْ أَيْدِي السَّحَابِ ، فَكَفَّرْتُ

جَاءَ مَهْيَارُ بِالْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ مَعًا ، وَجَاءَ بِهِ وَبِالْمَقْوُوقِ جَمِيعًا أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْقَوُوطِيَّةِ
الْأَنْدَلُسِيُّ إِذْ يَقُولُ فِي السُّوسَنِ وَالْوَرْدِ :

كَأَنَّمَا ارْتَضَعَا خَلْقِي مَعَهَا

جَمْتَانِ قَدْ كَفَرَ الْكَافُورُ ذَاكَ وَقَدْ عَقَّ الْعَقِيقُ أَحْمَرَاؤَا ذَا ، وَمَا ظَلَمَا

نتعلم من هذا أن الكفر قديم في باب المفاضلة بين الأشياء ، فها هو من شاعرنا
بيدع ، وإنا لنرى حُسنًا كثيرًا في قوله تستغفر على أنها كلمة مستقلة لا يحكمها
ضابط ولا يسيطر عليها نظام ، وما هذا الحسن الكثير إلا ترجمة همس الحلى
ووسوسة تلك الترجمة البديعة فإذا أنت منها في لغة فصيحة ، وإذا الاستغفار قائم في
هذه اللفظة ، وفي هذا الهمس أو الوسواس ، يقول العجاج :

تَسْمَعُ لِلْحَلَى إِذَا مَا وَسَّوَسَا وَالْحَجَّ فِي أَجْيَادِهَا وَأَجْرَسَا
زَفَزَفَةَ الرِّيحِ الْحَصَادَ الْيَبِيسَا

ويقول حاتم الطائي :

إِذَا انْقَلَبْتُ فَوْقَ الْحَشِيبَةِ مَرَّةً تَرَنَّمُ وَسَّوَسَ الْحَلَى تَرَنَّمَا
وقد جرى أبو تمام والبحرئى في هذا المضمار على غرارَيْهِمَا من حيث الصناعة ،
فقال الأول :

وَإِذَا مَشَتْ تَرَكْتُ بِقَلْبِكَ ضِعْفًا مَا بِحُلِيِّهَا مِنْ كَثْرَةِ الْوَسَّاسِ
وقال الثاني :

إِذَا هِجَنَ وَسَّوَسَ الْحَلَى تَوَلَّعْتُ بِنَا أُرْجِيَّاتُ الْجَوَى وَالْوَسَّاسِ
وأخذ شهاب الدين الحاجي معنى بيت أبى تمام فقال (حَلَى يُوَسَّسُ في
صدور الناس) وأكثرُ اللفظ من القرآن الكريم على طريقة الاقتباس ، ذلك هو
الاستغفار عند شاعرنا ، غفر الله له وأحسن إليه ، قال :

وَتَزِيدُ فِي فِهَا اللَّالَى قِيسَةً حَتَّى يَمُودَ كَبِيرُهُنَّ الْأَصْغَرُ
معنى حسن ، ولكنه غير جديد ، قال ابن النبية :

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ أَوَّلُو ثَغْرِهَا بِأَنَّ تَقِيسَاتِ اللَّالَى صَغَارُهَا
ومما أعمل فيه شاعرنا فكره ، وراضه من الأغراض والمعاني قوله :

وَلَمَّا التَّقِينَا قَرَّبَ الشَّوْقُ جُهِدَهُ شَجِيئِينَ فَاضًا لَوْعَةً وَعَتَابًا
كَأَنَّ صَدِيقًا فِي خِلَالِ صَدِيقِهِ تَسَرَّبَ أَثْنَاءَ الْعَنَاقِ وَغَابَا

يفيض لوعة ، أو يذوب شوقاً ، أو ما كان من هذا بمنزلة ، إنما هو من أنشاء
القول ، وأخلاق الكلام ، وقد وصفوا الشكوى والعتاب بالرقه ، وأفرغوا عليهما

صفة الذّوبان ، فجاء شاعرنا يُجري هذا الوصف على الأشخاص ، والمتحوّل سهل
والمسافة قريبة . وقد تناول أبو تمام رقة الشكوى فقال :

كادت لعرقانِ النَّوى ألفاظُها من رقةِ الشكوى تكون دموعا

وقال آخر :

لو كُفّت سَاعَةٌ بَيْنَنَا ما بَيْنَنَا وشهدتْ كيف مُكرّرُ التوديعا
أيقنتْ أن من الدُّموعِ محدثًا وعلمتْ أن من الحديثِ دموعا
ومما ينسب إلى جعظة البرمكي :

ورقٌ الجوُّ حتى قيلَ هذا عتابٌ بينَ جعظةٍ والزمانِ

نريد أن ننظر الى اللغة في البيت الثاني قبل أن نلخص المعنى ، ونحن نرى أن في
قول الشاعر « خلال صديقه ، وأثناء العناق » موضعاً للتأمل ، فخلال لكمة منفرج ما بين
الشيئين ، وهى من الديار ما حوالى حدودها وما بين بيوتها ، ومن السحاب مخارج
الماء ، ولسنا نجد بين هذه الصّور صورة واحدة تلامّ ما ذهب اليه صبرى في ذلك
الوصف حتى مع قوله أن الصديقين قاضا وقوله تسرّب ، وقد جعل أثناء ظرفاً
فجرى في ذلك على طريقة العاشقين باللمعة من جماعة الكتاب ، وأثناء الشئ قواه
وتضاعيفه وطاقاته ، وأحدها ثني ، والسبيل أن يقال في أثناء ذلك ، أى في غضونه
أو في فترة منه ، وقد قرأت في مجموعة شعر صبرى للأديب المعروف (محمد صبرى)
أن أديبنا الكبير السيد مصطفى صادق الرافعى يردّ المعنى القاسم في هذا البيت
الى قول بشار :

فبتنا ولو أنا نراقُ زجاجةً من الخمرِ فيما بيننا لم تسرّب

وأنه يُنكر صورة هذا العناء يجرى بين صديقين ، وبعد أن خالفه صاحب
المجموعة فيما ذهب اليه قال إن صحّ أن هذا المعنى مأخوذ من أحد وجب ردّه إلى
(موتين) . الفيلسوف الفرنسى الذى قال في موقف عناق (وما كنت أدري أكان
هو أم أنا) !

صدق الأديب (محمد صبرى) فيما تحدّث به من بعد العلاقة بين بيتى صبرى
وبشار ، فليس المعنى واحداً فيهما ، وأصحّ ما يقال أن بيت بشار عهد للمعنى
الذى أفرغه صبرى في ذلك البيت وبهى له الخاطر ، وأكثر منه تمهيداً له

وإعانة عليه قول ابن الرومي :

أعانته والنفس بعد مشوقة إليه ، وهل بعد العناق تدان ؟
وألتم فاه كي تزول حرارتي فيشتد ما ألقى من الهجان -
كأن فؤادي ليس يشفى غليله سوى أن يرى الروحين يمتزجان -

وقد أنكر الأديب محمد صبري على الرافعي ما أثاره من الشبهة حول ذلك العناق ولكن لم يدفع هذه الشبهة التي ما تزال قائمة بشاهد لغوي أو دليل شعري ، فكان معنى ذلك أنه لا يرى مانعاً من وقوع العناق بين الصديقين - من الرجال - على الصورة الواردة في البيت ؛ وليس هذا هو الوجه ، فالصديق صفة تطلق على المرأة كما تطلق على الرجل ، ومن ذلك قول جميل :

كأن لم نحارب يا بشين لو أنها تكشف ضمها وأنت صديق
وقول ابن المعتز :

برغم البين ، لا صارمت شرراً ولا زالت وإن بعدت صديقا
فأما أن الشعر العزبي خال من ذلك المعنى ، وأنه إذا كان صبري قد سبق إليه فلا يكون متابعه سوى ذلك الفيلسوف الفرنسي - أمّا هذا فبعيد عن الحق والصواب ، وهذه طائفة من الشواهد : قال ابن المعتز ، ونسبه بعضهم إلى خالد الكاتب :

كأنني عانقت ربحانة تنفست في ليلها الباردة
فلو ترانا في قيع الدجى حسبتنا في جسد واحد
وقال ابن عبدوس :

لا ، والمنازل من نجد وليتنا بعيد إذ جسدانا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه عينا ، فما انفك لا كف ولا عضد
وقال ابن بشر الكاتب :

ولم زل ، والظلام حارسنا جسمين مستودعين في جسم
ولا بن عبدون :

وما أنس ليتنا والعناق قد مزج الكل ما بكل

وهذا صالح بن موسى يستعين بالحي على تصوير هذا المعنى بلون آخر فيقول :

لِي سَيِّدٌ مَا مِثْلُهُ سَيِّدٌ تَصَدَّتْ الْحَمَى لِي فَاشْتَكَيْ
عَانَقْتُهُ عِنْدَ مُوَافَقَتِهَا فَلَمْ تَجِدْ مَا بَيْنَنَا مَسْلُكًا !

أبعد هذا كله يقال إن المعنى غريب عن الشعر العربي ، وانه لا شبهة له الا في قول صاحبنا الفرنسي (وما كنت أدري أكان هو أم أنا ؟) فأين كان الأديب محمد صبري من كل هذا ؟ بل أين هو من قول الشاعر :

أَنَا مَن أَهْوَى ، وَمَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَنَا
وقول الآخر :

بِكُمْ أَتَحَدَّثُ هَوًى ، فَلَوْ حَيِّتُكُمْ قُلْتُ السَّلَامُ عَلَيَّ إِذْ أَنْتُمْ أَنَا

لا أخشى أن اتهم بالمغالاة في تلمس المأخذ إذا أنا اتخذت ناحية أخرى في هذا المجري وزعمت أن المعنى الذي أتتبع مواقعته وأتمثل صورته قد يتيسر انتزاعه من هاتين الصورتين على ما بينهما وبينه من بُعد في ظاهر الحال ، وهذه إحداها ، قال الشاعر :

وَتَحَدَّرْتُ مِنْ كَأْسِهِ فِي ثَغْرِهِ كَالشَّمْسِ تَغْرُبُ فِي هَلَالٍ مِنْ قَر
فأما الثانية فقول الآخر :

أَقُولُ وَالْكَأْسُ عَلَى فِيهِ قَدْ تَصَوَّبَتْ كَالْكُوكَبِ الشَّاقِبِ
ذَا كُوكَبٌ يَغْرُبُ فِي كُوكَبٍ وَيَلِي عَلَى الطَّالِعِ الْغَارِبِ !

لم يذكر صبري أي الصديقين تسرب في الآخر ، فجاء الوصف على هذه الصورة مشوشاً ، بل هو يوم أن هذين الصديقين شخصان آخران غيره هو وصاحبه ، وإذا تكون الصورة وصفية محضة ، أي أنها لا تفيد معنى الأمر الواقع على حد ما أراده الشاعر .

قال صبري في معنى عقوق الاخوان والبُغيا عليهم :

إِذَا خَانَنِي خَلٌّ قَدِيمٌ وَعَقْنِي وَفَوَّقْتُ يَوْمًا فِي مُقَاتَلَةٍ سَهْمِي
تَعَرَّضَ طَيْفُ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَكَسَّرَ سَهْمِي ، فَانْتَبَيْتُ وَلَمْ أَرْمِ !

المعنى غير مستقيم في البيت الأول لما اشتمل عليه من الخطأ العموى في قوله « وفوتفت في مقاتله » إذ معنى فوق السهم جعل له فوقاً وهو موضع الوز منه ، وقد أتى الشاعر بهذه الكلمة في موضع سدّدت أو صوّبت ، والحكم في ذلك أن يقال إلى مقاتله ، لا فيها ، فالخطأ ظاهراً ، وهو آت من طريق الوهم ومجانبة التثبّت ، وعندي أن تعرّض طيف الودّ في البيت الثاني مما يستفاد من قول البحترى .

حيث نأى ، إلا تعرّض ذكره له ، أو لم طائف من خياله

وفي معنى البيتين يقول الشريف الرضى يعاتب أخاه :

تهضنى من لا يكون لغيره
أفوق منبل القول بيني وبينه
وأدحم لم أولع لسانى فى دمي
شفعت إلى نفسى بنفسى ، فكفكفت
من الناس إطراق على الهون أو غضى
فيؤلمنى من قبل تزعى بها عرضى
ولو أدم أعضائى بنهش ولا غضى
من الغيظ واستعطفت بعضى على بعض

ولآخر في المعنى :

فداوته بالحلم ، والمره قادره
وقال أبو عبد الله بن الفخار المالتى :
إذا ما خليل نبا مرّة
ذكرت المقدّم من فعله
على سهمه ما دام فى كفة السهم
وفد كان فيما مضى مجيلاً
فلم يُفسد الآخر الأوّلا

وللشريف الرضى في معنى التعرّض :

وإن نا كرتى خلة من خلاله
تعرّض قلبى بفتديها من الحقد

الأمير (عمر طوسون)

لشاعرنا الكبير قصيدة وجهها إلى صاحب السموّ الأمير (عمر طوسون) أيام الحرب البلقانية بين تركيا القديمة ودولة اليونان ، يذكر فيها مجدته العالية ، وحميته الماثورة ، قال في مطلعها :

لك الامارة ، والأقوام ما برحت
بكلّ على الدرّى فى الكون قائم

يقال انتمر الأمر امتثله ، وبه أمر نفسه ، وائتمر فلاناً شاوره ، وبفلانهم به ، ومنه في القرآن الكريم (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَنَزَّلُونَ عَلَى الْإِنْسَانِ فَأَتْبَعُ أَمْرَهُ ، فَلَا يَسْمَعُ فِي الْبَيْتِ كَمَا تَرَى ، وَالْمَعْنَى قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِ لَبِيدٍ فِي مَعْلَقَتِهِ :

وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا

وبعد هذا يقول صبري :

لَوْ لَمْ تَرِثْنَاهَا لَمَا أَلْقَيْتُ أَعْنَتَهَا إِلَّا إِلَيْكَ خِلَالُ كُلِّهَا تُغَرَّرُ

غريبٌ منحنى الشاعر في هذا البيت الخادع ، والحقُّ أنه قد خُدِعَ في إيرادِهِ على هذا الوجه ، إذ كان مراده القول إن الأمير حفظه الله جمع بين الإمارة التي ورثها عن بيته العظيم وبين العظمة الخاصة المستفادة من اجتماع خلال الخير والمعروف فيه فأخطأ المراد ، وفصل بين الموروث والمكتسب على وجه التفريق ، فجعل الأول قائماً ، وترك الثاني معلقاً ، وانظر إلى الشريف الرضي إذ يُفصح عن هذا الغرض بقوله :

قَدْ زَادَهُ اللَّهُ عَلَى عَظَمِ الْخَطَرِ مَكَارِمًا ذَاتَ حُجُولٍ وَغُرُورِ

ومن قوله في هذا المعنى :

لَوْ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْأَصُولِ ، فَقَدْ وَفَى شَرَفُ الْجُدُودِ بِسُودِ الْأَجْدَادِ

الجدود جمع جد ، وهو الحظ والاقبال والعظمة ، ولأبى تمام في معنى البيت على الوجه المستقيم :

وَهَلْ يُسَامِكُ فِي الْعَلَا مَلِكٌ صَدْرُكَ أُولَى بِالرَّحْبِ مِنْ بَلَدٍ ؟

أَخْلَافُكَ الزَّرُّ دُونَ رَهْطِكَ أَزْدٌ ... رَأَى مِنْهُ فِي رَهْطِهِ وَفِي عَدَدِهِ !

نعلم من هذا أن شاعرنا لم يُرزق التوفيق في هذا البيت ، وأنه أخذ المعنى من الأقدمين ، قال :

يَا ابْنَ الْأَلَى لَوْ أُنْزِلُوا مِنْ مَضَاجِعِهِمْ يَوْمًا عَلَيْكَ ، لَقَالُوا : إِيْهِ يَا صَمْرًا

أَعَدَّتْ أَيَّامُهُمْ فِي مِصْرَ ثَانِيَةً حَتَّى تَوْحَمَ قَوْمٌ أَنَّهُمْ تُنْشِرُوا

وَمِصْرَ سِيرَتِهِمْ ، حَتَّى كَانَهُمْ إِذَا خَطَرَتْ بَارِضٌ مَرَّةً خَطَرُوا

معنى البيت الأول مأخوذ من قول الشريف الرضى في الملك بهاء المولة :

لو أن عين أيبك اليوم ناظرةٌ تعجبَ الأصلُ بما أثمرَ الطرفُ

ويصح أن يُردَّ الى قول أبي تمام في محمد بن يوسف النخعي :

رأى الحميد بن ألقحت الأمورَ به من ألقح الرأي في يوم الوغى تتجا

لو عيناك ، إذن قالا ، وما ظلمنا أبرحت ، أينس ما في العرق أن يشيجا

وللشريف الرضى في معنى البيتين الثاني والثالث :

رأيتُ فتى في كفه سمةً الندى وفي وجهه شبه من الأب والجد

إذا ما احتجى في الحى وامتد باعه رأيت أباه حين يحكم أو يُجدي

وقد وقع هذا المعنى في صور أخرى منها قول ابن نباتة المصري :

ظعن الكرام الأولون وأقبلت أيامهم ، فكأنهم لم يظعنوا

وفي شرف الأبناء يقول البحترى ، وهو أوسع معنى وأبعد أثرًا :

وكم أنافت من الأبناء مكرمه مشهورة ، تدعُ الآباء حُسّادا

قال صبرى :

لله درك ، كم نبهت من همم ثننى على أهلها الأصال والبكر

وكم تعهدت جرحى من أسود وغى إن يكشر الدهر عن أحداته كشروا

ليس في البيتين معنى جديد أو أثر للنشاط الفكرى الذى يجب أن يشور ويطرده

في النفس الفنية الطامحة : فله درك ، وأسود وغى ، ويكشر الدهر ، كل هذا

من الصور التى ذهبت فزارتها مع الداهيين الأولين ، فإذا لم يكن بد من

استعمالها وجب أن يكون الى جانب كل صورة منها شيء جديد من المعانى

المرلدة ، والأغراض الفنية التى تخرجها من دائرة الجود الى دائرة أخرى من

الحركة والتصرف . وما أبعد ما بين قول الشاعر — كم نبهت من همم —

وبين بقية البيت الأول ، فالسياق الفنى مُعطل في هذا البيت على أنكر الحالات

وأسوأ الوجوه ، والوحدة المعنوية التى كان ينبغى أن تقوم فيه وتنض به لا موضع

لها ولا وجود ، وليس الشعر أن تأتى بصورة الفعل أو هيئة الحال جامدة كثيفة

منقطعة الصلة مما بعدها من الكلام كقوله : نبهت من همم ، بل عليك أن تُربى كيف

تهب هذه الهمم من رقادها ، وكيف كانت وهى نائمة ، فى صورة فنية رائعة ، لأعلم

أنك شاعر وأنت تقول شعراً ، فأما أنت تقول لي — تُثني على أهلها الآصال
والبُكر — فانصرف^١ عن الشأن ، وخلط^٢ سمي^٣ بين ضرب وآخر من ضروب
الكلام ، قال :

مُستنجداً من بني مصرٍ أولى شمم إذا رأوا ثلثة في حوضهم جبروا
مُستهمياً هامياً ، والنَّيلُ في وجلٍ من أن تجود به إيمانكم حذرٌ
نقصر النقد على البيت الثاني ، ففي معنى قوله (مستهمياً هامياً) يقول أبو تمام
في محمد بن يوسف النخعي يذكر إمداده إياه بماله وجاعه وجبر^٤ المنفعة إليه :
أنضرت أيكى عطايك حتى صار ساقاً عُودي ، وكان قضيباً
مطرّاً لي بالمال والجاه ما أُل... قاك إلا^٥ مُستوهباً أو وهباً
ويُفسر أبو تمام ذلك فيقول :

فاذا ما أردت كنت رشاء وإذا ما أردت كنت قليبا
فأمّا قوله في البيت الثاني للأمير الجليل : ان النيل من أن تجود به إيمانكم
حذر ، فيقع تحت حكمين اثنين من أحكام النقد ، حكم الغلو بمجاوز الحد فيمجه
الذوق والعقل ، وحكم المدح يفضل السبيل فينزلق الى الضد^٦ ، ومن الأول قول
المتنبي : يا من إذا وهب الدنيا فقد بخلا . وقوله :

إنك من معشر إذا وهبوا ما دُون أعمارهم ، فقد بخلوا
ومن ذلك قول أبي سعيد الرستمي في الصاحب بن عباد يهنته بدار بناها
بأصبهان :

ووالله لا أرضى لك الدهر خادماً ولا الغيث مُنتاباً ، ولا البحر نائلاً
ولا الفلك الدُّوار داراً ، ولا الوري عبيداً ، ولا زُهر النجوم قبائلاً
وقول شهاب الدين محمود الخفاجي في الأمير محمد بن منجك ، وفي البيتين من
فساد اللغة ما ترى :

قد بشرتك بمصرٍ بعضُ معاشري لم يعملوا الأقوال في تأويلها
مصرٌ أقلُّ ندَى أياديك التي من فيض نائلها أصابعُ نيلها

أما المعنى القائم في وجل النيل وحذره فنترع من قول المتنبي في ثياب أبي
المشائر ، قال :

مُسْتَحْيَاً مِنْ أَبِي الْمَشَائِرِ أَنْ أَسْجَبَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ حُلَّةَ
أَسْجَبَهَا عِنْدَهُ لَدَى مَلِكٍ ثِيَابُهُ مِنْ جَلِيسِهِ وَجِلَّةِ
وَالْمُتَنَبِّيْ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ كَرَمِ مَمْدُوحِهِ :

قَدْ لَعِمْرَى أَقْصَرْتُ عَنْكَ ، وَلِلْوَفِّ مِنْ أَرْدَحَامٍ ، وَالْعَطَايَا أَرْدَحَامُ
خَفْتُ إِنْ صَرْتُ فِي يَمِينِكَ أَنْ نَأْ خَذَنِي فِي هِبَاتِكَ الْأَقْوَامُ !

ومن باب المدح يضلّ السبيل فينزلي الى الضدّ ، ما يستفاد من جود الأمير
الجليل (عمر طوسون) بالنيل ، فهذا الجود الذي لا تستطيعه نفسه الكريمة ،
ولا تحب من يستطيعه أو يحدث به نفسه ، وهو الذي علّمنا كيف نحبه وأمرنا أن
نبخل به كل البخل — هذا الجود الفطيع المحزى ليس مما يحبّ أو يمدح صاحبه .
وما أضلّ المتنبي رأياً وأشدّه ذهولاً وغفلةً إذ يقول في هذا الباب لسيف الدولة :
كريمٌ متى استوهمت ما أنت راكبٌ وقد لقحت حربٌ ، فانك نازلٌ
وإذ يقول لكافور :

فقد تهبّ الجيش الذي جاء غازياً لسائلك الفرد الذي جاء عافياً

ليس هذا الذي يذكره المتنبي من الفضائل فيصدق ما أجراه عليه أو ما أراد
أن يجمّله به من ثناء ومدح . ومن جنونه في هذا الباب قوله في أبي شجاع فانك :

تُسمى الضيوفُ مشهاةً بعَفْوَتِهِ كَأَنَّ أَوْقَاتَهَا فِي الطَّيْبِ آصَالُ

لو اشتهدت لحم قاريها لبادرّها خرادلٌ منه في الشّيْزَى وَأَوْصَالُ !

إنما يعرف وجه الأمر ويجري على حكم الصواب من يقول :

يجودون للراحي بكلّ نقيصة لديهم سوى أعراضهم والمناقب

قال شاعرنا :

حتى تفاهت الأرواحُ واذكرت ما بينها الأهلُ والخلائُ والامرُ

وآذن اليربُ بالسُّقيا وما برحت منهم ومنك صنوفُ اليرُ تنتظرُ

وحرّكت كل كَفٍّ بالندى مِقَّةً حتى تعجبت الأنهار والغُدُرُ
 يكثر الناس من ذكر التفاهم ولا وجود لهذه الكلمة فيما نعلم من كلام
 الأقدمين ، شعراً كان أو نثراً ، وقد راجعنا ما عندنا من المعاجم فلم نجد لها في
 مَطَائِبِهَا ، وما نحسبها إلا من مخترعات كُتَّابِ الصَّحَفِ ، وليس لتعارف الأرواح
 أو لتفاهمها كما يقول الشاعر بالمعنى المعروف اليوم لهذه الكلمة من محلِّ يقبلها
 أو يتسع لها في مثل هذا المقام ، وقد ازدحم الشطر الثاني من البيت بالأهل
 والخلان والأمر ازدحاماً لا معنى له ولا فائدة فيه ، ففي الأهل على حدة غناء ، وما بعد
 الأمر من زيادة تُطلب أو علاوة تضاف ، وليس الوجه أن يدَّكر المصريون ما بينهم
 على حد قول الشاعر الكبير فحسب بل وما بين اخوانهم الترك من الأواصر
 السياسية وغيرها ، وهذا ما أراده ولكنه لم يقله أمّا تعجب الأنهار والغُدُرُ في
 البيت الثالث فليس ببعيد من قول المتنبي :

فلم نَرَ قبل ابن الحسين أصابعاً إذا ما هطلن استحييت الديمُ الوُطْفُ
 قال صبري :

والناسُ إن قام يستسقى الكريمُ لهم سحائبَ الفضلِ بشرهم فقد مُطروا

لا يعدو هذا البيت ما قيل في الاستسقاء وهو كثير ، فنه البيت المشهور :

وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه عَمَالُ اليتامى ، عصمةٌ للأرامل -

وقول الفرزدق : خليفة الله يُستسقى به المطر - ومنه قول البحتری :

مَلِيُونُ أَنْ تُسْقَى الْبِلَادُ غِيَاثُهَا بأوجههم حتى تسيلَ خَاجُهَا

وقول الرقاشي في آل برمك :

أُصِبتُ بِسَادَةٍ كَانُوا نَجُومًا بهم تُسْقَى إِذَا انْقَطَعَ الْغَمَامُ

قال صبري :

يَأْبَى عِلَاةُ (سعيد) أَنْ يَشَابِهَهُ إِلَّا (ابن دوحته) إِنْ قَامَ يَفْتَخِرُ

ما زال بحمده رائيك مدَّكرًا والأصل بالفرع إِنْ حَاكَاهُ مُدَّكِرُ

هذا هو ختام القصيدة ، وقد رأينا أن نغني هذين البيتين من النقد ، وإن كان
 معناها شائعاً في هذا الباب من الشعر ، وهذه القصيدة من شرف موضوعها

وجلال ذلك المقام الرفيع الذي وُجِّهت إليه ما يجعلها أميرة شعر صبرى وسيدة قصائده ، حفظ الله للإسلام والشـق أميرنا العظيم (عمرطوسون) وبارك فيه وفي سلالة الطاهرة .

معارضة بلبل الصب

أقربُ من دنفِ غدهُ ؟ فالليلُ تمرّدَ أمودهُ
والنفتُ تحت عجاجه بيضٌ في الحى تؤيدهُ
حربٌ عندي لمسقرها شوقٌ مازلتُ أرددُهُ
هل من راقٍ لصريع هوى ؟ هل من آسٍ يتعهدهُ ؟
حتى مَ يساورهُ كدٌ يبللُ الأحشاءَ تجمدُهُ
والى مَ يصارعهُ ألمٌ إن همَّ يقومُ ويُقعدهُ ؟
فى القصرِ غزالٌ تُكبرهُ غزلانُ الرّملِ وتحسدهُ
صغرتُ كفى منه ومضى وقد امتلأت منى يدهُ
كم صُغتُ التبرَ له شركاً وقضيتُ الليلَ أنصدهُ
وأشاورُ شوقى ، بل أدبى هل أفصرُ ، أم أنصدهُ
مولائى ! أعبدك من ضمـر لا يرحمُ قلباً موقدهُ
أدركُ بحيانك من رمى ما بات هواك يهددهُ
قد بان الحبُّ لذى عَيْنَيْ نـ ، وهذا الشوق يؤكدهُ
(شوق) أجودُ فى الشعر وقل آمنتُ بأنك أوحدهُ !

عارض شوق وصبرى وولى الدين يكن والأمير نسيب أرسلان قصيدة الحصرى هذه (يا بلبل الصب متى غده ؟) فقال الأول فى مطلع قصيدته :

مُضناك جفاهُ مرفدهُ وبكاهُ ورَحَمَ عودهُ
وقال ولى الدين :

الحسنُ مكانك معبدهُ واللعظُ فؤادى ممعدهُ

وقال الأمير نسيب :

مُضْنَاكَ عَصَاهُ تَجْلِدُهُ هَلْ أَنْتَ بِعَطْفِكَ مُنْجِدُهُ ؟

فنحن نرى أن هذه المطالع الثلاثة لم يلمس واحداً منها ذلك المعنى الذى استهل به الحصرى قصيدته ، وأن صبرى تناول هذا المعنى قائماً فى بعض صورهِ اللغظية بلا تخرج ولا احتياط ، ثم جرى على هذا النهج فى كثير من أبيات قصيدته ، حتى لقد يُخيل الى من يجهل أحكام المعارضات الشعرية أن تنازع الأغراض والمعانى مما يُطلب فيها ، أو مما يباح لأصحابها ، وليس هذا بحق ، قال الحصرى من قصيدته :

رَفَدَ السَّمَارُ ، وَارْقَهُ أَسْفُ لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ

وَعَدَا يَقْضَى ، أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَزُودُهُ ؟

نَصَبْتُ عَيْنَايَ لَهُ شُرْكَاءَ فِي النَّوْمِ فَعَزَّ نَصْبُهُ

لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلْتَبِكِ عَلَيْهِ عَوْدُهُ

خَدَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بِدُمَى فَعَلَى مَ جُفُونِكَ تَجْحَدُهُ ؟

هذه أبيات خمسة سُقناها على غير ترتيبٍ لذلك على ما لها من الصلة من جهة

اللفظ والمعنى بقول صبرى :

حَرْبٌ عِنْدِي لِمَسْعَرِهَا شَوْقٌ مَا زِلْتُ أُرَدِّدُهُ

هَلْ مِنْ رَاقٍ لَصْرِيعِ هَوَايَ هَلْ مِنْ اسِرٍ يَتَعَهَّدُهُ

كَمْ صُنْتُ التَّبَرَّ لَهُ شُرْكَاءَ وَقَضَيْتُ اللَّيْلَ أَنْصُدُهُ

وَأَشَاوَرُ شَوْقِي ، بَلْ أَدْبَى : هَلْ أَقْصُرُ ، أَمْ أَنْصِيدُهُ ؟

أَدْرِكْ بِحَيَاتِكَ مِنْ رَمَقِي مَا بَاتَ هَوَاكَ يَهْدِدُهُ

قَدْ بَانَ الْحُبُّ لَدَى عَيْنَيْنِ ، وَهَذَا الشَّوْقُ يُوَكِّدُهُ

ولقد ضاق الوصف على شاعرنا وهو يذكر الليل فى الشطر الثانى من مطلع قصيدته فلم يزد على قوله (فالليل تمرّد أسوده) ثم عزّ عليه أن يترك هذا السواد قائماً وحده ، فعمد إلى مذهب البديعيين وجاءنا فى البيت الثانى بقوله (بيضٌ فى الحمى تؤيِّده) ثم أوحى اليه كلمة (تؤيِّده) فى هذا الشطر وكلمة (مجاجته) فى الشطر الأول من البيت ، أن يجعلها حرباً مقاماً عليه ، وإذا بالغبار ينجلي فى البيت السابع عن

(غزال القصر) فنحن نشهد إذا صورةً مزوّدةً تُنهي بالعجز عن ضبط الغرض ،
وتصوير العاطفة قائمة في حدود الفن باتزان ، مقبلة على شأنها في هُدًى وعرفان ،
يقول صبرى في غزال القصر :

صفتُ كفى منه ومضى وقد امتلأتُ منى يدهُ
ما زال الشعراء قبلنا يلوكون هذه المُضغّة الجافة ، مضغّة فراغ الأيدي
وامتلائها . ففهم الشريف الرضى يقول في رثاء صديق له :

فرغتُ يدي منه ، وقد رجعت به أيدى التّوائبِ والمخطوبِ ملاء
وله في غيره :

راجت وفودُ الأرضِ عن قبره فارغة الأيدي ، ملاء القلوبِ
ولابن المعتز :

ما في يديّ منه غيرُ عَضِّ يدي ورُبَّ بَحْتٍ في الحبِّ مبغوسِ
وَمِنْ قول بعضهم — قد كنتُ أحسبُ أنّي قد ملأتُ يدي — وللبهاء زهير :

ما لقلبي منك يا بدو رُ سوي حُفَيّ حُنَيْنِ
وَيَرى الحُسَّادُ أنّي منك ملاكُ البدينِ

قال صبرى :

كَمْ صُفِّتُ التَّبَرُّ له شركاً وقضيتُ اللَّيْلَ انصُدَّةً
وأشاورُ شوقي بل أدبي هل أقصرُ أم انصُيْدَةُ

لا معنى لهذه المشاورة بعد مدّ الشراك ونصب الجبال ، وما أكثر هؤلاء
الصيادين عندنا ، ولكن يأتي أدبنا إلا أن يزيد سوادهم وإلا أن يكون لكل مائة
(خراش) غزال واحد أو طيبة واحدة ! قال الشريف الرضى :

كَمْ قد نَصَبْتُ لك الجبالَ طامعاً فنجوت بعد تمرّضٍ لوقوعِ
وتركتني ظمآنَ أشربُ غُلَّتِي أسفاً على ذاك اللَّحْمِ المنوعِ
وقال ابن الوردي :

ورُبَّ غَزَالَةٍ طَلعت بقلي وهو حمرهاها
نَصَبْتُ لها شَباباً مِنْ لُجَيْنٍ ثُمَّ صَدَّناها

هذه شباكٌ من فضة ، فأما شركُ التبر الذي بات شاعرنا ينضده والمراد به الذهب فانك واجده في قول الأمير منجك (باشا) على لسان من يحبه :

لا تنفضي لك حاجةً عندي بشعرٍ أو طربٍ
إن رُمّت صبدي في الهوى فانصب شراكاً من ذهبٍ
قال صبرى :

قد بان الحبُّ لذى عينين وهذا الشوقُ يؤكدُهُ
في البيت نكايه شديدة للذوق الفنى السليم وموضعها قوله (لذى عينين)
فان هذه الكلمة الخشنة في روحها ومغزاها تجعل البيت قطعة من الكلام الجدلى
وليس هذا بموقعه ، وليس الشاعر وهو يأخذ في مثل هذا الجدل قد أنصف المنطق
في قوله : وهذا الشوقُ يؤكدُهُ - فان الشوقَ دعوى والدعوى منتقرة الى البيئته .
وانظر ما يقول الأبيوردي :

ومن يبتات الشوقَ أنى على التوى أموتُ لذكراه مراراً وأبعثُ
ومن قول الشيخ الشبراوى :

قضية الشوقِ فى فؤادى برهائها بالضى مُكَمَّ
نأخذ من هذا أن شاعرنا الكبير أقام الدعوى مقام البيئته ، وهو الذى مارس
القضاء طويلاً ، وعرف من أمره ما لا نعرف ، ولقد أكثر الشعراء من ذكر
بيئات الحب وشهوده ، فمن ذلك قول بعضهم :

سأعده ما ألقى ، فان كذبتي فلى الدموع ، فانها لا تكذبُ
وقول أبى المواهب البكرى :

لا أذوق الكرى ، وسَلْ أنجمَ اللية لى ، وهذا السقامُ من بيئاني
واليك شهود المتنبي ، قال :

شيبُ رأمى ، وذلتى ، ونحولى ودموعى على هواك شهودى

الحياة والموت

إن سُمّت الحياةَ فارجع الى الأرواحِ تَنَمَّ آمناً من الأوصابِ

تلك أمٌ أختي عليــــــــــــــــك من الأمم التي خلقتك للآعاب
لا تَخَفْ ، فلماتُ ليس بمأحـ منكَ إلا ما تشكى من عذاب
كلُّ مَيِّتٍ باقٍ وإن خالفَ العنـ... وإن ما نُصِّ في غضون الكتاب
وحياةُ المرء اغترابٌ فإن ما تـ ، فقد عادَ سالماً للتراب

هكذا قال صبرى في الحياة والموت ، وتعدت هذه القطعة من أجود شعره وأشهره . وأكثر ما يأخذ الأدباء منها ما ورد في البيت الأخير من اغتراب المرء في الحياة ، ورجوعه سالماً الى التراب ، وإن نسب غير واحد من الأدباء هذا البيت الأخير الى المرحوم مصطفى نجيب باشا ، ولعلك قد أدركت ما فى النقد من فائدة حين ترى أن شاعرنا الكبير لم يزدنا شيئاً من عنده ، وأن الناس قد يؤخذون من قبل أنفسهم في كثير من الأمور ، وأن المقاييس الصحيحة للأدب والموازين العادلة للأدباء لم تقم الى يومنا هذا في بلادنا وبين قومنا ، وما أبرح ما تجمد الفنون والصناعات من أناس لو أنهم أوتوا أو رزقوا المعرفة لتبينوا أنهم خاطئون .

وبعد فإن أظهر ما يبدو لك من عيوب هذه القطعة قول الشاعر فى أواخر الأبيات الأولى : الأوصاب ، والانعاب ، والعذاب ، فإن هذه الثلاث مؤلفة معنى وإن اختلفت لفظاً ، وما برح الرؤساء من أرباب الصناعة يتحامون ذلك . وما أعلم أيمجد شاعرنا أم يهزل فى قوله - إن سئمت الحياة فارجع الى الأرض - لا أعلم أين هو من المخلصين فما كل من يسأم الحياة يميت ، ولا كل من يحبها ويرغب فيها ينجح من الموت ، أنظنه يشير بالانتحار ويحرض عليه ؟ هذا ما أفهمه مكرها وإن لم يردده وأين الذى يسأم الحياة أو يملها ؟ أيفرّه قول زهير :

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ، ومن يمشى ثمانينَ حولاً - لا أبالك - يَسْأَمُ
على أن زهيراً لم يسأم الحياة ، وإنما سئم تكاليفها ، وقد أغنانا المتنبي عن مثل هذا التفسير بقوله :

وإذا الشيخُ قالَ أفٍّ ! فما مَلَّ حياةً ، وإنما الضعفُ ملا
أن ذلك النوم المريح الذى يريده صبرى فى البيت الأول هو بعينه ما تراه فى قول المعري :

ضجعةُ الموتِ رقدَةٌ يستريحُ الـ... جسمٌ فيها والعيشُ مثلُ السهادى
وانظر ما يقول فى هذا المعنى :

أخنى المنازل قبره يستراح به وأفضل البس فيما أعلم الكفن

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة ولا الحى فى حال السلامة آمن

إذا أعدت الأوطان فى كل بلد قوم سجوناً ، فالقبور حصون

متى أنا للدار المريحة طاعم فقد طال فى دار العناء مقامى ؟

ولبعضهم :

جزى الله عنا الموت خيراً فانه أبر بنا من كل برّ وأرف

يُجبل إنقاذ النفوس من الأذى ويُنذنى من الدار التى هى أشرف

وهذه أبيات آخر لشيخ العرة تريك من ابن أخذ صبرى معنى البيت الثانى :

والترب ثقليه ظلاماً ، وهو والدنا وكم لنا فيه من قرى ومن رحم

نقصت عني تراباً ، وهو لى نسب وذاك يحسب من قطع الفتى الرجا

ووالدنا هذا التراب ، ولم يزل أبرّ بآء من كل منسبيه

يؤدّى إلى من فوقه رزق ربّه أميناً ، ويعطى الصوّن محتجبيه

أتعلم الأرض ، وهى أمّ خف زمان فما ازدهاها

بأى جرم ، وأى حكم سلطت ليت على مهاها ؟

قال صبرى :

لا تخف فالمات ليس بمحار منك الا ما تشكى من عذاب

لا أقول إن هذا البيت بكث من الالتفات الى قول الشريف الرضى :

فان لم يكن فرج فى الحياة فكم فرج فى انقضاء العمر

ولكني أقول إنه يُبلى في فم المعري حيث يقول — العيش داءٌ وموت المرء عافيةٌ — ولقد قال المتنبي قبله : كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا — والمعري يردد هذا المعنى :

إذا غدوتُ ببطنِ الأرض مضطجعا فسمَّ أفقدُ أوصابي وأمراضي

إذا طَفِئَتْ في النري أعينُ فقد أمنتُ من عَمِي أو رمد
قال صبري :

وحياةُ المرء اغترابٌ فإن ما تَ ، فقد عادَ سالماً للترابِ
وقال أبو السعادات الحسيني :

نحن في دارِ غربةٍ كلَّ يومٍ يَنْقُضِي جيلٌ ، ويحدثُ جيلُ
وكاننا في ذاك رَكبانِ : ركبٌ مُزْمَعٌ رحلةً ، وركبٌ قُفُولُ
أما المعري فيقول مرَّداً هذا المعنى في صور مختلفة :

قد طال سيري في الحياة ، ولي ببطن الأرض منزلُ

فإن تلكُ هذي الدارُ منزلَ طاغينِ فدارُ مُقامي عن قليلٍ أو أفيها

إننا ضيوفُ زمانٍ ما قِراءُ لنا إلا المنايا ، ونحن الآن في الشَّهْنِ

جمع لُهنَةٍ ما يتمجله الإنسان من الطعام يتعمل به ، — هذا في معنى الغربة ، والعودة إلى الوطن ، أمّا في معنى قوله : عاد سالماً ، فقد قال بعضُ الأوائِل : رجعنا سالمين كما بدأنا — على أن ثمة غربةً أخرى بعد الموت هي ولا ريب شرُّ الغرتين ، فيا ويح الإنسان ، وما أشدّها عظة أن يقول فيه لشيخنا المعري إذا مات :

لعلَّ إناءٌ منه يُصنعُ مرّةً فيأكلُ فيه مَنْ أرادَ ويشربُ
ويحملُ من أرضٍ لأخرى ، وما دَرى فواهاً له بعد البِلَى يَنْزَرِبُ

وانظر ما يقول في من يُقيم لنا البيوت ويرفع القصور :

لَعَلَّ مَفَاصِلَ الْبِنَاءِ تُضْجِي طِلَاءَ السَّقْفِيَةِ وَالْجُدَارِ

أرى بعد هذا أن قطعة صبرى وكل ما قيل أو يقال في معناها مغالطة ظاهرة للنفوس ، وقد تكون تعزية نافعة لبعضها ، فإن طبائع الحياة وحقائق الموت أشد قوة وأعظم سلطاناً من أن تدعن لأمثال هذه المغالطات ، وقد يما قيل - كفى بلموت نأياً واغتراباً .

الشباب والشيب

لَمْ يَدْرِ طَعْمَ الْعَيْشِ شَبَابٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْهُ شَيْبٌ
جَهْلٌ يُضِلُّ قُوَى الْفَتَى قَتَاطِشٌ ، وَالْمَرْمَى قَرِيبٌ
وَقُوَى تَخَوُّرٌ إِذَا كَشَبٌ تَ بِالْقُرَى الشَّيْخُ الْآرِبُ
بَيْنَنَا يُقَالُ كَبَا الْمَغْفُ لُ ، إِذْ يُتَالُ حَبَا اللَّيْبُ
أَوَاهُ ، لَوْ عَقَلَ الشَّبَابُ بُ أَوَاهُ ، لَوْ قَدَّرَ الشَّيْبُ !

هذه إحدى آيات صبرى ، وأنا لنرى الصورة العامة في هذه الأبيات متنى باختلال كبير في التصور ، وشطط غير متقارب الحدود في وصف الحياة ، وكيف تكون في الشبان والشيب . ولو صدقت هذه الصورة لخربت الدنيا ، وسقط العالم في مهاوى الفناء . وماذا تريد من شباب صال ، ومشيب عاجز ؟ إن شاعرنا الكبير لمحب الكلام لذاته ، ويتصرف فيه على هواه ، ولئن ذهبنا نصانعه ونقول معه إن الشباب ضلال محض وجنون صرف ، وأن المشيب عجز خالص وجود بحث ، أترانا نستطيع الاعتداء على سنن الحياة فنزعم أن ضعف الهرم - الضعف التام الذى يصفه هو - يعقب قوة الشيب ونشاطها مرة واحدة . وفي يوم واحد ؟ كلاً إنك لتعلم أن بين شرّة الشباب ووهن المشيب فسحة كبيرة من العمر ، ومسافة غير قليلة من الزمان ، فاذا العقل والمقدرة ، وإذا السداد والمضاء والقوة المدبرة ، ولسنا نستعين بالشواهد الشعرية على إثبات فساد هذا المذهب وتعسف شاعرنا الكبير فيه ، ولكننا نستشهد التاريخ ، حوادثه وأبطاله من الفريقين - الشباب والشيب - ومن كل هذا نعلم أن الصورة القائمة في هذه الأبيات ليست من الحقائق العامة كما أراد الشاعر أن تكون ، وهى لا تصدق إلا إذا أجريناها مجرى الحكاية

الخاصة في تمثيل حياة بعينها لشخص - معين ، وإنك لترى هذه الحياة ماثلة في الشخص الذي تستفيده من قول أبي العنابية :

دَبَّ فِي الْفَنَاءِ سَفْلاً وَعِلَواً وأرائي أموتُ عُضُواً فمُضُواً
ذهبتُ جِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي وتذكرتُ طاعة الله نِضُواً

هذا حكنا على الصورة العامة في الأبيات من الناحية الوصفية للحياة ، فأما الناحية الفنية فيها ، فأنت ترى أن قول الشاعر - لم يدر طعم العيش - في البيت الأول مما لا معنى له ولا طعم في مثل هذا المقام ، فالمعبدُ أن يقال هذا في لذة العيش أو ما ينافيها ، لا فيما ينبغي له من أدب ، أو يُكره فيه من شطط وازورار . وليس من جديد يُستفاد فيما تحمله أبياتُ صبري من صفَةِ الشباب في غروره وقوته وحال المشيب في انشاده وضعفه ، قال العتيبي :

قالت : عهدتك مجنوناً ، فقلتُ لها : إن الشبابَ جُنُونٌ برؤهُ السِّكْبَرُ
وقال بهاء الدين العاملي :

قَوْلُكَ وَهَتْ عِنْدَ وَقْتِ الْمَشِيبِ وما كان من دأبها أن نُهَى
وبأينتَ نفسك لما كبرت فلا هيَ أنتَ ، ولا أنتَ هي
وإنْ ذُكِرَتْ شَهَوَاتُ النَفُوسِ فما تشهى غيرَ أنْ تشهى
وانظر ما يقول أبو العلاء :

سُقْباً لَأَيَّامِ الشَّبَا بـ ، وما حَمَرَتْ مَطِيئَتِيَا
أَيَّامَ آمَلْتُ أَنْ أَمْسَ فمَرَقَدَتَيْنِ بِرَاحَتِيَا
فَالْآنَ تَعْجِزُ هَمِّي عَمَّا يُنَالُ بِمُحْطَوَاتِيَا

مهرنم - وأين مقام ؟

ياربَّ ! أينَ تُرى مُقَامُ جَهَنَّمَ للظالمينَ غداً ، وللأشرارِ ؟
لم يُبقِ عَفْوُكَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعَلَى والأرضِ ، شِبراً خالياً للنارِ
ياربَّ أهلني لفضلِكَ واكفني شَطَطَ الْعُقُولِ وَفِتْنَةَ الْأَفْكَارِ

ومرّ الوجود يشفّ عنك لكي أرى غضب اللطيف ورحمة الجبار
يا عالم الأسرار احسبى محنة على بأنك عالم الأسرار
أخلق برحمتك التي تسع الوري ألا تضيق بأعظم الأوزار

في البيتين الأوّل والثاني من هذه القطعة التي رفعها صبرى الى الله في معرض الثقة وحسن الظن ما لا ينتظم في سلك الأدب الدينى ، ولا يلائم النظام الشرعى الذى ينبغى لكل مؤمن أن يتقيد به ويرعاه - يرى الشاعر أن لا مكان لجهنم تقام فيه ، بل هو قد اطلع فلم يجد شبراً واحداً يتسع حتى لموقد واحد صغير من موائد هذه النار - انّ هذا من شاعرنا لكثير ، وما هو من الثقة وحسن الظنّ بسبيل ، إنا لنؤمن معه بسعة عفو الله ورحمته ، ونعلم أنه يؤمن معنا بأن (منطقة جهنم) قائمة بأقطارها الواسعة ، وحدودها المترامية ، لا ينقصها ذلك العفو شيئاً ، ولا تطوى هذه الرحمة منها جانباً أو بعض جانب ، ذلك أن من الذنوب ذنوباً لا يعفو الله عنها ، ولا يرحم جناتها - يؤمن شاعرنا الكريم بهذا إيماناً صادقاً ، فما باله يأخذ هذه الناحية ، وماله وهذا المسلك الوعر ؟ لقد أكثر الشعراء قبله من ذكر رحمة الله وعفوه ، فما بلغ أحد منهم حيث يقول أبو نواس :

تَكثُرُ ما استطعت من الخطايا فانك بالغ ربّا غفورا
متبصر إن وردت عليه عفواً وتلقى سيّداً مليكاً كبيراً
تَعَصُّ ندامة كفيّنك ممّا تركت مخافة النار السرورا

هذا ولا ريب أقرب الى حسن الأدب وسلامة العقيدة من قول صبرى ، ولأبى نواس في هذا الباب شعر كثير منه قوله :

يا كبير الذنوب عَفُوْهُ الـ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرُ

ياربّ إن عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمتُ بأنّ عفوك أعظمُ

ومما ينسب الى عبيد سيفان المكلّى :

ياربّ قد حَلَفَ الأعداء واجتهدوا إيمانهم أنّى من ساكنى النار

يُخلفون على عمياء ؟ ويحهم ما ظنهم بعظيم العفو غفادر ؟
ولعبد الرحمن بن عماد الدين الشامي :
إن قيل أي سفينة تجري بلا ماء وليس لأهلها من زاد ؟
قل رحمة الرحمن من أنا عبده تسع العباد فمن هو ابن عماد ؟
وانظر أدب المعري وحكمته إذ يقول :
تغشى جهنم دمة من نائب فتبوح وهي شديدة الايقاد
يذهب صبري مذهب المتصوفة في قوله :

ومرّ الوجود يشفّ عنك لكي أرى غضب اللطيف ، ورحمة الجبار
فهو يريد أن يرى الله ، ولكن لغير ما يريدون هم ، القوم يطلبون المشاهدة
لذاتها ، أما شاعرنا فيريدها ليشهد نوعاً خاصاً من الجمال ، وحالة بعينها من العظم
والجلال ، هو يريد أن يرى الغضب قائماً في اللطف ، والرحمة ماثلة في الجبروت ، وإذا
كنا في مقام النصف فلا مناض لنا من القول أن أدب القوم ينكر هذه العلة
ويسمى معاملتها ، ثم إن هذا الذي يريده الشاعر هو من شأن الصفات
الالهية وآثارها الشائعة في هذا الكون . أما الذات وشهودها فشان آخر ومطلب
مستقل . ومن الاضطراب الظاهر في البيت قول الشاعر — ومر الوجود
يشفّ عنك — فالمقل والعلم الالهي على اتفاق في أن هذا الوجود بنوعيه
من كنيف أو لطيف لا يقوى على أن يحجب الله جلّ شأنه ، بل هو كما قال العارفون
مرآة قدرته ، ومظهر صفاته ، ولعل ورود ذكر الحجب في أقوال الذين طلبوا
المشاهدة من عشاق الذات العلية هو الذي جرّ شاعرنا إلى هذا الاضطراب ،
ولو علم — رحمه الله — أن القوم لم ينعنوا بهذه الحجب سوى ما يكون على القلوب من
أغشية أو كنهة لاستقام له الأمر ونجا من هذه السقطة ، وما أراه في قوله —
غضب اللطيف ورحمة الجبار — بيميد من قول صاحب البردة :

ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا (الكريم) تحلّى بامم (منتقم)
فأمّا قوله :

يا عالم الأمرار احسب محنة على بأنك عالم الأمرار !

فشيبة بقول ابن عمار في المعتضد :

فكنتُ بما عندي من النعم التي يفسرها قولي : فكنتُ بما عندي !
عرف صبرى أدب الثقة بالله وحدها بعد الذي كان من شطط وفتنة ، فقال في ختام كلمته :

أخلق برحمتك التي تسع الوري ألا تضيق بأعظم الأوزار

جورته عملي في بعض شعره

يقول صبرى من قطعة في الرثاء :

ألا يا تجار مصر هل فيكم امرؤٌ يبيع على صرعى الهموم عزاء ؟
يقال باعه الشيء وباعه له ومنه ، فأما يبيع عليه فليس من لغة العرب ، وإنما يقال باع عليه القاضي إذا باع على كره منه ؛ فهو خطأ من شاعرنا ، وبيع الصبر أو نحوه ليس من المخرعات الفنية ، فقد أكره الأوتون من عرض هذه البضاعة وطلبها ، كما أكثروا من ذكر البيع والهبة والاعادة ونحو ذلك ، قال عبد المحسن الصولي :

هلموا أسألو عن سلوة يباع واستخبروا عن كرى يُكترى

هل الناس مثلي ؟ وإلا فما أشد القلوب ، وما أصبر

ومن المشهور قول بعضهم :

ألا موتٌ يُباع فأشتره فهذا العيش ما لا خير فيه

وقال البحرى :

وما سرتني أن قلبي أُعير عزاء النفوس وسؤلونها

ولم تني :

وهبت السلوة لمن لامني وبت من الشوق في شاغل

وقال الشريف الرضى :

وخد النوم من جفوني فاني قد خلعت الكرى على العشاق

وقال النهامي :

حليلي هل من رقدة أستعيرها ؟
لعل بأحلام الكرى أستزيرها

وللشمر دل بن شريك اليربوعى :

وكنْتُ أَعِيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مِنْ بَكِي
فَأَنْتَ عَلَى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ شَاغِلُهُ
ولصقِّي الدين الحلى :

واقترضنا منها الدموع ، فقالت :

كلُّ قَرْضٍ يَجْرُ نَقْعاً حَرَامٌ

وللعباس بن الأحنف :

يَا أَبَا الرَّجُلِ الْمَعْدَبُ نَفْسُهُ أَقْصَرُ ظَنٍّ شَفَاءَكَ الْإِقْصَارُ

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعْرِ عَيْنًا لِفَيْرِكَ دَمْعَهَا مَدْرَارُ

مَنْ ذَا يَمِيرُكَ عَيْنُهُ نَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تُعَارُ ؟

ومن المفاوضة في صورة البيع قول صاحب الكبد المقروحة :

وَلِي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ ، مَنْ يَبِيعُنِي بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ ؟

أَبَاهَا عَلَى النَّاسِ ، مَا يَشْتَرُونَهَا وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحٍ ؟

وقال ابن خازن الكاتب :

وَأَفَى خِيَالِكَ ، فَاسْتَعَارَتْ مَقْلَتِي مِنْ أَعْيُنِ الرِّقْبَاءِ ضَمَضَ مُرْوَعٍ

وَأَغْنَتْهُمْ فَطَنُوا ، فَكُلُّ قَائِلٍ : لَوْ لَمْ يَزُرْهُ خَيَالُهَا لَمْ يَجْعَ !

قال صبري بعد البيت المتقدم :

إِذَا دَلَّنِي مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِهِ قَتَى خَلَعْتُ عَلَيْهِ مَا يَشَاءُ جَزَاءَ

يُرِيدُ مِنْ يَبِيعِ الْعَزَاءَ فَلَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ عَلَى مِثْلِهِ ، وَلَا نَدْرِي لِمَ يَقْصُرُ جَزَاءُ مَنْ

يَدُلُّهُ عَلَى مَا يَخْلَعُ ؟ لَعَلَّهُ اسْتَبَقَى سِوَاهُ مَا يَمْلِكُ لِيَكُونَ ثَمَنًا لِلْعَزَاءِ يُؤَدِّيهِ إِلَى التَّاجِرِ

(...) قَالَ :

بِخَالِهِمُ الرَّائِي سُكَارَى مِنَ الْأَمَى فَيَكِي عَلَيْهِمْ رَحْمَةً وَوَفَاءَ

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)

وَلَعَنَنِي :

عَلِيلُ الْجِسْمِ ، مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ - شَدِيدُ السَّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمَدَامِ -
وله :

أَفِيقَا ! مُخَارُ الْهَمِّ بَفَضْنِي الْخَمْرَا وَسُكْرِي مِنَ الْإَيَّامِ جَتَّبَنِي السَّكْرَا

ولبعضهم : (سكران من خمر الفراق معذب) . وقال مهيار الديلمي :

لَا سَكْرَةُ الْبَلَوَى بِبَابِلَ بَعْدَكُمْ تَصَحُّو ، وَلَا لَيْلُ الْبَلَابِلِ يُصْبِحُ
قال صبرى :

لَوْ أَنَّ قُلُوبَ النَّاسِ طَوَّعُ إِرَادَتِي قَلْبْتُ الْأَسَى فِي بَعْضِهِنَّ (هُنا)

ولو طأوعتني كلَّ عينٍ قَرِيجَةً لَمَّا ذَابَ بَعْضُ النَّاكِلِينَ مُبْكَاءً

ندع قوله (هُنا) في البيت الأول معلقة ونضع جانباً قوله : طوع ارادتي ،

وطأوعتني في هذا البيت والذي بعده ، وننظر الى المعنى من حيث هو ، فالشاعر

يريد في البيتين أن يكون رحيماً بالناس فيفرغ الصبر على ذوى القلوب الجريحة ، ويمسك

الدمع أن يسيل من عيونهم ، ولكنه يميل من مراده مأخوذاً بقوة لا نعلم ماهي ،

فاذا هو يخلص بهذه الرحمة بعضاً من الناس ، واذا هو يصغر ويتضاءل فيدعك

حائراً لا تدري كيف تجمع شطريه ، وتؤلف بين رأييه ، ولم يكن بعض الناس

أولى بالرحمة من بعض والمصاب واحد ، وباعت الرحمة في نفسك هو ما تجد من ألم

المصابين وتحس من عذابهم ؟ وما كان لمن يريد أن يصيب بعض الناس برحمته

ويصرفها عن الكثيرين منهم أن ينزع الى أن تكون له الولاية على كل القلوب والعيون

كما هو الحال في البيتين ، ولقد كان الأمر يستقيم له - وهذا شأنه - لو انه طلب أو

تمنى أن يكون الصبر في يده فيسكبه برداً وسلاماً على قلوب من يشاء من صرعى

الأحزان وجرحى الهموم ، وليس هذا ثم ينتهي الأمر ، فقد نسى الشاعر نفسه ،

وتجرد في هذين البيتين عن شاعريته ، بل هو قد فعل ذلك وجرى عليه وهو يستهل

كلمته يسأل التجار عن بائع الصبر ، ويطلب أن يدلوه عليه ! أي صبر هذا الذي ينشده

صبرى الشاعر العظيم ، واذا كان الصبر لا يؤخذ من فم الشاعر ويرتشف من بين

شفثيه فمن يأخذ اذاً وأين يوجد ؟ ولم لا تكون قلوب الناس وعيونهم وكلَّ

جوارحهم وقواهم حيث يحب ، وكيف يشاء ؟ نريد التلطف ، وبأبي لسان النقد الا

أن يقول « بلادة » - ورحم الله صبرى ، وما أبعده في هذه القطعة عن نفسه . قال

من قطعة أخرى غرامية :

أَبْنُكَ مَا بِي ، فَإِنْ زَحَمِي رَحِمْتَ أَخَا لَوْعَةٍ مَاتَ حُبًّا
وَأَشْكُو النَّوَى ، مَا أَمْرُ النَّوَى عَلَى هَائِمٍ إِنْ دَعَا الشَّوْقُ لَبِّي
وَأَخْشَى عَلَيْكَ هُبُوبَ النَّسِيمِ وَإِنْ هُوَ مِنْ جَانِبِ الرِّوْضِ هَبًّا
وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ مُرْهَقَةٍ مِنَ الْعَمْرِ لَمْ تَلْقَى فِيكَ صَبًّا
تَعَالَى نَجْدُ زَمَانٍ (الهناء) وَنَهَبُ لِيَالِيَةِ الثَّرَى نَهْبًا
تَعَالَى أَذَقَ بِكَ طَعْمَ السَّلَامِ وَحَسْبِي وَحَسْبُكَ مَا كَانَ حَرْبًا
فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ رَجُلٌ مَاتَ ، وَشَأْنُ مَنْ مَاتَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ شَرَفُ الدِّينِ
ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْإِنصَارِيُّ :

ذُبْتُ شَوْقًا ، فَعَالَجُونِي بِقَرَبٍ ! مِتُّ عَشْقًا ، فَحَنَطُونِي بِقُبُلَةٍ !
أَقُولُ الْجَدِّ ، إِنِّي لَا أَعْرِفُ مَا هَذَا الْمَوْتُ الَّذِي يَكْثُرُ الشُّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِهِ
وَإِدْعَائِهِ ، فَصَبْرِي يَمُوتُ وَيُبْعَثُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَالْمَتْنِي يَمُوتُ مِثْلَهُ وَيُبْعَثُ فِي
بَيْتِهِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

فَلَمْ أَرَ بَدْرًا ضَا حَكَ قَبْلَ وَجْهِهَا وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيْتًا يَتَكَلَّمُ !
وَالْأَبْيُورْدِيُّ يَمُوتُ مَرَارًا وَيُبْعَثُ مَرَارًا فِيمَا يَقُولُ :
وَمِنْ يَبِينَاتِ الشَّوْقِ إِنِّي عَلَى النَّوَى . أَمُوتُ لَذِكْرَاهَا مَرَارًا وَابْعَثُ !
أَمَّا صَاحِبُنَا الْبَهَاءُ زَهِيرُ رَحْمَةِ اللَّهِ فَيَقُولُ :

أَنَا الَّذِي مِتُّ حَقًّا تَعِيشُ أَنْتَ وَتَبْقَى

أَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ مَعْنَى الْمَوْتِ وَأَثَرَهُ قَائِمِينَ فِي صُورَةٍ أُخْرَى مِنَ الْحَيَاةِ الْمَرِيضَةِ
أَوْ الْمَعْطَلَةِ إِلَى حَدٍّ ، وَلَكِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ يَشِيعَ هَذَا الصَّدَا الْأَكْغَالُ فِي الشُّعْرَاءِ وَأَنْ
يَكُونَ كَأَمْرِ لَا بَدْءَ مِنْهُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مِنْ مَوَاطِنِ الْعَنْفِ الْوَصْفِيِّ لِحَالَاتِ الْحُبِّ
أَوْ مَا يَشَابِهُهُ ، وَلَقَدْ اسْتَلْذَنَّا جَرِيرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ — أَوْ سَخَرْنَا بِهَا وَهُوَ أَقْرَبُ — فَقَالَ :

كَادَ الْهَوَى يَوْمَ سُلْهَانِي يَقْتُلَنِي وَكَادَ يَقْتُلَنِي يَوْمًا بِنِعْمَانِ
وَكَادَ يَقْتُلَنِي يَوْمًا بِذِي خَشْبٍ وَكَادَ يَقْتُلَنِي يَوْمًا بِسُلْهَانِ !

ذَكَرُوا عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ جَرِيرًا يَنْشُدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَقَالَ : هَذَا
رَجُلٌ أَفَلَتْ مِنَ الْمَوْتِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَلَنْ يَمُوتَ أَبَدًا ! وَبَعْدَ ؛ فَلَيْسَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي

من أبيات صبرى سوى مرارة النوى وتلبية الشوق اذا دعا ، وهل ترك الأوائل
من هذا شيئاً لقائل ! لقد قدمنا من قبل ألواناً كثيرة من هذه المرارة ، وهذا
مثال مما قيل فى هذه التلبية وهو حسبك — دعانى الهوى فيه فلبَّيتُ طائفاً —
يقول صبرى :

وأخشى عليك هبوبَ النسيم وإنْ هو من جانب الروضِ هبَّاً
إمّا أن تكون هذه الخشية التى تأخذ شاعرنا خشيةً مطلقةً باعثها الحنان ورقة
القلب فهى إذاً من النوع الذى يُستفاد من قول حطّان بن المعلّى :
وإنما أولادنا بيننا — أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريحُ على بعضهم لامتنت عيني من الغمض
وإما أن تكون حالاً من الغيرة التى يولع بها المحبُّ ، فهى لا تعدو حال ابن
هاني فى قوله :

أغارُ عليه أن تمجّذهُ الصَّبَا فضولَ بُرودٍ ، أو ذُبُولَ غلائلٍ
ويقول ابن سهل الاسرائيلي فى المعنى :
وَجَهْ أَرَقُّ مِنَ النِّسِيمِ ، يُغَيِّرُنِي مَرُّ النِّسِيمِ بِحَسَنِهِ وَهُبُوبِهِ
وعلى كلا الوجهين فلا جديد فى البيت ، ولك أن تضم الى هذا القديم قول الشاعر :
خطراتُ النسيمِ تَجْرِحُ خَدَّيْ هـ ، ولمسُ الحريرِ يُدْمِي بَنَانَهُ !
وفى القطعة ما أخذ آخر تصرفنا العجلة عنها ، قال صبرى :

يا وامضْ البرقُ كم نَبَّهْتَ من شجنٍ فى أضلعٍ ذهلتْ عن دائها حيناً
فالماضى مُقَلِّ ، والنارُ فى مُهْجٍ قد حارَ بينهما أمرُ المحبِّينا
لولا تذكُّرُ أيامٍ لنا سلفت مابات يبكى دماً فى الحىِّ باكِينا
يا نسمة ضمّحت أذيالها سحراً أزهارُ أندلسٍ هُبِّي بوادينا
ذلك شعرٌ هرم ، عليه وممٌّ من الأيام والقِدَم ، ولقد جُثُوا بالبرق فهو يضحك
لهذا الجنون ، ويعجب كيف صار حديث الأجيال وذكر القرون ، فأما الماء والنار
فبُئِست الصلة ، ولا كان الجوار ! لقد قال الأولون — عفا الله عنهم — ما جاوز الحد ،
فإِيا بال شاعرنا الكريم يَأْبَى الا أن يزيدنا ؟ قال الشريف الرضى :

الماء في ناظري ، والنار في كبدي
إن شئت فأعترف ، أو شئت فأقتبسي
وقال :

إذا تَلَقْتُ في أطلالها ابتدرت
العين والقلب أمواه ونيران
وقال أبو الطريف شاعر المعتمد العباسي :

واحرّبا من فراق قومهم المصاييح والحصون
والأسد ، والمزن ، والرواسي والأمن ، والخفض ، والسكون
لم تنكر لنا الليالي حتى توفتهم المنون
فكل نار لنا قلوب وكل ماء لنا عيون

وفي حد ما قيل في هذا الباب كثرة قولهم في النسمات وأذيالها ، ومن ذلك قول ابن معنوق :

وتنفس النمرين عن عقبه
وقول سيف الدين بن المشد :

وصبا مرت من قاسيون ، فسكنت
بهبوها وصب الفؤاد البالي
خاضت مياه النيربين عشيّة
فأنتك ، وهي بليلة الأذيال
قال صبري من قطعة أخرى :

يا مقرّ الغزال قد صحّ عندي يوم أني افتحمت منك عريشا
ينظر شاعرنا في هذا الى قول ابن منبجك :

بي ريم كناسه المران
ما لقلبي من ناظريه أمان
أو الى قوله وهو أقرب :

أفديك ظيّا أرنجي لك وأتني سطوات باسك
نخشي الأسود مهابة من أن تمرّ على كناسك

كلمة الختام

ينزع صبري في شعره الى طريقة الكتاب ، وهم على تصرفهم في مذاهب القول وفنونه ، وتأقهم في أحكام الصناعة ، فلما تسمو بهم منازلهم الى من فوقهم من

الشعراء المبرزين ، وهو يسير على قدمهم في تناول الصور والمعاني وتلوينها بعد أن يجاد سبكها ، ونحكم صياغتها ، وأن منها لما يكون لغيرهم ، وإنك لتجد في جديدهم من حلاوة ولذة ما يكون كالرشوة لك على إجازة ما تناولوا من ذلك القديم ، وقد امتدح شيوخ الأدب هؤلاء الكتاب وأنثوا عليهم ، فقبل انهم (دهاقين الكلام) ومن رؤسائهم ابراهيم بن العباس الصولي ، والحسن بن وهب ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ، وسعيد بن حميد ، فمن قول ابراهيم في الفضل بن سهل :

لسهل بن فضل يدٌ تقاصر عنها المثلُ

فباطنها للنفدي وظاهرها للقبَل

ونائلها للغي وسطونها للأجلُ

ولابن الزيات :

قامَ بقلبي وقعدُ لما نفي عني الجَلدُ

يا صاحبَ القصر الذي أسهرَ عيني ، ورقدُ

واعطشى الى فمِ يمجُّ خمرًا من بردَا

وله :

ما أعجبَ الشيءَ رجوهُ فتُجرمهُ قد كنتُ أحسبُ أني قدملاتُ يدي ا

ذلك حيث ينزع صبري ، وانه على ما ترى من أمره لشاعر ، وإنما أنت منه بين بيتين ان شئتَ فقولُ البحترى :

ولربما عثرَ الجوادُ ، وشأوهُ متقدمٌ ، ونبا الحسامُ الفاطحُ

واذا شئتَ فقولُ المعري :

والإنسُ مثلُ نظام الشعر ، كم رجلٍ يُفدى بجيشٍ وكم بيتٍ بديوانٍ

رحم الله صبري ، وغفر لنا وله ، وهذا ماريثته به :

صدعتُ قوى الحدائِ ، فأنهاض كلِّكُ وخفٌّ من الأعباء ما كنتَ تحملُ

نحوَلتَ ترتادُ المنازلَ ممحاةً فطابَ لك المرتادُ والمتحولُ

دبارٌ تُجافبها الهمومُ ، وجيرةٌ كهَمِّكَ ، لا جافٍ ، ولا متنقلُ

تناهتْ خطوبُ الدهرِ عنكَ مروعةٌ وولَّتْ على أعقابها ، وهي جُفَلُ

لكَ المَعْقِلُ الرامِى على الدهر، إن هوى
إذا احتلَّه ذوالضعف، لم تُغنِ عنده
ترى الأرضَ ما لاذتْ به فى مفاضةٍ
تُشيرُ، فَيستخذى بها كلُّ طامحٍ
سواءَ عليها مستبدٌّ وناجزٌ

* * *

أَمَزَلْ (إسماعيل) جَوَّكَ طَيِّبٌ
تَزِيْلُكَ عَصْرٌ لِلأَعَارِبِ كَابِرٌ
هوى الفائدُ المقدامُ فيكَ ، وغالنا
ضجيجُكَ مجْدٌ لِمَالِكٍ باذِخٌ
يلوذُ بِكَ (التاجُ) المَعْفَرُ ضارِعاً
أرى دولةَ الآدابِ زُلْزِلَ صَرْحُهَا
وَرُوعٌ مِنْ أَبْطالِهَا كُلِّ مُحَرِّبٍ
فَتَى البأسِ ، لَارَتْ السِّلَاحُ إذا انتهى
فما كان مِنْ صُنْعٍ جَمِيلٍ تَحِيدُنُهُ
حَتَّى سُوْدِدَى بِالْغَيْبِ ، فارتدَّ مُوعِدِى
فأصبحَ (ذوالتاجينِ) قَد ثابَ رأْيُهُ
كَبَا الجَدُّ بِالوَأشَى الْمُحِبِّ سَعِيَهُ
وما كانَ إِلَّا أَنْ ضَنْفَتْ بِذِمَّتِى
لِشْ بَرٍّ أَعْلَامَ البِلاغَةِ قَائِلًا
مِنْ القَوْمِ ، سَادُوا بِالرَّوَّاحِ جُودًا
إذا القولُ لم يَنْصَرُهُ خُلُقٌ مَهْدَبٌ
إذا ما التَمَسْنَا الصَّبْرَ ، نَرْجُو ثَوَابَهُ

وَوادِيكَ مَأْمُونٌ ، وَجَارُكَ مُجْتَمِلٌ
وَضَيْفُكَ جَيْلٌ لِلنَّوَابِغِ أَمَلٌ
لَدَى الكَرِّ ما جَرَّ السِّلَاحُ الْمُفْلِلُ
وَأَنْتَ لِمُلْكٍ (الضادِ) مَنَوَى وَمَنْزِلُ
وَيَهْوِ حَوَالِيكَ (المَرِيرُ) الْمُعْطَلُ
وَبَاتَ صِياصِيهَا الفُلَى تَهَيَّلُ
وَطَاحَ المَرْجَى لِلْحِفَاضِ لِلتَّوَمَلِ
وَلَا هُوَ بِالْوَانِ ، إِذَا نَابَ مُعْضَلُ
عَلَى الدَّهْرِ إِلَّا صُنْعُهُ هُوَ أَجَلُ
وَأَقْصَرَ عَنِ ذُو النَّمِيمِ الْمُضَلُّ
وَأَصْبَحْتُ مَا فى جَانِبِ مُتَعَلِّلُ
وَطَاحَ بِمَزْجِيهِ الحَدِيثُ المَهْلَهْلُ
كَمَا ضَنَّ قَبْلَى بالدُرُوعِ (السِّمَوَالُ)
فَأَبْلَغُ مِمَّا قَالَ مَا كَانَتْ يَفْعَلُ
تُسَايِرُهَا مِنْهُمْ صَنَائِعُ جُودِ
فَلَا تَكُ مِنْ أَنْصَارِهِ حِينَ يُبْخَذَلُ
أَبْتُ أَنْقَسَ مِنْهَا مَجَازِيْعُ تُكَلَّلُ

عَنِ الْأَمْدِ الْأَفْصَى الْأَغْرُ الْمُجْجَلُ
وَأَزْعَجُهُ دَاعٍ مِنَ الْبَيْنِ مُعْجَلُ
فَأَنْتَ أَنْتَ الْعَبْقَرِيُّ الْمَفْضَلُ
سَنَا الْوَحْيَ فِيهِ ، وَالْبَيَانُ الْمَفْصَلُ
لَدُوْ يَبْنَاتٍ بِالْأَعَاجِبِ مُرْسَلُ
إِذَا اسْتَنَّ فِي إِيمَاضِهِ يَتَهَلَّلُ

هُوَ السَّابِغُ الضَّافِي الْجَنَاحَيْنِ ، وَارْعَوِ
أَقُولُ (لَا إِسْمَاعِيلَ) إِذْ خَفَّ رَكْبُهُ
عَلَيْكَ سَلَامُ الْفَاضِلَيْنِ مُبَارَكَا
مَضَى الشَّعْرُ يَهُوِي فِي رَحَالِكَ ، وَانْطَوَى
وَإِنَّكَ إِذَا تَفَتَّنَ فِي مَعْجَزَاتِهِ
كَأَنَّ النَّمَاعَ الْبَرْقَ فَيُضْ شُعَاعُهُ

وَأَفْقَرُ ، حَتَّى مَا يَغْنِيهِ بَلْبَلُ
تَدَاعَى بِهِ سِرْبٌ رَيْنٌ وَيَعْوَلُ
فَتَأْبَى ، وَيَسْتَسْقِي الْغَنَامَ فَيَبْخَلُ
لَحِيدُ ، وَمَرَّتْ خَفِيَّةٌ تَتَسَلَّلُ

ذَوَى الرُّوْضِ ، حَتَّى مَا يُحْيِيهِ نَاضِرُ
إِذَا هَاجَهُ سِرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ نَاعِبُ
يُنَاشِدُ أَنْفَاسَ الصُّبَا ، يَسْتَرْبِرُهَا
إِذَا مَا دَنْتَ مِنْ جَانِبِيهِ ، تَنْكَبْتُ

مِرَاحٌ ، وَلَا يَغْنَى الْخِثَالُ أَخِيلُ
وَهَادِيهِ ، إِنْ أَعْيَا عَلَى الرِّكْبِ مَجْهَلُ
وَإِنْ جَلَّ مَا تَمْتَحُ مِنْهُ وَتَبْذُلُ
وَإِنْ لَجَّ مِتْلَافٌ وَأَفْرَطُ مُجْزَلُ
عَلَى قَوْمِهِ ذُو النِّعْمَةِ الْمُتَطَوِّلُ
تَعَلُّ بِمَعْمُولِ النَّطَافِرِ وَتُنْهَلُ
مِنَ الْحَقِّ تَقْضِيهِ ، فَذِكْرُكَ أَوَّلُ

سَكْتٌ ، فَمَا يَزْهَى الْبِلَابِلُ بِالضُّحَى
لَصَوْتُكَ حَادِي الدَّهْرِ ، إِنْ شَفَّهُ الْوَنَى
وَلَنْ تَنْقُضَ الْأَجْيَالُ مَا أَنْتَ مُورِثُ
يَزِيدُ وَيُوْنِي فَضْلُهُ كُلَّ مَعْتَفٍ
لَجْلِيكَ فِيهَا نِعْمَةٌ لَمْ يَجِدْ بِهَا
تَظَلُّ إِذَا اسْتَسْقَتْ أَسَاكِيْبَ جُودِهِ
إِذَا مَا ذَكَرْنَا الْأَوَّلِينَ لَوَاجِبِ

أحمد محرم





الفردوسي الشاعر الفارسي

ان الاحتفال بمروق ألف سنة على حياة الفردوسي شاعر الفرس الشهير ومؤلف (ملحمة الشاهنامة) في هذه الأيام قد طبق الخافقين فقام الناس وقعدوا لتكريم رجل في الشرق من نوابغ الشعراء وجاء الاساتذة والذكائرة من اطراف أميركة الشمالية الى بلاد ايران لحضور المهرجان الذي تقيمه طهران احتفاء بمولد كبير شعرائها . والشاهنامة هي الملحمة البديعة التي بقيت أشبه بالياذة أميروم دستور الأدب الفارسي وقد عني الدكتور محمد آغا أوغلو أستاذ الفن الاسلامي في جامعة مشيغان الاميركية ومدير القسم الشرقي في متحف الفنون الجميلة في مدينة ديترويت بهذا الشاعر وتعريفه للعرب بما نشره من المقالات في الصحف الاميركية جرائد ومجلات وهو صديق الدكتور النطاسي وطينيا وصديقنا لطفي السعدي رئيس معانة الامراض الداخلية في جامعة هاربر (ديترويت) وكاتب البحوث المفيدة في مجلات أميركة عن الطب العربي وفنونه واعلامه فرافقه الى بلادنا واقترن بفنائة مهذبة فان سكنت الصحف عنه فقد نطق فضله بأذابه . . . وان أهملنا نحن ذكر علمائنا أحياء وأمواتا فنشكو أمرنا الى الله الذي يلهمنا معرفة قدر الرجال الذين يجب الاحتفال بهم وهذه كلمتي في الفردوسي .

توطئة

اتصل العرب بالفرس من زمن قديم ووقفوا على آدابهم واقتبسوا من آثارها أفكارهم وبنات أفلامهم . فالفرس أمة قديمة اشتهرت بآثارها وشعوبها وآداب لغتها كما تدل العاديات المكتشفة والتواريخ المنقوشة على الصخور وفي بطون الاوراق والآخر ، من ذلك كتاب كليلقودمنة الذي نقله الينا ابن المقفع من الفارسية المعروفة بالهلوية وهو مشهور ومعروف بأدب القصة وحسن المغزى واجادة السباحة .

ونبع من الفرس أطباء مثل ابن سينا ، وُحَّاةٌ مثل سيبويه ، وشعراء مثل بشار بن برد وبدیع الزمان الهمدانی ، ولغويون مثل الكسائي والقراء وأبي عبيدة ، وكتابٌ مثل ابن قتيبة ، ومؤرخون كالبلاذري والدينوري والشعالي ، ومترسلون كالخوارزمي ، وجغرافيون كالاصطخري وابن خرداذبه ، وفلاسفة كالفارابي والغزالي واخوان الصفا وفقهاء مثل أبي حنيفة النعمان ، ورواة مثل حماد ، وكلهم كانوا من رجال النهضة ولهم مؤلفات وكتب هي مرجع الطلاب ومنتجع الأدباء ولبعضهم آثار أفلام بلغتهم الفارسية مما لا محل لتفصيله ولطالما اقتبس شعراؤنا من المعاني الفارسية وتحدى كتابنا ومؤلفونا أساليبهم ونقلوا أفكارهم وافتخروا بنتاج عقولهم .

نساء الفردوسي وشاهنامة

كان العصر الذهبي للآداب الفارسية بين القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد فازهرت العلوم والفنون ولا سببا الشعر فنبع فيه كثير من الشعراء والكتاب والعلماء وبينهم الشاعر العبقري (الفردوسي) الذي أفقت شهرته وذاع صيته وتناقل الناس آثار أفلامه وبنات أفكاره .

(الفردوسي) هو نصير الدين الطومسي نسبة الى مدينة (طوس) الفارسية التي أنجبته فولد فيها سنة ٩١٦م (٣٠٤هـ) واشتهر بعبقريته وجودة قريحته وقوة بادرته في النظم فنال منزلة عظيمة في عيون القوم وأقبلوا على منظوماته ولا سيما (الشاهنامة) الملحمة الطويلة التي صرف ثلاثين سنة في تأليفها فضمنها تاريخ ملوك ايران منذ أول عهدهم الى زمن خسرو ابرويز واسترسل فيها الى وصف أساطيرهم وخرافاتهم وخيالاتهم مما يتعلق بأخلاقهم وعاداتهم حتى أجاد ما شئت بلاغته في تصوير أصول الدول وشؤونهم والشعب ومزايده ومرد الحوادث أجل مرد ببلاغة ورشاقة حتى كانت ملحمة هذه ستين ألف بيت من الشعر الفارسي المتين فكانت أبلغ ما نظم بالفارسية بل جاءت حداً فاصلاً بين الشعر الفارسي الصرف والشعر الفارسي الملحع بالكلام العربي الكثير الشائع إذ ذاك .

وقدمها الفردوسي الى السلطان محمود ابن سبكتكين الغزنوي فذهب المؤرخون في خبر هذه المقدمة الى رأيين :
الأول — أن السلطان الغزنوي كافأه بدينار عن كل بيت فنال ستين ألف دينار وذلك في أوائل القرن السادس للهجرة .

فراى الفردوسى الجائزة كبيرة وكان لم يسبق له عهد بمثلا قبل ذلك فاستولى على عقله خيال أدنى الى اختلاله فمات من ليلته لشدة ذهوله .

والثانى — أنه لما قدم ملحمة هذه للسلطان المذكور لم تنل هديته الحظوى لديه فأساء معاملته وفرّ الى بغداد وهجا بقصيدة بليغة . فاضطر السلطان الى استرضائه باستقدامه اليه نادماً على تسرعه بعدم تكرمه واجازته ، فلم يلب الفردوسى طلبه بل مات غربياً عن وطنه وترك ابنة وحيدة له نزل فيها ضيق ذات اليد فأصبحت فقيرة يتيمة .

فلما نعى خبره الى الغزنوى وعرف ما هى عليه ابنته من الحاجة والفاقة أجازها على منظومة أبيها الآتية الذكر بمال كثير ، على أنها لكبر نقصها ولبرها بوالدها أرجعت اليه المال آية التمتع بعد أبيها بمال حظر عليه فى حياته ، فعجب السلطان منها .

عناية الغرب بالشاهنامة

ولما وقف الافرنج على آداب الفرس وعصرهم الذهبى فى ذلك العهد كتبوا مؤلفات عنهم واعتنوا بدرس الشاهنامة وترجمتها والوقوف على أفكارها مع أن جيران الفرس من العرب وغيرهم لم يحفلوا بها ولا احتفوا بها تلك الحفاوة الواجبة لما فيها من البدائع والأفكار الشرقية والصور الخيالية وحسن الانسجام والرصف .

ومن اعتنى بها فى القرن الماضى جول موهل المستشرق الالمانى المتوفى سنة ١٨٧٦ م . فطبعها فى باريس بغاية الضبط والدقة والترتيب فى سبعة مجلدات ضخمة ونقلها الى الفرنسية وذيلها بالحواشى والتفاسير فجاءت آية فى الابداع ووقف الأوربيون على أفكار الفردوسى وحسن تصرفه بالمعانى ومرد الأخبار .

وجاء بعده المستشرق الروسى نيكولا خانيكوف المتوفى سنة ١٨٧٩ فكتب فى آداب الفرس وشعرائهم وأفاض فى وصف الفردوسى وشاهنامته هذه لأنه كان قنصل دولته الروسية فى تبريز فعرف الفارسية وتعمق فى فهمها حتى كشف حقائق غامضة عن الشاهنامة .

وعقبه آخرون فى هذه الدروس من المستشرقين مثل ادورد برون الانكليزى الشهير فوضع كتاباً انجليزياً فى تاريخ آداب اللغة الفارسية ونوابغ الشعراء والكتاب

والأدباء على اختلاف طبقاتهم وفيه تفصيل وافد عنهم وعن شاعرهم الفردوسي وملحمته الى غير ذلك مما لا محل للأفاضة فيه بهذه اللغة. انما ان اردنا ان نكتبه
 ونكتبه بلساننا فليس لنا من اللغة العربية متصلة ومنه لا نأخذ الا ما نأخذ من
 شاهنامة تركية

ولما كان الشيء بالشيء يُذكر نشير هنا الى منظومة تركية لناظمها الفردوسي الطويل باسم الشاهنامة في عهد السلطان بايزيد العثماني بلغ عدد أبياتها المليون أو أكثر على قول أحدهم تحدى فيها الناظم شاهنامة الفردوسي فانتقى منها ثمانين مجلداً فأهداها الى السلطان المذكور فلم يجزه عليها بشيء فغادر البلاد العثمانية الى خراسان أسفاً على ما أصابه من الفشل .
 هذا ما رأيت الآن ذكره باختصار من درس مطول لي في شعراء الفرس بكتاني
 « التذكرة المملوكية » ذكرى لهذا الاحتفال والسلام ؟

رحلة (لبنان) عيسى السكندر الملقوف



أبولو والشعراء

قرأت أخيراً في مجلتكم تحت هذا العنوان كلاماً ، أحسب أن لي الحق في التعليق عليه ، على الأقل باسم ما ترددونه كثيراً من تساهلهم الأدبي ، وافتتاح المجلة لما قد يوجه اليكم من النقد اوعلى غير عادة أحتفظ بنسخة أخرى من هذه الكلمة اذ أننى لا أثق كثيراً بما يذيعونه عن تساهلهم وترحيبكم بالنقد .

وأظنكم تعترفون معي أنكم في بعض ما كتبتم قد وصلتكم الى مستوى أعلن أسنى وعجزي معاً عن مجاراتكم فيه ، فان أخلاقى التي يطيب لكم الآن — فقط —

أن نغمزوها ، نأبى على الهبوط إلى مستوى الشتائم القذرة التي هي في متناول كل الأقلام ، ولا يشرفكم ، كما أنه لا يشرف أى إنسان ، أنه يستطيع صف عشرات من هذه الشتائم بعضها بجانب البعض ، كما أننى أعتقد أنها ليست جزءاً من البرنامج الواسع الذى تسمى (أبولو) فى تحقيقه ، فهذا على ما يبدو أول درس فى برنامج جديد ، أو الدرس الثانى فقد كان لزميلكم « صالح جودت » فضل الابتكار !

وأنا أستعير بعض سماحتكم وترفعكم ، فألتسامح وأترفع عن التعليق على هذه الشتائم ، وأبيح لكم ولمن تبيحون لهم صحيفتكم ، أن تتناولونى بشتم جديد على حساب الأخلاق الفاضلة إذا عنى لكم ، حينما نصل المسألة إلى تبادل كلمات « الصفاة » ومثل سيد قطب ، والحاجة إلى عرفان الأدب الاجتماعى ، حينما نصل المسألة إلى تبادل مثل هذه الكلمات نخرج من الأدب والمجلات الأدبية إلى مجال آخر يتسع لهذه الألفاظ !

ويبقى إذن بعد هذا أمران قد يكونان « أنظف » من تلك القذارات وهما أن مجلة (أبولو) عرفتني للناس ، وأننى أنظر بمظهر المقصود المرجو الذى بهم الأدباء أراؤه ونقده .

فأولاً أريد يا سيدى أن تذكر ، وأن يذكر كذلك أولئك الذين يتبرعون بمعونتكم كلما ظهر لكم خصم أن أول قصيدة نشرتها لى « أبولو » لم أكن قد أرسلتها إليها ، ولكنها نقلتها عن « الأهرام » . وصحيفة الأهرام ، ولا شك ، توزع أعداداً لا تقل عما توزعه أبولو !

وأود أن تذكروا كذلك أنها لم تكن أول قصيدة بالأهرام ، كما أنه قد سبقها ما نشر منذ عام ١٩٢٤ بالبلاغ اليومى والأسبوعى وكوكب الشرق والوادي والمصور وسواها من الصحف التى لا يقل ما توزعه عن مجلة أبولو الواسعة الانتشار !

وأثقل عليكم بأن تتذكروا أننى لم أنشر فى أبولو الا ثلاث قصائد بعد ذلك ثم امتنعت عن النشر ، مع تكرار طلبكم لبعض المقطوعات ، وقد رأيت لأشياء خاصة لاحظتها فى جو « أبولو » ألا أنشر فيها شيئاً ، كما منعنى هذه الأشياء نفسها أن أقبل الانضمام إلى جماعة أبولو — مع تكرار دعوتكم لى أيضاً — أظنكم تنكرون ذلك بعد ما صرحتم أتم به أمام بعض الاخوان ومنهم زميلنا عبد العزيز عتيق .

وإذن فالفضل الذي تريدون أن تعرفوه لأبولو علىّ ، آسف لأنني لا أستطيع أن أتشرف به .

بقي أنني أنظاها بمظهر المقصود المرجو الذي يهيم الأدباء آراؤه ونقده وما أريد أن أقص عليكم شيئاً من الخارج ، ولكنني أريد أن أذكركم بعدة حوادث وتصريحات لكم شخصياً ، وأنا متنازل عنها إذا خطر لكم أن تصدروا عنها بلاغاً رسمياً كالبلافات التي نشرتموها في كلمتكم الأخيرة تقولون فيه « غير صحيح بالمرة » فهذه خطة لا تكلف أصحابها شيئاً !

أريد أن تذكروا أنكم رجوتني في إلحاح - أن أكتب دراسة لديوانكم (أطيف الربيع) وأنكم أرسلتم لي الكتاب في أثناء طبعه « ملزمة ملزمة » لدراسته ، ولكنني لم أستطع أن أنهض بهذه المهمة .

وأن تذكروا كذلك أنكم طلبتم مثل هذا الطلب - في تاسيع هذه المرة - عند إعادة طبع ديوانكم الأول « أنداء الفجر » فاعتذرت لكم بأنني أفضل الكتابة بعد ظهوره في الصحف ، وإن كنت لم أستطع أن أنهض بهذه المهمة كذلك .

وأن تذكروا أنكم عرضتم عليّ مرات أن أقوم بدراسة لمؤلفاتكم واكتب عنها محاضرة كالتى ألقيتها عن العقاد ، وبعض هذا العرض كان مرات أمام زميلنا « فايد العمروسي » في دار مجلة أبولو ، حتى لقد هممت أخيراً أن ألبى هذه الرغبة الملحة وأن أدرس آثاركم جميعاً وأخذت فعلاً في هذه الدراسة على كثرة ما يصرفني عنها .

وأن تذكروا أيضاً أنكم أشرتم إلى أن أكتب دراسة عن « الألحان الضائعة » لزميلكم الصيرفي لتطبع بالكتاب ، وأن هذه الإشارة كانت لزميلنا عبدالعزيز عتيق وقد أبلغني إياها ، وعبدالعزیز أصدق مني ومنك على أقل تقدير في هذا الموضوع ! ولا بد أنك تذكر يا دكتور حكاية الاعلان الذي كنت قد نشرته عن مجلتكم « أبولو » في الأهرام ، فإذا بي أجده في مجلة « الامام » منشوراً بامضائي وتذكر انني غضبت لهذا التلاعب ، وقلت لك : إنني لست من عشاق الامضاءات الذين يوقعون على كل ما هبّ ودبّ لتنشر أسماءهم وتذكر ، ولا شك ، ما حاولت أن ترضيني به من أنكم تعتزون بمثل هذا التشجيع الكريم وتودون تكرار الكلمة ، وأن هذا هو الذي جعلكم على إعادة نشرها بامضائي ، ويمكنك أن تستعين بذاكرة الزميل محمود حسن

اسماعيل « إذ الظاهر يا دكتور أن الصيف وحالة « أبولو » التي بسطتها لمعالي وزير المعارف تؤثر على ذاكرتك وأعصابك في هذه الأيام .

وبعد هذا يا سيدي الدكتور فاني كنت أود لك ، ألا يخونك قلمك فتهدى إلى مثل هذا المستوى ، وأن تظل مالكاً لأعصابك ، متظاهراً بما ظلت تتظاهر به من التسامح والبعد عن المهارات .

ومهما كان أثر كلمات « معركة النقد » وما خشيتم أن تحدثه من تعويق لكم في مطالبكم أمام معالي وزير المعارف - كما صرحتم لبعض الزملاء - فإنه لم يكن ذلك في حسابي ولم أرم إليه ، ولم يكن يجمل بكم أن تفعلوا هذا الانفعال ، وأنا لا زلت أتعنى لكم هدوء الأعصاب وانتظام الميزانية لخير الأدب ، ومعونة وزارة المعارف والسلام عليكم ورحمة الله ما

سير قطب

(لا يادون كيشوت^(١) ! نحن لن نحجج عن نشر أدبك البارع فهو فريد في طرازه وقد ينفع به سرفانتس آخر ، وإن كنا نحجج طبعاً عن نشر ما هو أخص لأنه يهمننا أن لا تُفسد عليك مظهر البطولة التي فتنتك أنت وزميلك السيد فايد (سانكوپازا)

حقيقة نحن آثمون في أن ننسب اليك أيها البطل طبيعة الصفاقة ، فانما هي شجاعتك الباهرة في قلب ما نظنه نحن حقائق ، لأن . نظرك الناقب يرى غير ما يرى وقلمك الجريء يؤمن بمذهبك الحكيم : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » . . . وما الحياة في مذهبك الحكيم إلا نوع من الرذائل القديمة ، وما الصدق المؤلف في فلسفتك الجديدة إلا هذر في هذر ، ولا شك في أنك مصيب في كل هذا بدليل انتصاراتك الباهرة وآخرها معركة الطاحونة الشهيرة ! ولعلها ما جعلتك ترح في الأوصاف النقية التي ازدان بها رسالتك المهدبة الأصلية .

(١) تطلب سيرة دون كيشوت بالعربية من المطبعة السلفية بشارع البوردية بالقاهرة .

إنَّ مجلة « الأسبوع » الغراء ميسورة وكذلك عدد « أبولو » الماضي فليراجعها القراء ليروا إذا كنّا نجنّبنا عليك في شيء ، أو أننا بعد حلم طويل وبعد تنبيه صريح لك دافعنا عن شرفنا فحسب إزاء تفنّنك المدهش في اختراع الاتهام . ولكن عذراً لغناوتنا ، إذ كان يجب أن نقدر على أيّ حال أن اتّهامك لا مربية فيه ، وأنّ مجرد تنازلك لاتهامنا بأخسّ التّهم هو تشريفٌ أكيدٌ لنا . أليس دون كيشوت العظيم ؟

نحن لم نطلب منك أيها العزيز أن تكتب شيئاً مطلقاً عن أي مؤلّف من مؤلفاتنا فنحن لم نحلم أبداً بمثل هذا الشرف من تلقاء أنفسنا ، ولكنك أنت العظيم الذي تفضّلتَ بعرض ذلك ، وألحجتَ فيه تكراراً ، وتمنّقتَ لنا أحاديثك ما شاء كرمك من تقاريظ كثيرة لدواعٍ نبيلة أنت أدري بها ، ولكننا لغناوتنا وسخافتنا لم نعرف كيف ننتفع بهذا الفضل ، كما لم ننتفع بتلك التقاريظ الكثيرة والدراسات التي تحت أيدينا ممن يدعون غروراً أنّهم أفضلُ منك . . . كذلك لم نطلب منك أيها العزيز أن تكتب شيئاً عن « الألحان الضائعة » وقد خانتك ذاكرتك تماماً وفاقاً لقانونك الأدبيّ الجديد لقد صدر هذا الديوان بعد أن كشفت عن شخصيتك النبيلة في مجلة « الأسبوع » على أثر اعتقادك بأنّ كلاماً من « الامام » و « أبولو » قد انتهى أمرهما ، وكلُّ ما وقع منا أننا وجونا صديقنا الشاعر عبد العزيز عتيق أن يوافي « الأهرام » بتصديرتنا للألحان الضائعة من باب التنويه بهذا الديوان الجديد قياماً بالواجب نحو زميل نابه . ولكن لا بدّ أننا غير صادقين ما دمت أنت تقول ذلك أيها البطل !

نحن لا نمنّ عليك يا دون كيشوت فالمنّ ليس من خصالنا ، ونحن نقرّ بصراحة أنك كعملك الشهير من أصحاب الفضل على الجميع وليس لأحدٍ فضلٌ عليك أبداً . وصحيح أن مجلة « أبولو » نشرت قصيدة لك عن « الأهرام » وعُنيبت بالتنويه بها تنويهاً فنياً استأهل تنازلك لشكرنا بعد أن كان شعرك مغفلاً في البيئات الأدبية ، ولكن من حَقك طبعاً إلغاء هذا الشكر ففروسيّتك تقضى بذلك الآن بعد أن انقضى الزمن الذي كنّا نتوسط لك فيه بالخير عند رئيس تحرير « الأهرام » وهذه (أبولو) عرفت بأدباء يقال إنهم أفضل منك كثيراً ، ولكن هذا القول هو بلا شك هراء في هراء !

وأما عن ترشيحك في « جمعية أبولو » أيها العزيز فخلوّ مركز أحد شعراء

الشباب فأمره اعتيادي لم نذكره لك إلا مرة ، وأكبر معناه تسامحنا واحترامنا لثقتي
البيئات الشعرية ولا نعرف له معنى بعد ذلك ، ومع هذا فتفسير دون كيشوت لابد
أن يكون هو الأرجح والأصوب ... وإذا بُلِّغ دون كيشوت شيئاً بصفته محرراً
في جريدة محترمة كما يبلِّغ غيره (وجميع محرريها بحمد الله من أصدقائنا) وجب أن
نعتبر احترامه هو الأصل ، وأما الجريدة العظيمة فتابعة له كما يقضى بذلك المرسوم
الكيشوتي ! ولابد أن يكون هو المقصود لذاته دائماً فهو ربّ الشأن أولاً وأخيراً !

وأما عن كلمتك في « الأهرام » عن مجلة « أبولو » فصحيح أننا قلنا إننا نفتر
بها ما دامت من صديق ، وقلنا ذلك باخلاص أكيد وتقدير لمحبتك الظاهرة لنا ،
وبؤسنا أننا كما مخدوعين في ذلك أو على الأقل برهنا على أننا لسنا أهلاً لطرار
صداقتك العالية وفلسفتك الأخلاقية العالية التي تجعلنا نرى العالم كالجحمة المخنوبة
على رأى استاذك الجليل الذي تعمل لحسابه ضدنا . ولو أن لنا بعض النفوذ لافترحنا
على وزارة المعارف التي أصبحت من رجالها الأفاضل أن تسند اليكم تدريس
مذهبكم المبقرى الجديد في « الأخلاق » في الجامعة فليس أقل من ذلك جديراً
ببطلنا دون كيشوت !

وأما عن توجسنا إلى صاحب المعالي وزير المعارف فلا شأن له بمحملاتك العبقريّة
ومعاركك الدموية ، فهما أصابنا منها فلا حرج علينا إذا قابلنا معاليه بمجروحين
مثلومين ، فمن نكون نحن بجانبك يا دون كيشوت ؟ ولكننا بحمد الله غير
مثلومين ، في شيء وقد تعففنا عن الكشف عن جراحاتك - جراحات البطولة طبعاً !

وبعد ، فثق أيها العزيز أن كل من خبرك خبرة كافية بل كل عاقل لا يحمل لك
غير الشفقة وحب الخير ، ونرجو من عظمتك أن تتنازل فتعدنا بين العقلاء وحينئذ
نجهل هذا الردّ آخر ما بيننا وبينك ، فحرام أن نقسو عليك ونشدّ أذنك أكثر من
اللازم أو أن نشغل القراء بقصص بطولتك ومغامراتك بينما نريد اجتذابهم إلى الشعر
والأدب الحى ، وإن كانت شخصية دون كيشوت ومعاركه بلا شك أمراً خطيراً في
هذه الدنيا المقلوبة . وما نود أن نتدلى فنشرح حقائق هذه المعارك الوخيمة وعناصر
بطولتك تفسيراً لما نعتّه بالقاذورات ونحوها ، وتيسيراً لشرّاح أدبك في المستقبل ،
وفي مقدمتهم الشاعر الناقد صالح جودت الذي خصصته بإشارتك فإن لنا في الأدب
رسالة غير كل هذا ، والبلاد - المحرر .



تكریم زکی مبارك

أشرنا من قبل الى تكريم الدكتور زكى مبارك فى القاهرة تكريماً باهراً لإصداره كتاب (النثر الفنى فى القرن الرابع) الذى لا يُعدُّ كتاب العام فحسب بل الكتاب الممتاز من طرازه منذ أعوام . وقد أبت الاسكندرية إلا أن تساهم فى الحفاوة بنبوغه الأدبى فأقامت له (جماعة الأدب المصرى) حفلة شائقة فى مسرح نادى موظفى الحكومة مساء يوم السبت ٨ سبتمبر الماضى ، وانما قامت بهذا الواجب الذى اشترك فيه أكثر من شاعر لثلاثة اعتبارات : أولها أن مؤلف الكتاب أديبٌ مصرى ممتاز ، وثانيها أنه لم يفته فى كتابه نقد جانب هام من الأدب المصرى فى ذلك العصر ، وثالثها أنه عالج كذلك نقد الشعر والمقارنة بينه وبين النثر الفنى فاستأهل من أجل هذا حفاوة الشعراء بفضله .

وقد كان طابعُ الحفلة الاخلاص الشديد والصدق الأكيد والاعجاب الصحيح ، وهى صفاتُ التخلّصين من أصدقاء الأدب .

وكان أوّل المتكلمين فى هذه الحفلة الباهرة الأديب على محمد البحر اوى سكرتير (جماعة الأدب المصرى) فأشار الى أن التكريم هو نوعٌ من النقد وأن المؤلف لا يُكرّم إلا بعد أن يكون النقدُ الأدبى قد انتهى من تصفيته والحُكم بوجوب تكريمه . ثم نكّتم عن أدب زكى مبارك وشمائل تصنيفه الجليل والمعِيشة الحقّة ، واغتباط (جماعة الأدب المصرى) بالنيابة عن أدباء الاسكندرية بتنظيم هذا الاحتفال .

والقى بعده الشاعر عثمان حلمى قصيدةً عصماء جاء فيها :

ما على القائلين أحسنتَ عيبٌ لمجيدٍ ، والعيبُ عند ملامية
غيرَ أنَّ الحسودَ آلمَ قلباً من فؤادِ المحسودِ رغم سقامية

في اجتماعه مع أئمة الدين والعلما في دار الحديث في القاهرة
 في ليلة الجمعة ١٠ من شهر ربيع الأول ١٣٥٠ هـ الموافق ١٩٣١ م



الدكتور ذكي مبارك ومط لجة المختلين به من الادياء في الاسكندرية قبل ابتداء الحفلة

ما له لا يرى الضياء بطرفٍ أظلم الحق في دُجى إظلامٍ
دونه لو رأى الضياء كتابٌ تتجلى الجهود في أحكامه
هو ذخرك الأديب لو شاء ذخراً وهو يكنى لو كان كل خطامه
كرّموا النابغين في الشرق حتى يتجلى بانيه من هدّامه

ثم ألقى بعده الأديب على حافظ من أعضاء الجماعة ومن رجال التعليم خطبة قيمة تكلم فيها عن حياة مؤلف (النثر الفنى) فى الأزهر وفى الجامعة المصرية وفى جامعة باريس ، الى أن قال : « وقدّم الى السوربون رسالة لنوال الدكتوراه فناها بتفوق يشهد له بالنبوغ ، وكانت رسالته الأولى من نوعها وهى كتاب (النثر الفنى) الذى يجلّ الوصف عن حصر معانيه بل يقصر البيان عن تبيان محاسن مراميه ... ذلك كتابٌ سلخ المؤلف سبع سنين فى تأليفه هى من أنضر أيام حياته ، وكلّ أمه أن يصوغ لعالم الأدب درّةً ثمينةً فى تاريخه فبذل جهد الجبارة ودأب على مواصلة العمل دون كلل أو ملل حتى وُفّق الى نوال ما كان يصبو اليه . »

وتبعه الشاعر عبدالمعطى حجازى سكرتير لجنة الاحتفال فألقى قصيدة شتعة طويلة .

ثم ألقى بعده الشاعر محمد فضل اسماعيل قصيدة رائعة فى تقدير المحتفل به ، ثم تبعه الدكتور أبوشادى باستعراض شامل لمواد الكتاب ومزايه معرفاً بمكانته الأدبية الفذة .

ثم تكلم الأديب كليم أبو سيف سكرتير لجنة القاهرة الذى لم يتمكن سابقاً من حضور حفلة العاصمة بسبب مرضه ، فكانت كلمته آية فى الوفاء لصديقه المحتفل به ونفاذاً الى معاني أدبه .

وأخيراً تكلم المؤلف الفاضل فشكر أدباء الاسكندرية وعدّ حفاوتهم الكريمة كما عدّ من قبل حفاوة أدباء القاهرة به مؤاسة روحية له فى كفاحه الطويل لخدمة الأدب . ونوّه بفضة الشعب المصرى الذى لا يفوته تقدير المحلّصين العاملين إن عاجلاً أو آجلاً كما يدلّ تاريخ نهضته الوطنية . ومما زاده غبطة أنه لا يعرف من الخطباء السكندريين سوى سكرتير الجماعة ، فرابطة هذا الاحتفال إذن رابطة أدبية محضة عنوانها الاخاء الأدبى الخالص ولو على غير معرفة شخصية بحضرات الأدباء المحتفلين به . وقبل انتهاء الحفلة قدم سكرتيرها بالنيابة عن أدباء الاسكندرية الى المحتفل به لوحة

فنية كتب فيها امم المحتفل بالخط الكوفي الأديب محمد حلمي مدرس الرسم بمدرسة طاهر بك الاميرية بالاسكندرية ، كما قدّم اليه الطبعة الفرنسية والطبعة العربية من كتابه مجلدة تجليداً فاخراً ، قائلاً إن (جماعة الأدب المصري) لم تجد أجلاً ولا أكرم منهما هدية لا ثقة بالاهداء اليه . وفي يوم الاحد ٩ سبتمبر أعد الأديب اسماعيل برعي وليمة غداء شهية لأدباء العاصمة عند الشاطيء حيث استوحى الدكتور زكي مبارك ذكرياته الشعرية العزيزة في قصيدته « بعد فراق الشاطيء » المنشورة في ديوانه .

١٩٣٤-١٠-١٠



البشيشى الشاعر

فقدت أسرة (أبولو) في هذا الشهر (سبتمبر) عضواً من خيرة أعضائها الشباب ألا وهو الشاعر محمد أبو الفتح البشيشى صاحب قصيدة « في ليلة ... » (أبولو ، م ١ ، ص ٧٧٤) التى كأنما كان يرثى فيها نفسه المتطلعة الطموحة ويرثى معها حظ النبوغ في هذه الدنيا . وهذه النزعة الحزينة منعكسة كذلك في ترجمته لمريثة عن شكسبير (أبولو ، م ١ ، ص ١٠٠٨) .

وقد كانت لوفاته رنة حزن عميق في (ندوة الثقافة) ، ولا عجب ففضل المرء لا يقاس بسنه ، وإن النبوغ المبكر المقترب بالأخلاق الفاضلة والفكر الرزين لما يُحسُّ فقده بالمرمض عميق .

وفي مجلدى (أبولو) الماضيين نماذج مختلفة من شعر البشيشى تتجلى فيها القوة والجرأة ، وهى كافية لأن تدحض ما يقوله جزافاً بعض شيوخ النقاد من أن شعر الشباب فجٌّ وبعيدٌ كل البعد عن عناصر الإرضاء ، فالحقيقة أن ما يظهر لشعراء الشباب في هذه المجلة يتسم بالنضوج ، بل كثيرٌ منه يتبدى حينما انتهى شعر فريق من شعراء الشيوخ ، وهى حقيقة يعترف بها كل ناقدٍ مستقلٍ نزيه .

بعيد عن التيارات العدائية الموجّهة الى (جمعية أبولو) ومجلتها ، وهي تيارات ما كان يجوز وجودها لولا الأناينة التي تحبى على جميع مظاهر الحياة في مصر وتضحك العالم منا !

ولذلك أنجزنا في الوقت الذي أعزى فيه آل الفقيد الكريم بالنيابة عن « ندوة الثقافة » فأشير عليهم بطبع مجموعة شعره تذكراً لهذا الأدب الينع الذي اختطفته قسوة المنية اختطافاً قبل الأوان وجمعنا فيه ؟

محمد عبد الغفور

(مراتب ندوة الثقافة)



الشعر الفرنسي الحديث

في مقالة شائقة للأديب الناقد دافيد جاسكوبين استرعى انتباهي مذكّره عن التوجّه القويّ في الشعر الفرنسي الحديث الى استمداد النّبع الشعريّ من عناصر اللاعقل irrational وتحويلها الى أدب إنشائيّ . وقد يكون هذا الأدب أحياناً منسّقاً في نشيد غنائيّ مختار الألفاظ الموسيقية ، ولكنه غالباً يتابع الأخيلة التي تفاجئ الشاعر مدفوعة بقوة السّبيد فيصوّرُها بالالفاظ الشعرية التي توحيها ارتجالاً في غير تعصّد للاختيار، وهكذا تأتي كحلم متوال حتى يبلغ غايته الطبيعية . وهذا يفسر ما تحتويه هذه القصائد الجديدة المطبوعة من أخيلة الشهوة والموت والنار ونحوها ، كما يفسّرُها نظمها الفطريّ الحرّ الذي يجعل الشعر فناً طليقاً لصناعة مقيدة ؟

عبد القناص فرحات



ذكرى بلاكوود

في السادس عشر من شهر سبتمبر سنة ١٨٣٤ تُوفّي الأديب الناقد والناشر الايقومسيّ الشهير وليم بلاكوود الذي اشتهر بحملانه على الشاعر الوجداني العظيم

وليم كيتس في (مجلة بلاكوود) حتى أنه نُسبَ إلى تلك الحملات القاسية الأثر السوء البليغ على صحة كيتس فعاجلته المنية في شبابه ، وقد أشار إلى ذلك شيلي في قصيدته « أدونيس » .

ولكن بلاكوود - برغم جريته هذه - كان كثير الحصافة في آرائه النقدية ، وكان عظيم التشجيع للناشئين من المؤلفين والشعراء ، فكان ينشر لهم الكثير من التصانيف والدولون التي كان يعدّها شيوخ النقاد في لندرة فجأة لاستحق النشر ولا الالتفات إليها ، والتي كان يقين هو محاسنها بروحه الفنية الحرة . وبذلك خدم الحركة الأدبية في بريطانيا أعظم الخدمات في القرن التاسع عشر ، فتنوسيت إساءته العظيمة إلى كيتس بجانب تلك الحسنات الباهرة التي أخرجت إلى عالم الأدب عشرات من الأدباء الموهوبين المغمورين . ومن أجل هذا كان قدوةً صالحةً ووجب على محبي الأدب الذين طالما نعموا بحسناته تلك أن يحيا الآن ذكره لمناسبة مرور قرن على وفاته .

أحمد محمد مظهر

٥٤٥-٥٤٦-٥٤٧

رسائل النقد

أخذ على كتاب « رسائل النقد » ما أخذ طفيفه لم تمسّ الصميم ولم يتعرض ناقد مادته : من ذلك أن ماورد بالفصل الأول يخالف الوقائع . أقول أولاً إنني لم أُردها سرد الحقائق ولكن سقفتها سياق القصة ، وثانياً ذكر في مقدمة الكتاب أنها خيال في حقيقة ، وثالثاً كيف تكون هذه المحادثات الطويلة حقيقية ؟ فهل يمكن أن يذكرها أحد أصحابها ؟ وهل يفهم بالبداية عنها إلا أنها خيال ؟ ورابعاً يفهم الأديب أن هناك جوهرًا وعرضًا فالعرض هو الصبغة القصصية الساذجة كالمحادثات والوقائع التافهة والتواريخ المتعلقة بالوقائع التافهة ، والجوهر هو الحالة النفسية والعلمية التي كانت عليها العقاد في ذلك الوقت أو في شرح نشأته الأدبية . قد يحسب بعض الأدباء أن تاريخ مقابلة شكري والعقاد له خطره إذ يميّط عن العلاقة الأدبية بينهما . وليس للتاريخ ذلك الخطر . والأجدر بالتفات الباحث الناقد هو أن ديوان شكري الأول طبع سنة ١٩٠٨ وديوان العقاد سنة ١٩١٦ ، فشكري هو السابق والعقاد يتأثر خطاه

وبقلده . رأمام ما أخذ العقاد الكثيرة من شكرى التى أوردتها فى كتابى يرى الناقد نفسه حبال أمرين : الأول أن يسلم بسطو العقاد عليه ، وهو الواقع ، والثانى أن يتسامح ويتغابى فيقول إنه تأثر به وانفعل بفنه وأفاد منه .

وأما أن يقول الناقد إن العقاد ليس بتلميذ شكرى ولم يسرق منه لأنه لم يعرفه معرفة شخصية إلا بعد صدور ديوانه الأول فدفاع مردود بداهة ، فاني أسلم بداهة بأن العقاد لم يعرف شكرى فى السنة التى عينتها بل عرفه فى سنة أخرى بل لم يعرفه مطلقاً ولم تقع بينهما جفوة ... فهل هذا يدفع عن العقاد تهمة السطو ؟

وانه لو اوضح لكل أديب فنان أن الفضل الأول فى محض لم أرد به ذكر ماضى العقاد الأجوف من حيث يبعد عن مقصدي تنقيصاً له وإقذاعاً ، وإنما أوردته على سبيل قصة فيها نداهة وهوادة عليه أردت بها تحليل نفسه والمازنى فاقصرت من حياة العقاد على أقل قدر ، إن لم يكن حدث فى السنة التى عينتها فقد حدث فى غيرها ، وانسقت الى ذكر المازنى لارتباطهما معاً . وأفاجيء القارىء بأن ما ذكرته عن المازنى قد أخذ من فم العقاد نفسه وبرهاني فى يدي وهو أن العقاد يشفع تنقصه للمازنى ونيله منه (وذلك فى مجالس طامة ينقل إلينا حديثها بعض أصحابنا) بذكر أمور لا يعرفها إلا هو والمازنى وأخصاً وهما : منها قول العقاد عنه ما ذكرته فى « رسائل النقد » ، ومنها ادّعاؤه أن المازنى يأخذ حديث العقاد إذا تحادنا فيصوغه مقالاً يفخر به ، وأن صديقاً لهما يبحث عن كل مقال يكتبه المازنى فيجد له أصلاً فى الكتب الأجنبية وأنهم يسمونه من أجل ذلك « قلم المباحث المازنية » ، ونسب إليه مثالب أخرى لا أستصيب ذكرها . فأننا أخذت إذن من فم العقاد صفة المازنى ، حتى كتب المازنى مقاله واعترف بفضل شكرى عليه واسأته إلى شكرى وندم عليها ، وأنه لخلق نبيل وهامة نفس مربية . وأما إنكار شكرى فضله على العقاد فقد أراد به نفي سعاية الساعين بينهما الذين اغتتموا هذه النهضة لما رب لهم آخر . وأما بعض الحدة التى وردت فى كتابى فكيف لا يصفح عنها كل من استوعب هذه القصة وفطن إلى حرمان الأدب العصري من آثار شكرى بسبب تلك الحملات الأثيمة ؟

عبد الرحمن شكرى

لا يستطيع الأديبُ كنمَ إعجابه بالشاعر عبد الرحمن شكرى لمناسبة ما كتبه فى الصحف متبرئاً من أى فضل له على زميليه العقاد والمازنى حتى ولا فضل « عريف القرية المفضول » نسباً لهما وحدهما خلود الذكر والعلم السابق والمواهب الأصيلة الخ . الخ .، معلناً أنه تنحى عن الاشتغال بالأدب نحو سبعة عشر عاماً زهداً فى الجوِّ الأدبى المتشبع بالكيد .

ومن الظلم أن توصف هذه الروح بالضعف فإنما هى روحٌ متصوفةٌ ساميةٌ وقد لحظتُ ما يماثلها عند الشاعر خليل مطران : فبقدر ما كان المرحوم شوقى بك يتحدث لنا فى مجالسه عن فضل مطران العظيم على الشعر العصرى وعلى جميع الشعراء النابئين كان مطران يتبرأ من ذلك كلِّ التبرؤ ، وحتى من أى فضل له على تلاميذه ، حتى ليكاد يجملك تنخيل أنه هو وحده المدين بالفضل للجميع !

ومها يكن من شئ فهذه الروح المتجردة المتصوفة أفضل عندى ألف مرة من روح الادعاء والكبرياء المصطنعة التى سمّمتُ الجوِّ الأدبى ، وخلقت الضغائن والحزازات ، وعملت على تسخير قوى الشباب للتطيل والتزوير حول هذا الأديب أو ذاك بدل الأدب الانشائى الجدير بكرامتهم . أمّا نقادُ الأدب ومؤرخوه الأئمة فيعرفون جيداً ما هو فضل شكرى وما هو فضل مطران على الأدب العصرى وعلى زملائهما وتلاميذهما وما أثرهما البعيد فى تكيف الثقافة الشعرية الحديثة ، وإن تبرّءا هما من هذا الفضل وعكسا الآية .

وبعد ، فلا يحسن لنا السكوت على ملاحظة أبداها شكرى بشأن الكيد فى الجوِّ الأدبى ، لأننى أعتقد أن هناك من البيئات الأدبية ما يترفع عن ذلك كبيثة (أبولو) وبيثة (جماعة الأدب المصرى) ، وإن من الخسارة الأدبية العظمى أن يستمرَّ شكرى على هذا التنحى الذى لم يبق فى اعتقاده أىُّ موجبٍ له ؟

على محمد البجراوى

(نلاحظ مع كثير من السرور أن من نتائج النقاش حول شكرى والمازنى والعقاد أن عادت أخيراً المودة بينهم الى سابق عهدها . وقد فهمنا أن شكرى لن يحجم

عن نشر شعره الحديث متى وجد أن الظروف مواتية لذلك ، ولعل هذا يتحقق في المستقبل القريب . وهو يلاحظ أنه أولى بالأدباء والنقاد أن يقتلوا شعره القديم دراسةً ونقداً قبل أن يطالبوه بنشر شعره الحديث ، وهو يرى أن الأديب المحترف أولى بأن يقدم على الأديب الهاوى لأنه أقدر من الثانى على خدمة الأدب . وقد كان شكرى وما يزال محباً للعقاد وللمازنى برغم ما حدث بينهما ، فمن اللياقة إذن أن نقفل باب النقاش حولهم مادام قد انتهى الى هذه النتيجة السارة التى يغتبط لها جميع محبي الأدب واثى نرجو من ورائها الخير للأدب ذاته ، ويسرنا كثيراً أن يكون لنا أثر فعال فى بلوغ هذه الغاية الحميدة - المحرر) .

٤١٠-٤١٣



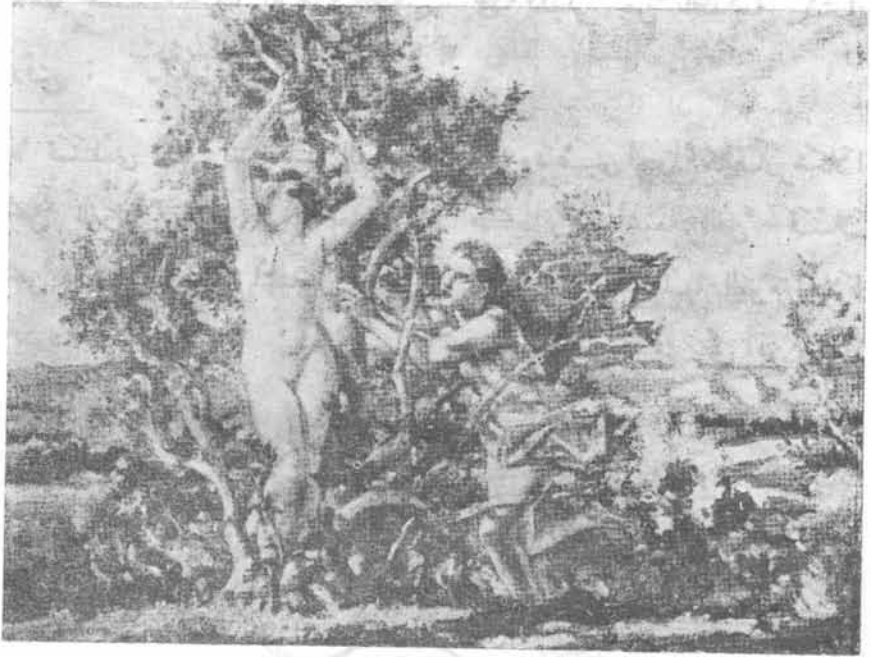
أبولو ودفنى

(دفننى هى الحورية الحسناء التى أحبها أبولو إله الشعر ، وقد تبعها فلما أدركها استحالت الى شجرة الفار (١))

أبولو

يا حياة الفنون يا حسن مهلاً
لست للصد يا مملكت أهلاً
ها أنا عبدك الذى يُنشِدُ الشعر
رَ معانيك ، فامنح الشعر وصلاً
أنا لهُفانُ يا جالُ ، ولكن
لهُفى كالصلاق مغزى وصلاً
لا تخف يا جالُ لست سوى الحا
نى على مِرْكِ المصُونِ المُعلَى

(١) عن ديوان (فوق العباب) الذى طبع الآن .



(أبولودفنى — من تصوير الرسام دي جلن W.G. De Glehn فى الاكاديمية الملكية بلندن)

كيف تخشى نهافتى ؟ كيف تأبأ
كل إجمابى الذى أنت تخشأ
قد يراها الجهال معنى سقياً
كم أباحوا الحرام باسم حلال
لا نصيخ يا جمال (دفعنى) اليهم
هى دنيا النفاق يا حسن لا تر
مابدأ فيك عبقريتك العظ
تدعى لهفى إباحية الجا
كل شوقى إليك يا حسن ألما
كل شوقى إليك معنى من الفن عزيز ، ومن جنى النحل أخل
ليس فيه خسونة أو ضلال
بل هو (الدوق) ما بنى الكون قبلاً

فى حبيباً ؟ وهل ترى الصدف سهلاً ؟
و دروحي عواطف تملى
ومن النبن أن تطاوع جهلاً
وأباحوا عجائب الظلم عدلاً
أو تذّر هذه العواطف قتلى
ضى عن الفن مخلصاً مستقلاً
مى ، ومستوحياً سناها الأجل
فى وتنتى لها خداعاً وحتلاً
ن وأنت الخلود نوراً وظلاً
ومن جنى النحل أخل
بل هو (الدوق) ما بنى الكون قبلاً

وعربدت عند صدري بمبهم الأصرار

تَجَنُّنٌ حُبِّي بقلبي وغاب غنى اصطباري

قَبَّلْتُهَا بعيوني في ثغرها الرفاف

وقلت لَمَّا تلاقى أبصارنا في الطواف :

هاتى شفاهك اهاتى وقرّنى ، لا تخافى ا

الشَّعْرُ منك دَفُوقُ والشَّعْرُ قلبي الخفوقُ

والشَّعْرُ شعرٌ جميلٌ والشَّعْرُ وَجْهٌ طليقُ

والشَّعْرُ ثَغْرٌ ندىٌ أذوقه فأفبقُ

الى الضفافِ البعيدةِ يا زورقِ الذهبي

اذهب بروحى السعيدةِ لوكرها الأبدى

على تخوم الوجودِ ا

يا حُسْنَ ليلِ الوصالِ - لو أنَّ وصلًا يدومُ - ا

عانقتُ جسمَ الجمالِ فيه ، وشئتُ النعيمَ

يا زورقِ قد تعبنا وما بلغنا الضفافَ

والموتُ أننى ذهبنا يرنو ولسنا نخافُ ا

الموتُ ؟ هل هو إلا نومٌ هنىءٌ عميقُ ؟

يعانقُ الرُّوحَ ليلا فلا تبعي أو تفيقُ ا

يا موتُ جئنا نُفَنِّي إليك فوق العُبابِ
وقد أَطَلنا التَّغَيُّيَ فلا تُطِيلْ في الغيابِ

الحُسْنُ والشَّعْرُ عِنْدِي في زورقي والغرامُ
كلُّهُ نَقَدَمٌ يُهْدِي أَشْوَاقَهُ لِلْجِهامِ

يا موتُ فاعْبِطْ اليها جَذَلانَ، وقتَ الأصيلِ
وابسَمِ وردِّدْ عليها لَحْنَ الفناءِ الجَمِيلِ !

إلى الضَّفافِ البعيدةِ يا زورقي الذهبيَّ
أذهب بروحي السَّعيدةِ لو كَرَّها الأبدى
على تخوم الوجودِ !

خَلَصْتُ مِنْ ذِكْرِيَّاتِي ودَّعْتُ آلامَ حُبِّي
سَيَّانَ عِنْدِي حَيَاتِي والموتُ مادمتُ قُرْبِي

زَوْرُقُنَا مِنْ نُضَارِ شِراعِنَا مِنْ شُعاعِ
غَرَامُنَا مِثْلُ نَارِ مشبوبةٍ في بَقَاعِ

الموجُ يُنشدُ شَمْرِي في نَفْعِ عبقريَّةِ
وفُوكِ بَلِّغْ ثَغْرِي في لَهْفِ أبدِيَّةِ !

والشمسُ ترنو الينا مِن وكرها في الشَّفَقِ
غَيْرِي ، نَصُبُّ علينا شُعاعها ، كالْحُرْقِ !

يا شمسُ الانحسدينا ، إِنَّا سنمضي هباءً
ونممةً تحتوينا مصيرُها للفناء !

هذا الضياءُ ، اذا ما هجعتِ بهربُ منّا
وزورقُ الشعرِ إمّا نهوين يَفِرُق حُزُنّا

الى الضفافِ البعيدةِ يا زورقِ الذهبيِّ
اذهب بروحِ السعيدةِ لوكرها الأبدى
على تخومِ الوجودِ !

يا زورقاً في الدُموعِ لغيرِ قصدٍ يسيرُ
سئمتُ منك الزروعِ إلى خفيِّ الأُمورِ

أرهقتني بالنواحِ أسقمتني بالخبالِ
أنختني بالجراحِ سلّمتني للجالِ

علمتني ما الغرامِ سلّحتني بالبيانِ
صبرتني في الانامِ رَبُّ الهوى والحنانِ !

كلّفتُ بالحسنِ ، أرعى أطياقَهُ ظِلّنا

وهِمْتُ بِالشَّغْرِ ، أَسْمَى إِلَيْهِ آتَا فَاتْنَا ۱

يَا زورقي لست أدري علام أهوى الشفاء

لَسِنَ تَبَيَّنَتْ سِرِّي كَشَفَتْ سِرَّ الحياه ۱

إحلم كما شئت ، إني يا زورقي رب أحلم

وَبْتُ أَرْقُبُ حَيِّنِي وَخَاطِرِي يَتَرَّم ۱

إلى الضفاف البعيدة يا زورقي الذهبي

إِذْهَبْ بِرُوحِي السَّعِيدَةِ لَوْ كَرِهَ الْأَبَدِي

على تخوم الوجود ۱

مختار الوكيل

ملك

يَا مَلِكَ الرَّحْمَةِ فِي الْأَرْضِ مَنْ عَلَّمَكَ الْفُسُوءَ ؟ مَنْ عَلَّمَكَ ؟

نَبَعَ حَنَانٍ كُنْتَ بَيْنَ الْوَرَى مَنْ ذَا الَّذِي بِالظُّلْمِ غَدَّى دَمَكَ ؟

أَصْمَيْتَنِي ظُلْمًا بِسَهْمِ الْهُوَى عُذْنِي حَنَانًا وَاجِبْنِي بِلِسْمِكَ

عُهِدْتَ بِالْعُظْفِ ، وَلَوْ لِلْعُدَى فَكَيْفَ نَغْدُو قَاتِلًا مَغْرَمَكَ ؟

أَخُوكَ هَارُوتُ مَضَى ، وَالَّذِي أَلْهَمَهُ سِحْرَ الْوَرَى أَلْهَمَكَ

طَلَسْمُ هَارُوتُ دَرَاهِ الْوَرَى وَأَنْتَ لَمَّا يَكْشِفُوا طَلَسْمَكَ ۱

بَرَزْتَ فِي الْحَسَنِ لَنَا آيَةً بَاهِرَةً ، جَلَّ الَّذِي هَنْدَمَكَ

أَفْرَغَكَ الْخَالِقُ فِي قَالِبٍ لِلْحَسَنِ قَدْ مَازَ بِهِ مَيْسَمَكَ (١)

صَبَّكَ جَسَماً مِنْ شِعَاعِ الضُّحَى وَشَقَّ مِنْ إِصْبَاحِهِ مَبْهَمَكَ ١
 وَزَادَ لِلْبَدْرِ سُنَى مُنُورِهِ وَصَاغَهُ وَجْهًا بِهِ تَمَكُّكَ ٢
 بَهَرْتَ بِالْحَسَنِ ، فَمَنْ ذَا رَأَى جَمَالَكَ الْفَذَّ ، وَمَا أَعْظَمَكَ ٣
 (فِينُوسُ) لَوْ شِئْتُكَ يَوْمًا هَوْتُ سَاجِدَةً تَرْغِبُ أَنْ تُخْدَمَكَ ٤

ظَلَّتْ بِكَ الْأَلْبَابُ فِي حَيْرَةٍ مَشْدُوهُةً نَجْهَدُ أَنْ تَفْهَمَكَ ١
 هَلْ كُنْتَ فِيهَا مُلْكًا مُتَزَلًّا مِنْ نُورِهِ رَبِّ الْوَرَى جَسَمَكَ ٢
 أَمْ أَنْتَ مِنْ فَرْدُوسِ جَنَاتِهِ أَمْ نَمُودَجًا مِنْ حُورِهَا قَدَمَكَ ٣
 أَمْ مِنْ عِزَارَى الْجَنِّ مِنْ عَقْرِ لِلنَّاسِ شَيْطَانِ الْهَوَى اسْتَقْدَمَكَ ٤
 مَا زِلْتَ مَعْنَى مِنْ مَعَانِي السَّمَاءِ لَمْ تَلَقْ بَيْنَ النَّاسِ مَنْ تَرْجَمَكَ ٥
 حَيَّا بِكَ الشَّعْرَ فَهِيَ أَنْطَوَى لِلشَّعْرِ وَحْيٌ عَادَ فَاسْتَلْهَمَكَ ٦

سقافورة :

صالح بن علي الحامر العلوي



الذروة

(عن ديوان د. فوق العباب ، الذي يطبع الآن)

صَجَرِي زِلْتِي وَزُؤْمَدِي مَرَبًّا وَهَدْيِي أَرْجِيهِ أَوْ أَتَفَيَّا ١
 يَا إِلَهِي ! دُنْيَايَ حُسْنٌ بِلَا حَ دِي ، إِذَا مَا عَرَفْتُ حُسْنَكَ مَلَجًا ٢
 كَمْ نَقَدْنَا وَنَحْنُ فِي الْجَهْلِ حَيْرِي لَا تَرَى الْحَقَّ وَهُوَ أَمْنِي وَأُضْوَا ٣

ما اندَجَمْنَا، وما انطَوَيْنَا على الرُّوْحِ
 حُسْنُكَ الْحُرُّ مَائِلٌ لِنَفْسٍ
 فِي انْسِجَامٍ يَسْتَشْرِفُ الْحُبَّ فِي الْكُو
 مَا صَلَاتِي إِلَّا خُشُوعِي لِنَجْوَا
 مُسْتَعِدًّا مِنْ عَقْلِ الْبَاطِنِ الْعِلْدِ
 نَبْعُ إلهامِكَ الَّذِي يَنْتَاهِي
 فَإِذَا بِي مِنْ رُوحِكَ الْخَالِدِ السَّامِي
 عَرَفْتُ عِنْدَهَا مِثَالِي نَفْسِي
 وَحَيَاةَ الْآبَادِ حَتَّى كَأَنِّي
 ح، فلم تُدْرِكْ الْخُلُودَ الْمَهِيَا
 قَدْ تَنَاهَتْ إِلَيْكَ نَفْسِي لِنَهْدَا
 نَـ عَمِيماً وَنَابِضاً يَتَلَا
 كَ وَإِنَّمَا زَلَّ تَهِيَا
 مَ بِمَا فِي الْوُجُودِ عُنْفِي وَمَنْشَا
 لِحَيْطِ الْأُلُوهَةِ الْمُسْتَمَرَّا
 قَرِيبٌ وَمِنْ فَيُوضِكَ أَمَلَا
 وَمِثَالِ الْإِنْسَانِ رَوْحاً وَمَبْدَا
 ذُرْوَةِ الْكُونِ مُشْرِفَا أَنْبُوا
 اصْحَرْنَا نَكِي أَبُو سَادِي



السعادة

قُلْ مَا تَشَاءُ عَنِ السَّعَادَةِ غَاطِبًا
 وَابْحَثْ عَلَيْهَا فِي النَّصَابِي وَالْهَوَى
 أَوْ فِي اشْتِهَارِكَ بِالْفَضَائِلِ وَالتَّقَى
 أَوْ فِي اكْتِفَائِكَ بِالَّذِي قَسَمَ الْقَضَا
 قُلْ مَا تَشَاءُ عَنْهَا ، فَلَسْتَ بِمَقْنَعِي
 إِنَّ السَّعَادَةَ لَا تَسْرَ بِوَصْلِهَا
 فَإِذَا سَعِدْتُ وَمَا عَرَفْتُ بِأَنِّي
 فَالْجَهْلُ فِي حَالِي التَّعَامَةُ كُلُّهَا
 وَإِذَا عَرَفْتُ بِأَنِّي قَدْ نَلَيْتُهَا
 وَالْخَوْفُ مِنْ فَقْدِ السَّعَادَةِ خَاطِرٌ
 مَنْ كَانَ يَنْعَمُ فَوْقَ لَبِّنٍ مَهْدِيهَا
 أَوْ فِي الَّتِي يَهْفُو بِالْخَيْلِ لَمَدَّهَا
 أَوْ فِي اهْتِمَامِكَ بِالْعُلُومِ وَمَجْدِيهَا
 وَرِضَاكَ عَنْ صَابِ الْحَيَاةِ وَشَهْدِيهَا
 يَوْمًا ، وَلَسْتَ بِمَانَعِي مِنْ تَقْدِيرِهَا
 أَحَدًا وَلَا تَرْنُو إِلَيْهِ بِوَدَّهَا
 أَمْسَيْتُ أُرْتَشِفُ الْمُنَى مِنْ رَفْدِهَا
 نَطْفُو عَلَى قَلْبِي بِكَامِلِ حَقْدِهَا
 أَصْبَحْتُ فِي هَرٍّ مَخَافَةٍ فَقْدِهَا
 يَكْفِي إِذَا لَمَسَ الْفَوَادَ لَوَادِهَا



قيارة الدمع

قيارة في جفوني، لحنها عجب
 صدأحها لهم، لا ينفك يضربها
 مؤلّع بالدجى إن ذاب فاحمه
 إلهامه من جوى قلبي، وثورته
 إذا براني الأمي يلهو على كبد
 فلا يسع من الفينار اغنية
 لله ما صب في جفني من نغم
 حسوتها في الدجى خراً معتقة
 بيضاء لامعة لون الآلى، في
 كم وسوستني في ظل الأمي : لهنى
 فقلت : خل أغاريدى منغمة

وجرم أنغامها في العين مضطرب
 بريشة من أمي الأحزان تنتحب
 تفيض من قلبه الألحان والطرب
 من الضلوع .. عليها الوجد يلتب
 مجروحة مزقت أفلاذها النوب
 إلا وقلبي أذكي ناره القطب
 ملوع ماج في أناته اللهب
 في مقلتي دثها قد كاد ينشب
 طياتها أسود الأطياف مكتب
 على شبائك قد أودى به النعب
 من الدموع ... فالى دونها أرب

محمود حسن اسماعيل



حجرتي الأولى

(وهي بالمنزل الذي قضت فيه أحلى أوقات الصبا وقد عدت إليها بعد غيبة طويلة)

سلاما حجرتي من قلبي الداوى وإجلالا
 سلاما أنت يا مينا روح في الدنيا جالا

وشاء الله ما شاء فراح يهيمُ زحالا
وما عهدٌ مضى فيكِ بسحرٍ، آه لو طالا !
أذرى نافذتي حيثُ إذا اسدِلَ إحدا لا
سِتارُ الليل فوق الأفق واسترسلتُ تسالا
لبدر تاه في طلعتهِ السمحة واختالا
رفيقُ الجنِّ والأرواحُ تدخل في نحياتِ ١٤

تَرَفُ جناحها حولي وأسمعُ فامضَ السحر
كانَّ حفيفَ أفنانٍ سَرَى من حائرِ الشجر
وأطلقُ فيكِ يا حجرتي الغراءِ مِنْ فِكْرِي
تُداعبُ جهتي النسماتُ في مِثْلِ شِدْءِي عطر
أحدقُ في مَنامِ الكونِ والافلامِ بالبصر
وطاب لفرقة الضفدع والكروانِ من ذكر
تقيقٍ أو نشيدٍ ريثما أَدْنُ بالفجر
وأرسل للصباح الغضَّ مِنْ أوَّلِ لمحاتِ !

أهذا مكتبي حيث لرأسي حينما ملا
حنونٌ ضمٌّ مبهوراً من الحبِّ وآملا
وما أسطرُّ من شعرٍ بمزج جوانحي سالا
وما تلقفتني « ليلي » بحسنِ العودِ ميالا
بشرفتها، وتبعثُ لي من الرناتِ إدلالا
وقبلاتٍ إلى قلبي فعلت فيه إبلالا
وأحلاماً كنودِ النجم في الظلمة ما والي

بهدى هاتما في التيه من صحراء إعنات ١٩

سلاماً حُجرتي من قلبي الذّاوى وإجلالا
سلاماً أنت. يامينا روح في الدُّجى جالا
وشاء الله ما شاء فراح بهيم ترحالا
وما عهدٌ مضى فيك بسحره... آو لو طالا

محمد عبد الحكم الجراحي

✽✽✽

تحت صورتى

(بعث بها الشاعر الى صديق تحت صورة أخرى غير هذه)



صالح بن علي الحامد العلوي

جب إذا من بشاشتي وابتناسمي
حذرته من شمانية الأيام!

هذه صورتى اليك فلا ته
جاربتي أيام دهرى فضحكي

هذه صورتي لديك ستبقى غضةً في شبابها كل عام
 سوف تبقى ذكرى الشباب اذا شئت ، وذكرى الحياة بعد حملي
 واذا ما سموت في عالم الروح ستحيا في عالم الأجسام
 صالح بن علي الحامد العلوي

الوهم

أَمِنَ الْأَشْجَانِ آلٌ وَصَحَابٌ وَمِنَ الدَّمْعِ نَدَامَى وَشَرَابٌ ۱
 وَكَذَا الدُّنْيَا شُجُونٌ لَا تَنَى وَدُمُوعٌ لَا تَنَى عَنْهَا انْسَابٌ
 لَا أَرَى فِي الرَّؤُوسِ إِلَّا صَادِحًا مُرْسِلَ الْأَلْحَانِ بِحُدُوءِ انْتِحَابٍ
 أَيْ وَهْمٌ لَمْ يَزَلْ يَحْفِرُنَا فَعَلَى الْوَهْمِ صِرَاعٌ وَغَلَابٌ ۲
 كَمْ سَحَابٍ لَمْ يَجِدْنَا غَيْبُهُ خُفِيَ الْأَبْصَارَ بِالْبَرْقِ وَغَابُ ۱



أحمد فathi

وكلام نَحْتَهُ رِبَشْتِ قَنَى هُوَ فِي ظَاهِرِهِ شَهْدٌ مُذَابٌ ۱
 وَالَّذِي نَحْسَبُهُ رِيَّ الصَّدَى هُوَ مَهْمَا قَدْ رَوَى الصَّادِي بِرَابٍ

كَمْ شَكَ الْغُلَّةَ مِنَّا ظَالِمِي ۖ فَشَقَّتْ مُغْلَتُهُ جَرْعَةً صَابِ ۙ
وَسَعَى لِلصَّيْدِ مَشْغُوفٌ بِهِ وَهُوَ شَاةٌ، لَوْ دَرَى، بَيْنَ ذُنَابِ ۙ
فِيمَ نَحْيَا بِالْأَمَانِي خُدْعَا ۖ وَالْمَنَايَا آخِذَاتٌ بِالرَّقَابِ ۙ
نَسَجَتْ كَفَّاهُ أَكْفَانِ الْوَرَى نَاسِجٌ نُوبَ الْأَمَانِي الْعِيَابِ ۙ

« ٠ »

أَيْهَذَا الْمُدْجُ السَّارَى إِلَى أَمَلِ الْأَمَالِ كَدْحٌ قَانِلٌ ۖ
مَا أَرَاهَا بَاعِثَاتٍ مِنْ بَلَى أَوْ مُعِيدَاتٍ إِلَى الشَّيْبِ الشَّابِ ۖ
صَاحِبُ الْحَاجَةِ ذُو هَمٍّ بِهَا فَإِذَا أَذْرَكَهَا هَانَ الْمُصَابِ ۖ
ضَيْعَةٌ لِلرَّأْيِ تُذَكِّي نَارَهَا أَفْنَةٌ فِي الْمَرْءِ مُذْ شَبَّ وَشَابِ ۙ

« ٠ »

شَامَخٌ بِالْأَنْفِ مِنْ أَوْهَامِهِ لَمْ يَزَلْ يَنْشُدُ أَطْبَاقَ السَّحَابِ ۙ
حَسَبَ الْكُوفِ رَهِينًا بِالَّذِي يَشْتَمِي وَهُوَ رَهِينٌ بِكِتَابِ ۖ
آهٍ مِنْ ضَمَةِ قَبْرِ مُوَحِّشٍ وَثَوَاءٍ بَيْنَ دُودٍ وَثَرَابِ ۖ
إِنَّمَا التَّرْبَةُ أَمْلٌ وَلَهَا غَايَةُ الْمَسْنَى وَمَحْتَوْمُ الْمَائِبِ ۙ

أحمد فني

(المهندس)

— ١٣٥٤ —

ليتنى

ليتنى كنتُ صغيراً أبدلُ الهمَّ هناءَ
ليتنى كنتُ كناداً أملأُ الدنيا غناءَ

ليتني كنتُ غديراً أهبُ الأزهارَ ماءً
ليتني كنتُ صباحاً أغمرُ الكونَ ضياءً
ليتني أصلح دُنيا كلِّ ما فيها أساءاً !

عهد الطفولة

أحنُّ إلى الطفولة وهي حُلْمٌ
وفي تخاني الوافي وفاة
أحنُّ كما بدد يدعو ويدعو :
وددتك ، إي وربي ، أن تعودى
إلى رُوحى التى أحيَتْ صباها
فأنعم بالحياة ولا أبالي
وأشهى الذكرَ للحُلمِ البعيدِ
لهدي كان تتوجى وعيدي
وددتك يا طفولة أن تعودى !
إلى وكرى ، إلى قلبى الودودِ
مظللةً بحبِّك فى الوجودِ
بدنيا فى التناحر والوعيدِ !
مُحور السير السَّارِ

❖❖❖

الكبر

كلُّ حولٍ يمرُّ يزعج نفسى
وبياض المشيب فى كلِّ رأسٍ
أتمنى لو يجمد النجمُ حتى
أتمنى لو يصبح الدهرُ لوناً
إنَّ ضعف الشيوخ بلاءُ نفسى
إنَّ فى تلكم الخطأ تتلوَّى
مُشفقاً من ذُبُولِ قلبى إذا ما
بفضونٍ تلوح إثرَ غضونٍ
لى مُلحٌ بكُبرةٍ تعتربنى
ما تحسُّ الحياةُ كرهَ السنينِ !
واحداً من غضارةٍ ثم لينٍ
هلعاً أو شيرَ حرٍّ شجونى
لنذيراً يلوح بين جفونى
غاض مائى وأنكرتنى عيونى

ورأيتُ الجبيلَ غيرَ جبيلٍ - ليس يرتاحني ولا يزدهيني
ودعوتُ الصِّبا جنونا وخُمفاً - مرضاً في ثياب عقلٍ رزينٍ
وسمعتُ الكفاحَ في غيرِ سلمٍ - مُستكيناً لمطمحٍ مُستكينٍ
عبد الباقي ابراهيم



يانيل!

(نظمت لمناسبة ثورة النيل بفيضانه هذا العام)

يانيل! ارفقاً بالبلادِ وكنْ لها - عوناً، فصرُّ ترى السعادةَ فيكَ
خَفَّفْ يربكْ من تدفُّقك الذي - يدنو بها نحوَ الهلاكِ وشيكا
وارفق بمن بك هلموا واستبشروا - وبحسبك افتنوا، وكم عبدوك
فلمَ العداءَ نصبه في قسوةٍ - وثرىق ماءك مهلكاً واديك؟
ماذا جنته كنانةُ الدنيا على - وحي الجمال؟ لعلهم ظلموك؟
فاقبلْ نداءً صارخاً من أمةٍ - غرقى ترى كلَّ السعادةِ فيكَ
مكتمتُ سُبارة

أنشودة الصباح

كواكبُ الليلِ قد ملَّتْ من الأرقِ - فبادرتْ تحتني في معبد الأفقِ -
ترى السماءَ التي انشقتْ دُجنتها - سوداءَ قد برزت في ثوبها المشقِ -

كأنما الليلُ قد شابتْ ذوائبُه وعن قليل يُخَلِّي رُفْقَةَ الفسقِ
 إذا الصُّباحُ انْجَلتْ أنوارُه شرعَ الطَّيْرُ المَسْجِعُ في تفريده النِّسقِ
 لاحتْ مَخائِلُه بين المِماءِ كما لاح النِّعامُ على موسومةِ الحرقِ
 واستيقظ الطَّيْرُ في أوكارها وبدتْ تسرى نَسِيمُ الصَّبَا في كل منخرقِ
 وصادت الشعراءُ الفائقون إذا أوابدَ الشعر لم تُدْرِكْ ولم تطقِ
 ما أطيب الوقتِ إذ سار الحدوجُ بنا بين الأكام تحاكي السفن في الغدقِ
 وخلَّتْ الطير أوكاراً لها ومضت إلى المشاربِ وُحْداناً وفي حلقِ
 حتى استوت بعد ما جاءت على نهر مُعْوجِ الحناجر نحو السلسلِ الدفقِ
 تَبَلَّ من فرح أجسامها وبها ظمًا فتتنفضها كالشادن الحرقِ
 إذا ارتوت كلها طارت مغرّدةً ما بين مختلف منها ومتفقِ
 كأنما الطير في تفريدها فِرْقٌ قد أسكرت بخمورٍ أرهقت عُتْقِ
 إلى رياض بدتْ تهتز من بلبلٍ بِساميةِ طلةٍ منشورةِ العبقِ
 بها شذاها امتطت ريح الصبا ومرت تحيى القلوب التي ماتت من القلقِ
 إن هزت الريحُ قضباناً لها بلبل يصفح البعضُ بعضاً ثم يعتنقِ
 كأنها راكعات في تمايلها وتالياتٍ خشوعاً سورةَ الفلقِ
 والزرجسُ الغَضُّ يرنو نحوها عجباً والوردُ يطلع من أكامه النسقِ
 حمرةً ملابسه صفرةً ترائبه خضرةً عرائشه يفتّر بالأنقِ
 كأنما قطراتِ الطلِّ في خُضرٍ كواكبٌ طلعت في أول الفسقِ
 ياربُ فُضِّ ختامَ النومِ إذ نعستْ كواكبُ الفلكِ الدُّوار من أرقِ
 ياراقدةَ الليلِ حتام الرقادِ وقد مدَّ السَّنا عنقه من كُوءِ الأفقِ
 قم واستقم واعبد الله الذي خالق الأشجار من حبةٍ والانس من علقِ
 أليس يسجد لله الرياحُ مع السَّاجِدِ قاتنةً من أبدع الطرقِ؟
 أَلَسْتَ تسمع ما قال المؤدِّن في تأذنيه بكرةً للنائمِ الحبِّ ؟

السيد نبي الحيدر آبادي

الهند :

(استاذ اللغة العربية بالكلية البلدية بحيدرآباد)

أجلٌ به أنفاسٌ حُو
رد في الجنان نواعس
فبه ضريزٌ جداولٍ
وبه عبيرٌ فرادس
وحفيفٌ أجنحةٌ مرفقةٌ
وصيحةٌ حارس ١

« . »

يا بدرُ يا قوتَ المشا
عمر والقلوبِ الجائعة
أتراك نافذةً رنتُ
منها الغيوبُ الرائعة ١٢
وسناك أحلامُ الملا
ثك في الطبيعة شائعة

« . »

كم من طيوفٍ أيها القمرُ
المطلُّ على النضاء
في نورك الوسنان تر
قص أو تثرثر بالفناء
من ساقها من عالم ال
أرواح في هذا الضياء ١٣

« . »

ما أشبه الجوَّ الذي
في خاطري بجوائكا ١
حتى كأنني ناظرٌ
في ضوءه لضياءكا
يا هل تراه وذيلةً (١)
عكست جمال فضائكا ١٤

« . »

يا للطبيعة ! فهي خا
فية المرأى والسنى ١
وكأنما هي تحلم ال
ذ كَر الجميلة والمئى
والنورُ ذلك رَفَّ في
أحلامها واستوطنا ١

« . »

يا للطبيعة ! فهي أج
مل ما رأيت عينان
كم تشعر الروحُ الحز
ينُ بالقة وحنان

وتنضمه ضمَّ الحبيب بة للحبيب العاني

إني لفرط تعلقي بجهاها المتألق
شعشت فيه تألّمي وأذبت فيه تحرق
ورويت روي من ثما له كأسه المترق

وتخذت منه معبداً لتبتلى وتصفى
يقضى به أيامه وحياته القلب الوفي
في عزلة عن ضجة الـ دنيا التي لم ترأف

أصغر صغبر

« ١٣٤٥ »

على ضفاف الغدير

دُمِية أنت من جمالٍ وفتنه حار في حُسنك العبادُ وتاهوا
صاغك الله للمحاسن جنةً فاستقى الكونُ من جِداك حُلاه
لست كالناس من ترابٍ وماءٍ أنت من ريقِ الخلودِ خلقتا
فيك ما فيه من طلاءٍ وضياءٍ غير أن الخلود جاد وذُذنا

« ٠ »

ها هو الماء باسمك يرنو في حنوٍ ونشوةٍ واشتياق
أسكرته قسامةً لك تعنو لبهاها القلوبُ في الأعماق

« ٠ »

يا إلهَ الجمال هيّجتَ وجدى وقليلٌ عليّ إن ذبتُ وجدا
أنت رمزُ الكمال في الحسنِ عندي وفؤادي من المشاعرِ قدأ
ما أراني لوصفِ حُسنك أهلاً أنت جاوزت في الفتونِ الشموسا
كلُّ قلبٍ رآك ينشد : مهلاً ! قد تفرّدت فاستلبت النفوسا

أَنْظُرِي الْمَاءَ خَافِقًا يَتَمَنَّى يَا مُنَى الْقَلْبِ أَنْ تَنْفُضَ إِذَا رَكَ
وَأَنْظُرِ الْقَوْمَ حَاقِقِينَ عَلَيْهِ عِنْدَ مَا ضَمَّ فِي الْعِبَابِ عِذَا رَكَ
حَوْلَكَ النَّاسَ مَطْرُقِينَ خَشُوعًا فِي ذَهُولٍ وَغَبْطَةٍ مِنْ جَمَالِكَ
يَلْفُظُونَ النُّفُوسَ وَهِيَ مَرَاتٍ لِقُلُوبٍ نَحَرَّتْ مِنْ دِلَالِكَ

يَا خَلِيلِي لَا تَبِينَا فَا نِي شَارِدُ اللَّبِّ لِلْحَاسِنِ صَادِي
وَدَعَانِي وَلَا تَلُومَا فَعِينِي لَمْ تَمْتَحِ بِحُسْنِهِ ، وَفَوَادِي
أَوْفَسِيرَا وَخَلِيلِي أَنَا أَلْبِي دَاعِي الْحَسَنِ مِنْ ضِيَاءِ جَبِينِهِ
وَأَتْرَكَانِي هُنَا فَقَدْ ذَابَ قَلْبِي وَشَجَانِي بِخَفَقِهِ وَحِينِهِ

خَلِيلَانِي فَقَدْ شَقِيتُ بِقَلْبِي وَقَبَسْتُ الشَّجُونَ مِنْ نَظَرِيَا
وَدَعَانِي أَذِيعُ فِي السَّكُونِ حَبِي وَأُرَوِّي الْجَمَالَ مِنْ شَفْتِيَا
مُحَمَّدٌ عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَحْبِتُ



الشيخ النائم في المشرب

(نظَّمها الشاعر على أثر رؤيته شيخاً نائماً على أنغام الموسيقى في «كافيه روبال» بمدينة ليون بفرنسا)

سَرَّتْ فِي صَفَاءِ الْخَمْرِ آيَاتُ أَنْغَامٍ وَطَارَتْ بِنَا نَشْوَى إِلَى عَالَمِ سَامٍ
وَقَصَّتْ عَلَيْنَا فِي حَدِيثٍ مَسَامِرٍ دَرَى حِكْمَةَ الدُّنْيَا أَقْاصِيصَ أَعْوَامٍ

فكان لها منى فؤادٌ يضمُّها وينهل منها منلما ينهل الظامى !



محمد عبد الحكم الجراحى

وشيخٍ مهيبٍ في جوارى ورأسه
ولحيته بيضاء زانت بصدرة
لقد نام هذا الشيخُ نَحْدوه نعمةً
ألا ما رُوى ذلك المنامِ وما الذى
أما هو مثل الطفل أحلام سادرٍ
أو أن رُوى حُبِّ أطافت بقلبه
وحسن فتاةٍ رطبة العود فتنة
أو أن رُوى أخرى إخال سعيدة
ويحلم إذ يقدو بخلدٍ جزيرةٍ
وليس ليرثى ما مضى من سنينه
محالٍ الدهر منها الشعر في لهو ظلام !
أغانيّ أفراحٍ وآهاتِ آلامِ-
كأَمْ صغيرٍ في حنانٍ وإكرامِ-
ترجمه الأنعامُ في سفر أحلامِ ؟
تناجيه في لونٍ من الطهرِ بَسامِ ؟
وذكرى شبابٍ لا يعود لإضرارِ-
كباقةٍ زهرٍ أو كلمحةٍ إلهامِ-
تخامره في منل سحرٍ وإيهامِ-
بُعَيْد عباب الدهر والزمن الطامى
وما برحت تضيئه رحلة أيامِ-

فتم هادئاً يأبها الشيخ هائئاً
لعلَّ صباحاً ضاء في طيِّ إسلامِ-

وَنَمُّ مُسْعَدًا رَوْحًا إِلَى صَدْرِ أَنْفَامٍ - تَطِيرُ بِنَسَا نَشْوَى إِلَى عَالَمِ سَامٍ -
وَيَزْهَوُ بِهَا مَنْهَا فَرَادٌ يَضُمُّهَا - وَيَنْهَلُ مِنْهَا مِثْلَمَا يَنْهَلُ الظَّامَى !
مُحَمَّدٌ عِبْرَةُ الْحُكْمِ الْجِرَامَى



مقتطفات من جيتانجالي

للشاعر الفيلسوف ابدرانات ناجور

عند ما تأمرني بالفناء ، ينجبل إلى أن قلبي يتحطم كبرياء ، وأصعد ناظرى في وجهك ، وتفرورق عيناى بالدموع .

وإن كل ما هو صعب في حياتى ليستحيل سهلاً إثر أغنية رخيمة ، كما أن إعجابى يصف جناحيه كطائر سعيد ، يخفق في الجو ، ويحلق فوق أديم النهر .

وإني لأعرف أنك تشعر بالسرور حينما أنطلق مغنياً ، وأعلم أنى أقرب منك حينما أشدو فقط ، كما أن جناح أغنيتى الممتد لمس أطرافه قدميك اللتين أنوق إلى الوصول اليهما .



يا حياة حياتى :

سأحاول جهدى أن أحفظ جسدى نقياً موقناً بأنك ترعانى وتحوطنى ، وسأكون بمعزل عن الأكاذيب فلا تتسلط على ، لأن روحك : الصديق يضى لى سبيل الحياة .

وسأنتقي قلبي من أوصار الشرور ، وأحفظ حي في الزهرة ، لأنني أعلم أنك تترجع في صميم الفؤاد وفي أقدس بقعة فيه .

وسأحاول بجهودي أن أكشف عنك في حركاتي لأنني أعلم أن روحك تهبني قوة أعمل بها .

لقد تجرّدت أغنيتي من البهرج الزائف ، وإنّ الزخرف المموّه ليفصم عرى مودتنا ، ويقف حائلاً بيني وبينك ، إذ تتلاشي أندادوك في طينته

وإنّ تيهي كشاعرٍ ليتبدّد خجلاً أمام مرآك ، آه يا مولاي الشاعر !
إني أجلس تحت قدميك ، وكل ما أنبغى منك أن تهب لي الهدوء والطمأنينة ،
وأن تجعلني كعمود الناي تنفخ فيه أنغامك الموسيقية .

أيها الأحق !
يا من تحاول أن تحمل تقسك عبء الحياة .
أيهذا السائل يا من يحاول أن تسأل الناس عند باب دارك : ألقِ أعباءك كلها
على ساعدي من في استطاعته أن يحمل الجميع ، ولا تأسف على ما مضى !
إنّ أنفاس شهوتك لتطفئ ضوء المصباح حين تهبّ عليه ، فلا تأخذ عطايك
من أيدي دنسة ، ولا تقبل إلاّ ما يقدمه إليك الحب المقدّس .

إنّ الأغنية التي جئت لأنشدتها ، لا تزال حبيسة في صدري إلى اليوم ،
وها أنذا أمضيت أيامي أهيم لها الأوتار وأصلحها ،
ولكن ميعادها المنشود لم يحن بعد ، وإنني لأحسن بزوعٍ شديدٍ إلى انشادها
وبرغبةٍ تزدّد في صميم الفؤاد .

ها هي ذى الوردة لم تفتح عن أكمامها بعد ، ولكن الريح تصفر حولها هامسة !

إننى لم أَر قط وجه من أحبُّ ، ولم أسمع صوته أبداً ، وإنما يتردّد فى أذنى صدى
وقع أقدامه الجميلة فى الطريق الممتدّ أمام منزلى .
إننى أعيش فى الحياة أملاً فى لقائه ولكن حينُ اللقاء لم يحنْ بعدا !

يا إلهى !

ها هى ذى صلاتى التى أنوجه بها إليك :
هبنى قوة من لدنك لا تحمل سرورى وآلامى
امنحنى القوة لبقى حُبّى لك زاهراً إلى الأبد
مدّنى بالقوة التى تمنعنى من أن أزدري الفقراء أو أجعلهم يركعون عند قدمى
أمام جبروتى الطاغى
هبنى يا إلهى قوة أستطيع بها أن أرتفع بتفكيرى فوق مستوى أوشاب الحياة .

أنا لا أدرى كنه غنائك ، وإنما أستمع إليه فى سكون ودهشة
وإن إشعاع موسيقاك ليضىء العالم
وأنفاس ألحانك تحفّق من سماء إلى أخرى
وجدول أنغامك المقدّسة يندفع متخطياً كل عقبة فى سبيله ، وينساب فى جريانه
وقلبى تَوّاق لأن يشاركك الغناء ، ولكن عبناً ما يحاوله من رفع صوته ،
ومهما حاولتُ الكلام فلن يصير غناءً ، وإذ ذاك أُغْلِبْ على أمرى
آه . . . لقد جعلتْ فؤادى أسير أنغام موسيقاك السرمدية !

هبّاً لا تتردّد فى قطف هذه الزهرة الصغيرة وأخذها فانى أخاف عليها أن
تذبل وتسقط فى الطين ، ولربّما لم تمجد لها مكاناً فى اكليك .
ولكن أذقها السعادة فى ألم تحدّثه لها يدك بقطفك أيّاه ، وانى لأخشى أن
يمضى النهار قبل أن أصبحو فأرى أنه لات حين تقديمها !
ولذا فلونها ساذج ، ورأيتها ضعيفة ، نغّذاها إليك واقطفها حين يحبىء وقت
الحصاد !

صه محمد محمود

نقد وتعليقات

روح الفقيه وروح الشاعر

قرأنا نقداً بقلم أحد مشايخ الفقهاء لديوان من الشعر العصري فقال فيما قال إن الشاعر أخطأ خطأ فاحشاً لأنه قال « نجمة » في حين لا توجد هذه الكلمة في اللغة بمعنى « نجم ». أما الشاعر فقال إنه في الموقف الشعري الذي استعمل فيه هذه الكلمة تخيل في ذلك الجسم النوراني الساحر روح الأنوثة فلم ير إلا أن يسميه « نجمة » وما يحسب أنه أخطأ في أمانته للفن ، وقد أنصف بذلك لغة الشعراء أحسن إلى أدبها .

وجاء هذا الفقيه ثانية وقال إن الشعراء المعاصرين مفتونون بالوثنية اليونانية والرومانية ، إذ كثيراً ما يستعملون تعابير نائية مثل « روح الآلوهة » في الجمال و « حلم الآلهة » ونحو ذلك . أما الشاعر فقال إنه لا يؤمن بشيء من هذه الوثنية وإن زملاه في الأمم الراقية لا يؤمنون كذلك بها ، ومعظمهم يعيش في أوساط دينية تأتي هذه الوثنية كل الإباء ، ومع ذلك فهم يستعملون مثل تعابيرهم التي لا يفهمها سيدنا الفقيه ، ذلك لأنها تعابير رمزية صوفية في معظمها ، وفي بقيتها لا تمثل أكثر من العقل الباطن الطفل الذي أبدع ما أبدع في الأدب الأوربي باطلاق الخيال له في الأساطير وغيرها ، بينما عجز وتقهقر في الأدب العربي بسبب حذقة أمثال سيدنا الفقيه تلك الحذقة التي عاشت دائماً تكأة للدسائس على نوال الأجيال ، ومعاذ الله أن يمكن لها في هذا الجيل المتنور .

وجاء هذا الفقيه ثالثةً وادّعى أن المحدثين يحرقون الشعر العربي والأدب العربي وتغنى على أصحابه الفقهاء أن يشدوا أزره في دفع هذه العادة ! فقال لسان الحال : بل لم يعرف قيمة الأدب العربي الفنية ولم ينصف الشعر العربي أحدٌ مثل أولئك المحدثين يا سيدنا الشيخ ! فكف لهم من دراسات وشروح وتواليف زادت من ثروة هذا الأدب وأنصفت عبقریات السابقين واللاحقين ، بينما سادتنا الفقهاء يهرفون بما لا يعرفون وبلقون بالتهم جزافاً تمجيداً لأذهانهم الكليّة وأهوائهم العليّة !

غرور الشباب

قالوا إننا أسأنا الى الشباب إساءةً عظيمةً فقد صحبت موجةً التآليف الجديدة موجةً من الغرور الذي لا يعرف حدوداً ... ومع أننا نأبى هذا الاتهام الشامل للشباب فنحن نؤثره ألف مرة على روح التبعية والاستكانة التي كانت تجعل من كثيرين من الناشئين خولاً وأغوات لبعض المتزعمين وسنستمر على خطتنا في بث روح الاستقلال والاعتزاز بالذاتية والاعتماد على النفس في الشباب النابه مع الوفاء لفضل السابقين والمعلمين ؛ ولو صحب ذلك بعض الغرور أو بعض الجحود من هذا أو ذاك ، فانما ننظر نظرة عامة الى اطراد الحركة الأدبية ونهضتها دون أن نتأثر بالحوادث الفردية السيئة ما دام للانسانية ضعفها على أي حال . وما كل جيل الا قنطرة لمن يليه في اطراد الفكر الانساني ، وهبات أن تتغلب أي أنانية على هذا التقدم الطبيعي وإن عاقته أحياناً . وحسبنا أن نشيد بهذا المبدأ الحق وأن نعمل على تحقيقه وإعزازه ولو جوزينا أحياناً جزء سنار حتى من بعض تلاميذنا ومن تأثروا طويلاً بأدبنا .

رواد الشعر الحديث

أثار هذا الكتاب الصغير وما زال يثير اهتماماً كبيراً ما بين مدح وقدح فيه وفي مؤلفه وفينا وفي (جمعية أبولو) ١ وبلغت الوقاحة بأحد المنتسبين ظاماً الى الصحافه أن ينسب إلينا ألفاظاً مهينة لمؤلفه مختار الوكيل وينسب إليه ألفاظاً مهينة لنا ، وهذا كله محض اختلاق ... ومختار الوكيل نفسه يمتز بكتابه ويتحمل مسؤولية كل حرف فيه ، فكل حرف فيه وليد تفكيره وإرادته وإذنه ، ولو شاء أن يبدل أي رأى فيه الآن أو بعد الآن لما ترددنا في نشر ذلك في هذه المجلة حتى ولو نقض نقضاً تاماً ما هو مكتوب عنا فيه ، فنحن لا نحجر على آراء الناس ولا نستجدي الأمداح ولا التقدير من أي مخلوق ، ولم يأت مختار الوكيل في هذا الكتاب بشيء جديد عنا لم يقله هو أو لم يقله غيره من قبل . وأما عن استعفاء مختار الوكيل من (جمعية أبولو) فقد افترن بأحسن التمنيات للجمعية وبالتقدير لخدماتها ، ولم تفهم الا أنه وليد رغبته في اعتزال الجمعيات على أثر اعتلال صحته

الطويل الذي أثر على أعصابه ، وهو لا يريد أن يكون عضواً غير عامل بكل معنى الكلمة ، وهذا مما قد يضطره الى السفر الى أوروبا مراعاة لصحته من جهة وبالتخصص في الصحافة التي له شغفٌ خاصٌ بها من جهة أخرى . ونحن كذلك نتمنى له أحسن التحيات في مستقبله الصحفي مما يتفق ومواهبه الأدبية .

أرب شكرى

في كلمة كريمة للشاعر الفاضل عبد الرحمن شكرى بجريدة (البلاغ) المؤرخة ٦ سبتمبر الفائت نحمده يذكر في صراحة أنه لم يقل لأحد إنه أنشأ مذهبا جديداً في الأدب ولا أنى العقاد أو المازنى من تلاميذه ، ويؤكد أنه ليس بينه وبين العقاد أو المازنى تنافس على شهرة أو حرفة أو رزق ولا يحمل لأحدهما ضغينة ، كما أنه لم يجرّض أحداً على نقد العقاد أو على اتهامه بالأخذ منه بل كان دائماً ينفي ذلك كما يشهد خصوم العقاد أنفسهم ، الى آخر هذا الكلام الطيب الذى يدل على نفس زكية طيبة يعينها أدب النفس قبل أدب الكتابة . وهو بهذه الروح الوديدة وضع العقاد بلطف في محله حينما ذكره في آخر كلمته بثقافته في المجلّة العامّة في ذلك الوقت فضلاً عن وقتنا هذا . والخلاصة أن كلمة شكرى لم تنم عن أدبه فقط بل عن محبته كذلك للعقاد وللمازنى بالرغم مما صدر منها ضده سواء بالفعل أو بالتواطؤ .

ولكن فانت شكرى نقطة هامّة ، ولا فائدة له ولا للأدب من تجاهلها ، كما أنه لا فائدة من احتجاجه على من يشجبون مع العقاد بسببه : تلك أن محبته الكثيرين يعتبرون العقاد مسؤولاً عن تواريه وعزوفه عن الأدب والأدباء ، فلا عجب اذا لجأ بعضهم الى الحدة الشديدة في نقد العقاد . وإذن فيجدر بشكرى أن يترجم محبته لصاحبيه القديعين (بعد ما أعلنه المازنى من الأسف الشديد لتحامله عليه سابقاً) بترك عزلته الأدبية الطويلة والعودة الى نشر آرائه الشعرية والنقدية التي تقرّها بها عيون محبيه ، وهكذا يضع حدّاً لهذه المأساة . وبقيننا أن أمر ذلك بيده وحده لا بيد أحد سواه ، وأملنا أن يصحّ عزمه بعد الآن على تلبية هذا الرجاء المعقول الذى يُنصف به نفسه ويُنصف سواه في آن .

نعم ، لقد انتهت الى غير عودة ظروف عزلته الأدبية ، ومن حق الشعراء والأدباء عليه التطلّع الى ظهور أدبه الناضج الذى يُعتمد في طليعة ما تعزّز به الثقافة الشعرية في هذا العصر ومن مفاخر الأدب العربى على الإطلاق .

السُّبَابُ وَالْأَدَبُ

تُعنى وزارة المعارف عنايةً جديةً بأن يضع الطلبةُ دروسهم في الموضوع الأول من اعتبارهم ، ولهم بعد ذلك أن يُعنوا بالأدب كهواية صالحة لهم إذا شاؤوا ، نظراً لما نفّسَ بين بعض الطلبة من إهمال الدراسة متخيلين أن روح الأدب تمشي مع هذا الإهمال وهذه الفوضى ! وبقدر تشجيعنا لأدب الشباب قد عملنا دائماً جهداً لتعزيز الثقافة واحترامها ، فالثقافةُ العاليةُ من أقوى أدوات الشباب سواء عُنى في حياته العملية بالأدب أم بغير الأدب . ولاخير في ذلك الشباب الذي يعرض نفسه لإهمال دروسه قائماً بأن يكون حاشية من حواشي المتزعمين الذين يريدون أن ينزلوا بالأدب إلى مستوى السياسة ، وأن يسخروا الشباب في هذا التضييل كما سُخِّروا من قبل في أهواء السياسة وهم الخاسرون في كلتا الحالتين دروسهم ومستقبلهم . فإلى دروسكم أولاً أيها الأعزاء وقد بدأ الآن الموسم الدراسي ، ثم إلى الشعر أو غيره من فنون الأدب في غير أوقات دراستكم إذا ما وُجدتْ عندكم رغبة صحيحة فيه . وأما الاضطراب والإهمال والفوضى باسم التحرير الفني فليس من ورائها غير الفشل وأى فشل !

سُور الصيرفي

من أظهر الدواوين الشائقة التي غنمها الأدبُ العصريُّ في هذا العام ديوان (الألحان الضائعة) للشاعر حسن كامل الصيرفي ، فإن أصالة الشاعر تتجلى في كل صفحة من صفحاته . وقد انتقدَ عليه ما فيه من كآبة ورمزية كثيرة ، ومع أن شيئاً من هذا لا يجوز أن ينقص من قدر هذا الشعر فالمعروف أن ديوان (الألحان الضائعة) يمثل فترة من حياة الصيرفي قد انتهت ، إذ ليس فيه شيء من نظم الحديث بل ان شعره متداول منذ سنين ما بين مطبوع ومخطوط ، ونفس الديوان بحالته الحاضرة كان مهياً للنشر منذ سنة ، ولقد تأثر به غير واحد من شعرائنا النابهين وفي مقدمتهم الشاعر الوصَّاف على محمود طه صاحب (الملاح التائه) . ولعل التقدير الذي لاقاه الصيرفي يشجعه على المبادرة باخراج بقية دواوينه الممتعة .

عنر وزير المعارف

كتب الدكتور طه حسين في صحيفة (الوادى) مقالاً طويلاً عن فوضى الثقافة في مصر نقرّه على معظم ما ورد فيه ونعزّزه ، وقد ألعنا نحن من قبل في شتى المناسبات الى شئ من ذلك ، فنحن من خصوم الزطامات المصطنعة وما يتبعها من مفاصد ، وقد قاومنا دائماً فكرة استغلال الأدب للسياسة وتسخير الشباب في ركاب المتزعمين ونضيق مستقبلهم ، وفي الوقت ذاته لم نقصر في بثّ روح الشخصية والكرامة في نفوسهم ، كما يعلم ذلك كل من له صلة وثيقة بنا وتتبع جهودنا الثقافية ، فلا حاجة بنا لشرح ذلك في هذا المقام .

أما الذى يعيننا بصفة خاصة فهو أن الدكتور الفاضل قد شطّب به قلمه في حماسه فنتطرق الى نقد زيارتنا لصاحب المعالي وزير المعارف للتشاور معه في معاونة مجلّتنا الفنية هذه . واذا لم يكن وزير المعارف المهيمن الأعلى على التعليم والثقافة في مصر هو الذى يُقصد لذلك فن ذا الذى يُقصد ؟! نحن نعرف أن هناك جفاءً شديداً بين الدكتور طه ووزارة المعارف ، ولكن هذا الجفاء لا يجوز أن يبرّر له بحال من الأحوال اساءة الظن بالأدباء واساءة التفسير لأعمالهم الطبيعية في شدة واسرافٍ منه ، خصوصاً والدكتور طه يعلم علم اليقين أننا أحبيناه وقدّرناه في جميع الظروف التى تقلّب فيها ، فهل له على الأقلّ أن يحترم أخلاقنا واستقلالنا ؟ ... ليكنّ للدكتور طه حسين رأيه في معالي وزير المعارف وهو حرّ في هذا الرأى ولن يخطر ببالنا تجريحه ، ولكن لىذكر أيضاً أننا أحرار في فهم شخصية معالي الوزير وفي تقديرها وفي عرفان فضله على الثقافة العصرية ، وأننا لسنا من يجعل شيئاً من هذا تحت رحمة الأهواء والظروف سواء أكانت سياسية أم غير سياسية ، فإن مركز وزير المعارف يجب أن يكون دائماً فوق الحزبية والمياسة . والدكتور الفاضل يعلم جيداً أن المجالات الفنية الصميّة بمصر في حاجة ماسة دائماً الى معاونة الحكومة لها خصوصاً ومتعهدو الصحف والمجلات لن يساعدوها على الزواج ، فهل حرامّ أن تتّجه هذه المجالات المصرية الى الدولة لمؤازرتها بينما تقتصر المساعدات على الأجانب وأعمالهم ؟ اكان أكبر ظننا أن الدكتور الفاضل يحاسب قلمه ولا يشطّ هذا الشطط خصوصاً ونحن لم نلق منه ذرة واحدة من المساعدة ولا نريد أن نشير الى عكسها ، ولذلك نعتب عليه أشدّ العتب .

كبير « الأدباء »

كتب إلينا صديقنا الشاعر عبد الرحمن شكرى رسالة ظريفة يشير علينا فيها بدل مطالبته بالخروج من عزلته أن نمتنع نحن عن نشر شعرنا سنين طويلة فزدداد شهرة على شهرة ، لأن الناس مجبولون على الخلاف « وأحبُّ شيء إلى الإنسان ما مُنِعَا » كما أن في هذا الامتناع تنحياً عن الجوّ الأدبي الموبوء بالكيد واللؤم !... وفي نفس هذا الموضوع كتب رسالته الشائقة « الشهرة والخلود » التي نشرتها صحيفة (المقطم) يوم ١٤ سبتمبر الماضى .

وقد يرى القراء مثلاً من هذا الكيد واللؤم في تهافت غير واحد من طلاب الشهرة على الاشتراك في أعمالنا الأدبية تقدراً أو تفسيراً ، في حين أننا لا نعهد بذلك إلا إلى خاصة أصدقائنا أو من تربطنا بهم روابط الإعجاب المتبادل ، ثم اذا ببعض أولئك المنهاتين يتظاهر بأنه المطلوب لا الطالب إمعاناً في الكيد لنا وخدمة خصوصاً الذين يتأمر معهم على حساب سمعتنا الأدبية ! ولكن هيهات... ولعلّ أغرب الأمثلة من هذا القبيل أن يلجّ أحد المتأدبين إلحاحاً في وضع كتاب عنا فلما نصرفه عن ذلك بلطف ليشغل بما هو أجدى ينقلب ضدنا ويلجأ للتأمر مع من لا يهدأ له بال إلا في الكيد لنا وهذه الحادثة معروفة مشهورة .

ونحن الآن نغنى باخراج ديواننا (فوق العُباب) ومع تقديرنا لحجة مريدنا الأفاضل الذين ودّوا الاشتراك الأدبي والمالى في اخراج هذا الديوان كما تفضل بعضهم بمثل ذلك من قبل ، نعلن أننا دفعاً لكيد الكائدين - وتصرفاتهم في البيئات الصحفية التي يخلطون فيها بين الأدب والسياسة معروفة - سنكتفى باخراج هذا الديوان مجرداً عن كل دراسة سوى تصديرنا الوجيز ، كما أننا سنكتفى بإهداء بعض النسخ إلى المكاتب العامة ، وبإصدار طبعة خاصة محدودة النسخ ، ولن نقدّمه إلى الصحف للكتابة عنه ، وسنتبع مثل هذه مع الخطة ازاء جميع مؤلفاتنا المستقبلية ما بقى الجوّ الأدبي في مصر على هذه الحالة . ولا نحسب أننا نخسر بذلك شيئاً ، ولعلنا في الوقت ذاته نساعد على تنقية الجوّ الأدبي وردّ كيد الكائدين الذين يعادون كل من يقاوم أنايتهم وعيبتهم ، ولعلّ هذا يفهمهم لأن يفهموا أنّ آثارنا الأدبية هي لأنفسنا وخلصائنا أولاً وأخيراً وليست للبيئة المسمومة .

شعراء أبولو

نضم « مدرسة أبولو » كثيرين من الشعراء في العالم العربي ما بين محترفين وهواة على اختلاف في السن والمكانة ، وقد ربطتهم رابطة متميزة من الرغبة الحارة في الحرية الفنية الصحيحة وإنصاف اللغة العربية الشريفة بآثبات مسيرتها للزمن وقدرتها التامة على شتى التعابير العاطفية والفكرية بما لا تبرزها أية لغة حية . وقد أشار الى هذه الغاية الهامة أستاذنا خليل مطران في تصديره لسنننا الثالثة .

وبهذه الروح شجعت (أبولو) إخراج الأثار الشعرية فكان لمجهود هذه المجلة وما صاحبها من الدواوين الجديدة في السنتين الأخيرتين أثرٌ بليغٌ جداً في خدمة النهضة الشعرية وإبراز مواهب جديدة كانت خافية ضائعة .

من أجل هذا نقرأ أحياناً من النقد الموجّه إلينا ما يُثير دهشتنا أو ابتسامة ، وقد تورّط في ذلك غير واحدٍ من أفاضل الأدباء إمّا تسرعاً أو استماعاً منهم بحسن نية الى عبث المازلين بينما هم لا يتصلون بنا على الإطلاق ، واحتراماً لحسن ظننا فيهم نكتفي بهذه الإشارة الآن لثبوقة من أن مثل هذه الآراء المرتجلة لا يمكن أن يتعلقوا بها أمام الحقائق الناصعة .

ومما قرأناه من النقد لمناسبة صدور ديوان (الألمان الضائعة) أننا باستنكارنا تهافت النقاد على المسائل النحوية وما شاكلها نعادي سلامة اللغة العربية ! والحق أننا من أحرص الأدباء على سلامة لغتنا الشريفة وإنما نلاحظ فقط أن نقد الشعر في مصر هو غالباً نقدٌ غير فني يُعنى بالعرض ويُسقط الجوهر ولا يتفهم الروح الشعرية .

كذلك أخذ علينا أديبٌ فاضلٌ استعمالنا كلمة « أصيل » بمعنى original وادّعى سامحه الله أننا لم نستطع تفسيرها له مع أننا لم نذكر له المقابل الفرنسي إلا من باب الاكتفاء لعلنا أنه يعرف الأدب الفرنسي ، فعاد الآن يقول إن الكلمة العربية اللائقة هي « مطبوع » لا « أصيل » ، وشجعه هذا على اتهام شعراء أبولو (وبينهم أعلام في الأدب واللغة) بالعجز اللغوي والتفريج الخ . . . وهذا في الواقع عكس حالتهم : فإن شعراء أبولو يخدمون اللغة الفنية الأدبية

عن طريق الشعر أجل خدمة ، وهم يأبون التقليد سواء للأدب العربي أو للأدب الفرنجي ويعززون الطلاقة الفنية والتعبير عن ثقافة المصّر بما تحتويه من عناصر مختلفة عربية وفرنجية على السواء . فمن الخطأ إذن مثل هذا التسرع في الأحكام على قوم يعرفون من أدب لغتهم الكثير ، ويعزّون هذا الأدب ، ويعملون على تطويع اللغة للتعبير عن شتى الخواطر والمواجس والآراء والمباحث العصرية ، بدل أن يقنعوا بحظ البيّغات... مثل هؤلاء أيها الصديق يستحقون الاحترام ولا يجوز أن يوصف أدبهم المتحرر الناضج بأنه فجّ قاصرٌ لمجرد أنه مخالف للتقاليد ، فنل هذا الحكم المتعسف أولى بأن يطبق على النثر العصري قبل النظم العصري .

أما عن وصفنا الشاعر بأنه « أصيل » فعناه أنه راسخٌ الأدب مجيدٌ لا يعتمد على غيره (وهو ما يستمدُّ من مادة أصل أصلًا) .

أما الشاعر « المطبوع » فهو الذي يأتي بالشعر من دون تكلف . فالأول شاعر مبتكر له شخصية مستقلة ولا يقلد أحداً ، وهو غالباً شاعر مطبوع ، إذ يوجد أحياناً الشاعر الأصيل الذي لا يستطيع أن ينظم بسهولة ولكن شعره في النهاية يستحق الاحترام لأصالته الممتازة ، كما يوجد الشاعر المطبوع الذي ينظم بسهولة مدهشة ومع ذلك لا يكون أصيلاً نظراً لتأثره بشاعرٍ يحتذيه ، فلا يمكننا أن نضع شعره في المستوى العالي الذي نضع فيه شعر الشاعر الأصيل ولو لم يكن مطبوعاً . فمن هذا البيان يرى الناقد المنصف أننا خدمنا اللغة باستعمال كلمة « أصيل » منذ زمن بعيد في هذا المعنى ولم نسيء إليها أية إساءة ، ولم يجيء هذا الاستعمال مظهرًا للعيّ بل مظهرًا للتأمل الدقيق في فقه اللغة ، فإن لم نشكر عليه فنحن على الأقل لا نستحق من أجله اللوم !

وأما تصديرنا لديوان الصيرفي فلا يدعونا إلى ما ذهب إليه ناقدنا الفاضل ونحن ندع للصيرفي نفسه واجب الدفاع عن شعره كما تركنا ذلك من قبل لغيره من أعضاءنا . ومع هذا فواجبٌ أن نقول إن صاحب ديوان (الألبان الضائعة) كان يريد أن يسقط مقطوعة « عقب السجارة » فأبينّا عليه ذلك ، فلسنا إذن من يصغر هذا اللون من الشعر كما يقال ، خصوصاً ولنا شعرٌ من هذا القبيل في ديوان (الشفق الباكي) وغيره . كذلك لم يكن من الختم أن نشير إلى جميع شعره الرائع فهو كثير ، وحسبنا أن نضرب بعض الأمثلة وفي مقدمة ما ذكرناه منها ملحمة عن « الشاعر » . وإذا كان الناقد الفاضل لا يشعر بالفصول في مصر فالشعراء يحسّون بها تمام الاحساس وخصوصاً بالربيع ، ولا يفوتهم ما يصدّه هو من التوافه أو النوادر كموت البلبل

وجفاء الطبيعة ، فهذه الحوادث العرضية للرجل الاجتماعي هي حوادث كبرى للشاعر الحساس ولعلما يفوته التعبير عنها اذا ما التفت اليها . ونحن لا يرضينا من شعرائنا صدأ الطبع أو الخمول ، فلا نقبل أن نقول لهم دعوا هذه الطواريء المؤثرة على فرض أنها نادرة الحدوث لمن يعيش بين أحضان الطبيعة أو يلتفت اليها الالتفات الكافي . ولعل نظرة من حضرة الأديب الناقد الى ما كتبه الناقد المعروف صديق شيبوب عن الحياة الأدبية وديوان صالح جودت والألحان الضائعة في جريدة « البصير » يوم الجمعة ١٤ سبتمبر الفائت تشعره بالبون الشاسع بين ما خطر له في عجلة أحكامه وبين ما خطر لنا قد قديم أكثر صلة بالنهضة الشعرية والحركة الأدبية في مصر مثل صديق شيبوب .

انصاف الشباب

أشرنا في العدد الماضي (ص ٧٢) الى المؤازرة الموجهة الى أعضائنا الشباب لاجراخ مؤلفاتهم تباعاً ، وكان في مقدمة هذه المؤلفات (رواد الشعر الحديث) للشاعر الناقد مختار الوكيل . وقد تلقينا تشجيعاً وثناً على ذلك ، ولهذا تأسفنا غاية الأسف لأن تسمح زميلتنا مجلة (الأسبوع) بنشر ما ينتقص ذلك ، وأن يندق قلم الأديب اسماعيل كامل بهذا الانتقاص والتشويه لغاياتنا الثقافية ، وقد كان يشافها من قبل بحسن ظنه فينا وفي أعمالنا ... وما قيمة الأدب الذي ينتهي شأنه الى مثل هذه التخرصات الفارغة والقال والقيل محاربة لجمعية تبذل جهدها لخدمة الشعر العربي خدمة خالصة بعيدة عن التحيزات والشخصيات ؟ وكل ذلك لانها تأتي أن تسير في ركاب هذا أو ذاك !

وليس سرا مكتوماً أن بين مختار الوكيل وبين صاحب « الأسبوع » وبعض محرميه سوء تفاهم شديد لمسألة شخصية محضة لاشأن لنا بها بتاتاً ولا شأن لها بالأدب ، كما أننا لا نتحمل مسؤولية الآراء في كتابه الجديد بل تحالفه في جانب منها ، فما يؤسف له جداً أن تتورط هذه الزميلة في مثل هذا الطعن القبيح في ذمة مختار الوكيل وفي ذمتنا وهي التي كانت الى وقت قريب تمدحه غاية المدح ، وأن تجعل صفحاتها مسرحاً لهذا الكيد لنا ولأعضائنا وأصدقائنا بأفلام لانعرف الصدق ولا الخجل اعلاناً عن أصحابها وبراً بأصحاب « الامارات » المصطنعة على حساب الأدب والأدباء ...

ولو تدبّر هؤلاء الكائدون رأوا أنّ جميع مناوراتهم مكشوفة ، فنحن لن نتخلّى بأيّ حال من الأحوال عن رسالتنا الأدبية في هذه المجلة وغيرها ، كما أننا نستطيع أن نستغنى استغناء تاماً عن كل تنويه بتأليفنا الشخصية ، فلا نحن نعمل للربح المادى ولا نحن في حاجة الى التصفيق والتهليل ، وإنما لذتنا الأدبية لذّة الهواية الصرفة قبل كل اعتبار آخر ، فمن أراد ثمار أدبنا فعليه أن يسعى لها فلن نكون نحن الساعين اليه ، وإن دُفن هذا الأدب لأهون علينا من تصنع الأخلاق الكريمة والمنّ السقيم الذي تنضح به تلك النفوس المريضة المفسدة للجوّ الأدبي في مصر . وقد ضجّ الأدباء المحضون من جعل الأدب مطية للسياسة ومن تشويه سمعة الأدباء النقاد باسم السياسة كلما قالوا كلمة الصراحة والاخلاص ، والأنكى من هذا أن يدسّ هذا المنزعم أو ذاك سفيراً له في معظم المجلات والجرائد السيارة لمحاربة خصومه وعرقلة النشر لكلّ ما لا يرضيه ولو كان أدباً ناضجاً ، فلا عجب بعد ذلك اذا تألم معالى وزير المعارف وجميع الغيورين على حرمة الأدب من هذا الاضطراب المسىء الى سمعة مصر الأدبية في العالم العربى .

الدكتور ناجى

شقّ علينا كثيراً ما بلغنا في الشهر الماضى عن إصابة صديقنا الدكتور ابراهيم ناجى وكيل (جمعية أبولو) في حادث اصطدام بمدينة لندن إصابة خطيرة نُقِلَ من أجلها للعلاج في مستشفى سانت جورج . ولكن يسرنا أن نعلن الآن تماثله للشفاء وأنه سيعود الى مصر في أواخر هذا الشهر . وهذه بشرى ترفّ الى محبيه الكثيرين في العالم العربى الذين يحلون أدبه ويعشقون لطفه .

وبهذه المناسبة نأسف لما قرأناه من تحامل على الدكتور ناجى حتى في غيبته وأثناء مرضه ، بينما ناجى لم يدافع عن نفسه الاّ الدفاع المقبول المشروع . وعندنا أنه ما كان يجوز له الاستياء من الدكتور طه حسين بصفة خاصة ، ففضل الدكتور طه على النقد الأدبى قديم معروف ، ولكنه في ظروفه السياسية الحاضرة التى غرق فيها الى أذنيه لا يملك الوقت الكافى للدراسة العميقة ، كما أنه لا يملك الاستقلال الذى يخوّل له أن يكون ناقداً أدبياً جريئاً ، أى قاضياً عادلاً بعيداً عن المحاباة . فأحكام الدكتور طه الادبية في الوقت الحاضر تُقبَلُ لما فيها من معالم الذكاء لا غير ،

لأنها أحكام عادلة ، إذ كثيراً ما تكون بعيدة عن ذلك . ولكن الدكتور طه
ساحر العبارة حتى ليفتتنا بحيثيات حكم الأعدام علينا أو على واحد من أصحابنا ! وهو
يبحت في الشعر المنقود لناجى جاهداً عن كلمة « خرجت من الأزهر الشريف » حينما
يتغاضى عن عبارات الحشو الثقيل في شعر العقاد التي لا نعرف ولا يعرف الشيطان
من أين خرجت !

ضجة مفتعلة

كتب الشاعر عباس محمود العقاد بامضاء أحد أتباعه مقالة من مقالاته المستورة
في جريدة (الوادى) المؤرخة ٢١ سبتمبر الماضى بعنوان « ضجة مفتعلة » كلها تهجم^ة
عنيف علينا . وقد خطر فى بالنا أولاً أن نهمل التعليق عليها — خصوصاً وقد ظهرت
ونحن على وشك إصدار هذا العدد — ثم رأى فريق من زملائنا غير ذلك حتى يرى
الآداب النقاد من أين يأتى حُب الانقسام والاساءة الى الأدب والآداب حتى بأقلام
من ينتسبون الى مهنة التعليم وهم أبعد الناس عن رُوحها وأخلاقها . وقد رأى
القراء كيف أننا دائماً نقف موقف الدفاع الشريف ، وحتى هذا الموقف لا نقفه الا
اضطراً بعد استنفاد كل ما لدينا من حِلْم ، وإنما نقفه دفعاً للتزوير على التاريخ
الأدبى ودفعاً للاساءة الى النهضة الشعرية الحديثة . بيد أن صفحات هذه المجلة الشعرية
لا تتسع لمثل هذا الأخذ والرد ، ولذلك فقد نضطر فى المستقبل الى الكتابة فى
زميلتنا (الامام) التى ستستأنف ظهورها فى القاهرة ابتداءً من منتصف هذا الشهر .
وقد كان بؤساً أن ننفي نسبة هذا المقال الى العقاد كما ننفي نحن نسبة كل ما يُظن أنه
من قلمنا اساءة لأحد ، وكلنا فعلاً بعض مريدى العقاد فى ذلك ليتنصل من هذا
العبث ، ولكن سعيينا فى ذلك كان على غير جدوى .

اهتم العقاد كعادته فى مستهل هذا المقال الذى شغل نهريْن من (الوادى)
— وهو واحد من سلسلة المقالات المنتظمة لمحاولة النيل منّا ، على منال ما كان يتبع
ضدّ عبدالرحمن شكرى منذ عشرين سنة — اهتم بالتهوين من شأننا والتعظيم من
شأن نفسه ، وهى طريقة مبتذلة فى الكبرياء المصطنعة أصبحت تمجّجها حتى بيئات
التهريج ... ولو أراد العقاد راحة نفسه لترك التقدير الذى يتهافت عليه للتاريخ
والنقد الفنى الخالص ، ولتخلى فى سنّه الحاضرة عن أمثال هذه الاعلانات الرخيصة

المضحكة ! ولكن هي الغيرة الحمقاء من كل أديب ناب لا يسير في ركابه وله رسالته الخاصة ، وآخر غرائبها الحملة التي نظمها على الكاتب الاجتماعي النابه أحمد الصاوي محمد في أكثر من صحيفة .

ونقرأ بعد ذلك كلاماً عن رجولته المكتملة ، وأنه رجل صراع وطني وأدبي تحاربه قوات مجتمعة ومتفرقة فيصمد لها جميعاً ، وأما نحن ففي هدوء من البال وطراوة النعيم ، الخ ... وهذه الكلمات آية في التبجح لقلب الحقائق ، ونحن لا نذكر جهودنا المتنوعة وكفاحنا المتواصل في ميادين شتى منذ أكثر من عشرين سنة فهي لا تحتاج الى تركية ، وما تحياه من حياة النضال المستمر والتكشف والتعب المتواصل أشهر من أن يعرف به لكل ذي منطق سليم ، وأما رجولة صاحبنا العزيز المكتملة ومثله الأعلى في الصراع الذي يصح أن يقال فيه « مكره أخاك لا بطل » فوقفه الخزي أثناء محامته ، وهروبه من ميدان الأدب الى ميدان السياسة ليحارب زملاؤه بأسلحتها الخفية . ولا نعرف أن هناك قوى تحاربه فهذا تهويل في تهويل وجعجة فارغة ، بل انما يتعرض له من متاعب ترجع الى رعونته وسلطان لسانه أقل بكثير مما تعرض له زملاؤه الصحفيون المجاهدون الذين لا يضجون مثل هذا الضجيج لفتاً للأنظار وتظاهراً بالبطولة . وأما الصراع الوطني الذي يتحدث عنه فأننا لا نفهمه كما لا نفهم هذا الكفاح الذي يتشدد به ، وإنما نفهم منه فقط أنه ضحك على الذقون ! فهذا كاتب يتناول مرتباً حسناً من (الجهاد) ومكافأة مالية من (الوفد) وكل جهوده مقصورة على مقالة سياسية يومية - هي غالباً عريضة شتائم فارغة للتأثير على الدماء - ومقالة أدبية أسبوعية ، وله الكثير من الوقت لمرحه ومتعه ، بينما نعانى نحن ما نعانى من المشقات والتضحيات المتنوعة والمسؤوليات الكثيرة وصنوف المحاربات عاماً بعد عام . وما زال صاحبنا يتوهم أن في ظهوره بمظهر الصنم وفي لطمه ذوى الفضل عليه وفي تشبيهه زائريه ومجتمعهم بمحديقة الحيوانات وتسجيله ذلك في شعره ما يكسبه الرجولة والعظمة والاحترام ، فيعيرنا بوداعتنا وهوادتنا ويحاول أن ينتقم رجولتنا ، ولكن كل من عاش في البيئات المثقفة في أوروبا وخالط رجال الأدب والعلم فيها يعرف أن أخلاق الاجلاف ليست من العظمة أو الرجولة ولا من احترام النفس في شيء ! وبحمد الله لم يحن الشباب الذي امتزج بنا إلا الشعور التام بالرجولة والاستقلال والاباء وشعم النفس وأمثال هذه الصفات التي نبشها فيه ولو ثار بعضهم علينا - وقد أشرنا الى ذلك من قبل - وليس مثل هذا ما يستطيع أن يباهي به العقاد نحو

من عاشره من الشبان . وما يتردد علينا منهم إلا أبناء البيوتات الطبية ، فإيقوله ذنب آخر من أننا نعمل هذا أو ذاك هذر في هذر ، فإن إنفاقنا على العلم والأدب لا على الأشخاص وليس لغايات شخصية ، والعكس كل العكس حال خصومنا .

وأما عن آرائنا الفلسفية وتاملاتنا الفكرية فتغلغل في دواويننا ومؤلفاتنا وهي من صميم خواطرنا لامن آثار مطالعنا وحدها . فلا تدفع بصاحبك المسكين الى العيب في شعرنا قبل أن تحرم عليه انتهابه ، اذا كنت أنت تريد التظاهر بالتعفف عن مثل ذلك ، وهذه إحدى قصائده الأخيرة « النفس الضائعة » المنشورة في مجلة (الرسالة) المؤرخة ١٧ سبتمبر الماضي منهوبة الخواطر والمعاني من قصيدتنا « أقصى الظنون » (ديوان الشفق الباكي - ص ٣٠٠) واذا غفرنا لك ما تنهيه أنت بجانب ما لك من حسنات فلتحسن على الأقل اختيار من توكل اليهم مسئولة مهاجمتنا بهذا الاسلوب الرقيق ! وأما عن شعرنا الذي يتمثل فيه تقديس المرأة روحاً وجسماً ومعنى فهو أبعد ما يكون عن الإباحية لدى من يفهمه ، وإنما هو صورة التسامى والطبيعة النقية ، ولم يقل أحد عنا ذلك لمجرد وصفنا شتى الاحوال النفسية ، بل نحن نغار على قدسية المرأة أشد الغيرة ، وتفسيركم هو صورة نفوسكم المريضة . وإنما هذه الإباحية بل الشذوذ البغيض هو مما يطل من ثنايا شعرك ، ونحن لانعرف النفاق الذي تعرفونه أتم أيها المألقة المتصنعون وأنصار الفضائل الموهومة !

وأما الحق الكظيم فشيء لانعرفه أيضاً ، لأن أشهى ما عندنا أن نعيش للجمال بما فيه من حرية وسلام وقد نقدنا أدبك وقدرناه فوجدناك لاتنقع بأقل من التآليه فرأينا من الخير بعد ذلك أن نتركك وشأنك إذ لا خير في مثل هذا الغرور والأثانية . ولولا تعرضك لنا بالسوء وطعنك في شرفنا وأخلاقنا ، ولولا المناسبات الأدبية التي تقضى الأمانة بذكرك فيها ، لأغفلناك اغفالا تاماً . ونحن نتحدى أى انسان يقول إننا أصغرناك عند من قسوا في نقدك ولم تكن منصفين لك من وجوه شتى .

ونحن لانعرف أحداً يختلط بنا إلا من ذوى الفضل والمكانة والشباب المثقف ، ومن عداهم فلا صلة لهم بنا ، وقد نكون لهم بك هذه الصلة بالمعنى الذي تذكره . وقد نساعد بعض البائسين أحيانا على قدر طاقتنا كما ساعدنا صاحبك الشتام الجاحد ، وهو آخر من ينبغى له التحدث في هذا المعنى ، ولينقدم أولتتقدم أنت نيابة عنه بسداد ما افترضه وما يقترضه بمنة ويسرة من الكثيرين ثم يدعى بعد ذلك أنه من تعرض عليه النقود في حين أنه لا يعطى لأحد فرصة لمثل هذا العرض ! . . . ولكن هي

الصفافة المتناهية وطبيعة الاختلاق التي تسترها الليونة والابتسام الى أن ينفضح أمره وتظهر خديعته ورياءؤه، وحينئذ ينور ويتكلم عن « القاذورات » وأشباهاها كأنما هذا من لغة معلمي المدارس التي ينتسب إليها !

ولم يجعل ذلك القلم السليط من الخط من أدب مطران وشكري وتصوير التنويه بهما ضجة مفتعلة ، وأما سخافة « امارة الشعر » التي تورط فيها الدكتور طه حسين (كما يتورط الآن عن حسن نية في مقالات كثيرة مفرضة بتأثير من حوله من الموسوسين) فليست من الضجة المفتعلة في شيء !

إن مطران يا هذا ملء الأسماع والأبصار بأدبه الناضج منذ نصف قرن ، وهو في غنى تام عن كل ضجة مفتعلة ، فلا توهموا القراء بأنه مجرد شاعر صادفته الشهرة ، وخطبتنا في هذه المجلة كانت دائماً معارضة الزعامات المفتعلة حتى رفضنا تلقيب مطران بأمير الشعراء وشاعر الأفطار العربية كما رفضنا أن ننشر الأمداح الموجبة إلينا قبل أن يخطر في بالك التعلق بهذا الصغار . . . ولا نود أن نقول إنك عدت الى ذكر شكري مضطراً في الوقت الذي يزيد أن نختم بسلام هذه المأساة ، فمن الخير أن لا تعود الى الغمز في أدب شكري وأخلاقه وأنت تعلم محبتنا القديمة له التي لا شأن لها بك ، ولا الى الطعن فينا وفي وزارة المعارف لمثل هذا التطاهر الرخيص بالبطولة الذي تقوم به من وقت الى آخر ، وما أرخص هذه البطولة العرجاء في بلادنا المسكينة !



وتظهر الامضاء الشريفة ورمزها مرة أخرى في مجلة (الأسبوع) الغراء بمددها المؤرخ ٢٦ سبتمبر الماضي كأنما لم يبق غير هذا الاسفاف ضماناً لرواجها . ونمود فنقول إننا لا نعرف التهجم على أحد ، فكيف نلام بعد هذا إذا وقفنا موقف الدفاع الصريح عن شرفنا وأدبنا ازاء الكاتب المتحامل وازاء المجلة التي تقضى خطتها التجارية بما لانه ؟ قال ﷺ : الدنيا جيفة وطلأها كلاب ، فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشره الكلاب ! ونحن لا نريد شيئاً من دنيا هؤلاء ، ولكنهم يتخيلون دائماً ذلك فينفضون أنفسهم ويشنون من الغارات ويبتدعون من الاختلاقات ما ينافي أبسط مبادئ الأخلاق والانسانية ، ولكن ما لهم وللأخلاق والانسانية ودنياهم من غير هذا الطراز ؟ يحاولون الايقاع بيننا

وبين ناجي وهو مَنْ هو بيننا في المكانة والاعزاز . وبحولون دوت نشر رسالة مختار الوكيل ردّاً على مزاعمهم الكاذبة واقتنائهم وقد سلّمَ اليها نصّها بخطه وسنشرها في مجلة (الامام) الصادرة يوم ١٥ أكتوبر ليرى القراء مبلغ اقتنان هؤلاء الأفاضل في النزوير على الأحياء . ويدعون أننا كتبنا الى (البلاغ) مقالة عن « النور في شعر أبي شادي » بامضاء مختار الوكيل بينما نحن نزهد في نشر ما ننقله من أمداح وتقاريط من أدباء معروفين ، ومختار الوكيل حسن الخطّ ولذلك نجزم بأن مقالته ذهبت إلى (البلاغ) بخطه هو ، فليُسأل عنها (البلاغ) . وأما وجود « دار ذى القرنين » في الاسكندرية فأمرٌ جائز ، وهذا لا ينفي الشعر الاباحى المستنكر ، وما هو بالفريد من نوعه في شعر العقاد ، ولذلك لم يأتهم لارمزي مفتاح ولا صالح جودت في استنكاره ولم تأثم مجلة (أبولو) في نشر ذلك الاستنكار ، فإنّ تقدير الجمال وتحليله الذوقى شيء والاباحية شيء آخر . وأما عن آراء اسماعيل مظهر فليسأل عنها هو فشواهدا عنده . وأما عن عزيزنا كامل كيلاني فحسبه أن يداوى اللطمة التي أخذها أخيراً من المازنى لتفنّنه في اصطلياد مواد مؤلفاته من الأدباء البائسين ، ويكفيه أن يطوف على المقاهى بأهاجيه لنا ، وبمقالات تقرّبه على الصحف سواء مباشرة أو بالواسطة . ونحن لا نعمل سرّاً في أى مجال بل حولنا من حولنا من أدباء شهود يعرفون إذا كنا نعمل لأنفسنا أم نعمل لغيرنا ، ونخترع الأمداح أم نتعقّف عنها ونشدد النقد الصريح الزيه . وعدد (الأسبوع) الأخير كله هوسٌ وجنونٌ في مهاجمتنا في صفحات متوالية الى درجة الإشارة الى ماضينا ، كأنما كنا من متشرّدى القلعة وقهوة الشيعة وغيرها أو من مهرّجى قلعة ابى جبل أو من صعاليك الصحافة الأوغاد . . . وهكذا يكون النسل وسادتنا النبلاء !

عَبْتُ

كنا كتبنا في العدد الماضى كلمة مؤاخذه صريحة للأديب عبد الفتاح حمودة على نقده لشعرنا الذى جعله في الواقع طعناً في ذمتنا وأخلاقنا قبل أن يكون نقداً فنياً ، وهذه عادة سيئة ذائعة بين النقاد لا تقلّ عنها سوءاً أن يعتبر الناقد المنقود أقلّ منه أدباً وفكراً فيتورط في أبجديات نقدية لا معنى لها . وأما النقد الأدبى الخالص فعادتنا الترحيب به ومناقشته في هدوء ، والشواهد الماضية كثيرة على اخلاصنا في ذلك ، بل نحن نشكر الناقد الأدبى الصريح ولو تحامل علينا مادام يكتب بحسن نية .

وقد جاء الأديب الناقد في جريدة (الوادى) المؤرخة ٢٨ سبتمبر الماضى برديّ ليس فيه ذرة من الانصاف والاعتراف بالخطأ أو الاستقلال الذى يدعيه، بل فيه مافيه من زيادة التهجم علينا، وحسبنا إنصافاً له ولا نفسنا أن نوجّه اليه أنظار القراء ليتبينوا بأنفسهم روح الكاتب الفاضل ومراميه، ثم ليحكموا له أو عليه وعلى غيره ممن يتفضّلون بتجريحنا في جريدة (الوادى) رعاية من هذه الجريدة المحترمة لصديقها العزيز عباس محمود العقاد ومن يلوذون به، بعد أن أصبح الدكتور طه حسين لا يتحرز من التأثيرات الشخصية والعصبية السياسية حتى ولو كانت ضدّ رجل ما يزال يحترمه ويحسن الظنّ به ولا شأن له بالعصبية السياسية كمحرر هذه المجلة .

أينما المفرّ بالسباب ؟

لقد دفع سخطُ العقاد وأذنا به علينا (لأننا أينما إهّ التفرير بالشباب ودفن مواهب الرجال المبرّرين الذين حاربهم) الى الالتجاء الى راية السياسة كما أشرنا من قبل، واستغلال الصحف التى تجامله لنا وأتينا بكل وسيلة ومنها اتخاذ الشباب للاختلاق ضدّنا واساءة تفسير جميع أعمالنا وبين هؤلاء من لم يبرحوا أول سلم الأدب ... فن ذلك أننا اذا ضننا بفراغنا فى (أبولو) لدراسات تخصّصنا ونشرناها مُمتلئة لم نكن مشكورين على هذا الايثار بل كان ذلك جريمة وأى جريمة، ووجب شتيمة من يقدرنا ولو كان مثل خليل مطران أو أحمد محرم اللذين ترجع علاقتنا الأدبية بهما الى سنين بعيدة ! ومن ذلك أن يقال إننا نستجدى التقريظ ونحن الذين نأبى نشره فى هذه المجلة وغيرها، وبينه ما يتشرّف غيرُنا باذاعته كما يفعل العقاد فى « الجهاد » وسواه، بينما نحن الذين كنا ولا نزال القدوة المثلّى فى نشر النقد الصارم كما فعلنا فى نشر مقال صديقنا الفاضل محمد سعيد ابراهيم فى ديوان (الشفق الباكي) فى حين يبولول غيرُنا لاى معنى من معانى النقد ! ومن ذلك أنّا اتّباعنا نسق النشر الذى آثره صديقنا الأديب الصحفي المطبوع حسن الجداوى أو تعاوننا الأدبى مع مريدنا من جمعيات وأفراد معناه انعدام شخصياتهم فى كل هذه الآثار الأدبية التى تخصّصنا ! ويكفى عندهم دليلاً على ذلك ارتباطنا بمطبعة واحدة مشهورة خدّمتنا وخدمت أصدقاءنا سنين طويلة فتمائل الحروف والنسق فى اعتبارهم الحكيم معناه انعدام الشخصية !

والاظرف بعد كل هذا أن مَنْ يوكل بنقدنا مِنَ الناشئين هم بين مَنْ نُصلح لهم أشعارهم وأدبهم ، ومع ذلك يدعى خصوصاً أن هؤلاء نقادٌ ناضجون مستقلون ! ها هي مجلة (أبولو) في سنها الثالثة مزدهجة بانتاج العشرات من الشعراء والنقاد ومع ذلك فنصيبنا الشعري فيها قليل ، ولم يُعرف عنا أننا استغللنا جهودَ أحدٍ منهم للإعلان عن أنفسنا، بل كان ولا يزال كلٌّ همنّا أن نكون عاملين في المؤخرة وأن ندعَ الصدارةَ كلَّ الصدارة للشباب المنجيين ، نُشغلهم بالخير المحض بينما يُشغلهم سوانا بالتحزبات الشخصية والمنازعات ... ولقد أراد الدكتور رمزي مفتاح أن يضع كتاباً عنا فصرفناه عن هذا الجهد الكريم ، وأراد مثل ذلك الموضى الوكيل فأبينّا عليه هذا الفضل ، وأراد نختر الوكيل أن يكتب دراسة طويلة لديوان « فوق العباب » فشكرناه معتذرين ، وقد تطول بنا القائمة إذا سردنا الأسماء الكثيرة . فأين بعد هذا يغمر بالشباب أيها العابثون ؟ !

أب أم قلز ادب ؟

قد تمرّ بنا أشياء كثيرة لا أهمية لها في ذاتها ، ولكن لها أهميتها في تاريخ التيارات الأدبية في وقتنا الحاضر ، وهذا ما دفعنا إلى كتابة هذه التعليقات المختلفة . مثال ذلك أن تعلن صحيفة نخترتها عن قرب اشتراك أحد مريدنا في تحرير صفحتها الأدبية ، ثم إذا بكل هذا يُعدّل سريعاً فيحال حتى دون نشر أدبه ويحل محله آخر لا صلة له بالأدب ، ويكنى أنه موظف تجاري لا أكثر ولا أقل ولا ثقافة أدبية خاصة له ولا مرانة كتابية قوية عنده ، وكل ميزاته أنه أحد أذئاب العقاد المتزلفين يحمل له في كل يوم جمعة صينية الكيبية ، وينضم إلى من يسميهم العقاد أعضاء « جنيّة الحيوانات » ، متسليةً العقاد بهم ومستهيئاً بشأنهم ، وهو المقدّس المشكور منهم على أي حال ! وهذا الإبدال له الثناء الواجب حقاً ، والثناء الواجب يتشكل طبعاً بمهاجنتنا لمهاجمة فنية ولكن مهاجمة من قلة الأدب لحمتها وسداها الطعن في الذمم بقلم أسير يتصنع الصدق والحرية . . . وبعد هذا ندع الكلام للشاعر الناقد صالح جودت في صحيفة « الامام » التي ستصدر في منتصف هذا الشهر ، فإن له خبرةً خاصة بهذا الصنف من المتطفلين .

ويتحدث ذنب آخر عن تعفنه عن ذكر ماضينا الذي تفخر به كل النخز ، والاولى

به أن يذكر القراء بماضيه هو في الصعلكة والنسك، وبما كتبه المهباوى في « الاخبار »
وعبد القادر حمزه في « البلاغ » عن ماضى العقاد من جهتي السياسة وغيرها ، حتى
يحذر قليلاً في ما يريد خلقه من عصبية سياسية موهومة ضدنا ، بينما نحن نحترق
هذا الاتجار بالسياسة كل الاحتقار ونتحدى أى مخلوق يدعى ما يدعى العقاد من
أننا نعمل بايعاز أى سلطة أو بمكافأة أى سلطة لمناوئته المزعومة كما أنهم أحد أذنايه
في كتاباته ، وكما ذكر العقاد نفسه تكراراً في مجالسه إبهاماً بعظمته وطعننا في شرفنا
بهذا السلاح الحسيس ، بينما شرفنا الوطنى وشرفنا الشخصى كلاهما أسمى من أن ينال منه
أى إنسان على الإطلاق فضلاً عن مثل العقاد وأذنايه .

الى أصرقاء أبولو

وبعد هذا ، نعلن أصدقاء (أبولو) بأننا تلقينا ردوداً شتى على ما وُجّه إلينا
من حملات ، ولكننا آثرنا أن نكتفى بملاحظتنا المتقدمة التى نجعلها الأخيرة من
نوعها في هذه المجلة وأن ننزه صفحاتها تنزيهاً مطلقاً عما يجوز أحياناً في الصحف
اليومية ، فإن في تأييد وزارة المعارف المصرية ووزارة المعارف العراقية والمعاهد
العلمية في الشرق والغرب لهذه المجلة معنى سامياً لا ينبغي تكديره بالدخول في
المنازعات التى لا تسلم غالباً من أضرار الأُحقاد .



ذكرى المتنبي

أذاعت طهران اقامة تذكّار للفردوسى شاعر الشاهنامه كما سبق القول ، والان
تذيع الأفطار العربية الاحتفال المرتقب بذكرى المتنبي ، فأقول في ذلك :

تمهيد

ان المتنبي الشاعر المشهور الكندى ترك لنا آثاراً شعرية ليست بأقل مما تركه

غيره من شعراء الأعاجم ، فإذا لم يكن قد نظم ملاحم كاليادة اميروس وشاهنامة الفردوسی وکلستان السعدی وفردوس ملتون وروایات شکسیر وتأملات لامرتین وقصائد هیکو وکومیدیه دنتی ومنظومات سرفنتس وغيرها فقد ترك لنا ديوان شعر ملاء بالحكم والحاسة والوصاف البليغة والافكار الرائعة في وصف الحروب والأسد وغيرها مما خلد له الذكر وحمل كثيراً من العلماء على شرح ديوانه حتى كان شرحه أكثر من أربعين وآخرهم الشيخ ناصيف اليازجي في (العرف الطيب) مما طبعه ولده الشيخ ابراهيم ، الى غير ذلك مما يدل على مكانته الكبيرة في عيون العلماء قديماً وحديثاً ، وفي السنة الاتية يمر على وفاته ألف سنة وهو رفيع القدر ذائع الذكر .

من هو المتنبي ؟

سمى بذلك لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة وأسر وحبس . وهو الشاعر العربي اللغوى الجميل الطراز في أساليبه والفيلسوف المبدع في حكمه فقد ملأ حلب الشهباء بعدادح سيف الدولة بن حمدان حاكماً وسار الى مصر فلم يقصر في أوصافها وأجاء في كل ما نسجته براعته وابتدعته فكرته وأنتجته مخيلته ومنلته بلاغته مما تناقلته الرواة في كل عصر وأكبرته العلماء في كل مصر حتى في الاندلس والمغرب فلقبوا بعض شعرائهم باسمه تيمناً مثل ابن هاني (متنبي المغرب) ، فهو أبو الطيب أحمد بن الحسين الكندي الذي طار ذكره بين الشعراء وكان مولده في الكوفة سنة ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) وتوفي قتيلاً سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) فلو عمر أكثر من ذلك لما ترك مقالاً لقائل ولا مجالاً لجائل ، وكان سبب قتله قوله مفتخراً :

أنا الذي نظر الأعشى الى أدبي وأسمعت كلاني من به صمم
الخليل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

آراء الكتاب فيه

ومما يروى عن الشيخ ناصيف اليازجي شارح ديوانه كما سبق أنه رأى أحدهم وقد كتب على نسخة من ديوان المتنبي هذين البيتين :

أَسْأَلُ اللَّهَ إِلَهَ الْعَرَبِ شَازَا الْإِفْضَالَ رَبِّي
حَسَنَ لَفْظٍ الْأَرْجَا فِي وَحْظٍ الْمَتْنِي

فكتب تحتها من نظمه :

قد تمنى حسنَ حظِّ فأرانا حسنَ لبِّ
طلب الممكنَ إذ لم يرجُ نظمَ المتنبي

وكان اليازجي مولماً بالمتنبي وشعره حتى تحداه بمنظومه وكان يحفظ أشعاره ،
ومن آثار ذلك أنه لما وقف على طبع معجم (محيط المحيط) لبطرس البستاني وكان
بمدرسته الوطنية ملاء المعجم شواهد من المتنبي مما وعاه في حافظته النادرة ! وكثيراً
ما كان يقول : المتنبي يمشى في السماء والشعراء على الأرض !

ومع ذلك فقد انتقد المتنبي بعضهم وهجوه حشداً مثل ابن لنكك البصري
النحوي وشاعر آخر غيره بأنه كان سقاء بالكوفة بقوله :

أنى فضلُ لشاعرٍ بطلب الفضلِ من الناس بكرةً وعشياً
عاش حيناً يبيع في الكوفة الماءً وحيناً يبيع ماء الحيا ؟

وكتب بعضهم في مدحه وهجائه وتقده ، وردَّ آخرون عليهم أقوالهم ، وذلك
مما لم يسبق لغير المتنبي من هذه العناية الفائقة بشعره .

وقال ابن الأثير في محاسن المتنبي بمثله السائر :

« وأحسن من هذا قوله في قصيدته التي مطلعها (عجب اليمين على عجب الوغى
ندم) :

فأترك بها خلدأ له بصره تحت التراب ولا بازأ له قدمُ
ولا هزبرأ له من درعه لبدته ولا مهاة لها من شبهها حشمُ

وهذا من المليح النادر فالخلد استعارة لمن اختفى تحت التراب خائفاً ، والباز
استعارة لمن طار هارباً ، والهزبر والمهاة استعارتان للرجال المقاتلة والنساء من
السبايا » (٥١) .

وعقد باباً للمفاضلة بين المتنبي والبحترى في وصف الأسد وأورد أبياتاً من
القصيدتين البائية للبحترى واللامية للمتنبي ثم عقب على ذلك بقوله :

« وسأحكم بين هاتين القصيدتين والذي يشهد به الحق وتنقيه العصبية أذ كره ،
وهو أن معاني أي الطيب أكثر عدداً وأسد مقصداً . ألا ترى أن البحترى قد

قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح في تشبيهه بالأسد مرة وتفضيله عليه أخرى ولم يأت بشيء سوى ذلك ؟ وأما أبو الطيب فإنه أتى بذلك في بيت واحد وهو قوله :

أمعفّر الليث الهزير بسوطه لمن أدخرت الصارم المصقولا ؟

ثم إنه تقنن في ذكر الأسد فوصف صورته وهيأته ، ووصف أحواله في انفراده وفي حبسه ، وفي هيئة مشيه واختياله ، ووصف خلقه بخله مع شجاعته وشبه الممدوح به في الشجاعة وفضله عليه بالسقاء . ثم انه عطف بعد ذلك على ذكر الأنفة والحمة التي بعثت الأسد على قتل نفسه بقاء الممدوح ، وأخرج ذلك في أحسن مخرج وأبرزه في أشرف معنى .

والبحترى وإن كان أفضل من المتنبي في صوغ الالفاظ وطلاوة السبك فالمتنبي أفضل منه في الفوص على المعاني ، ومما يدل على ذلك أنه لم يعرض لما ذكره في أبياته الراجية لعله أن يشرا ^(١) قد ملك رقاب تلك المعاني واستحوذ عليها ولم يترك لغيره شيئاً يقوله فيها ، ولطفاته أبي الطيب لم يقع في ما وقع فيه البحترى من الانسحاب على ذيل بشر لانه قصر عنه تقصيراً كثيراً . ولما كان الأمر كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك الطريق وسلك غيرها فجاء في ما أورد مبرزاً .

واعلم أن من أبين البيان في المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد اثنا عشر منهما على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معان كتوارد البحترى والمتنبي هنا على وصف الأسد . وهذا أبين في المفاضلة من التوارد على معنى واحد يصوغه هذا في بيت من الشعر وفي بيتين ويصوغه الآخر في مثل ذلك ، فإن بعد المدي يظهر ما في السوابق من الجواهر وعنده يتبين ربح الراج وخسر الخاسر ... هـ .

وأنشد المعتمد بن عباد اللخمى صاحب قرطبة واشبيلية في الاندلس يوماً ما في مجلسه بيت المتنبي من قصيدة :

إذا ظفرت منك العيون بنظرة أتاب بها معي المطى ورازمة

(١) يريد بشر بن أبي عوانة في قصيدة قتله للأسد التي مطلعها :

أفأطم لو شهدت يبطن خبت وقد لاقى الهزير أخاك بشرا

وقد شطرها محمود قبادو التونسي تشطيراً زادها سلاسة ومعاني وحسن وصف

وجعل يردده استحساناً وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسي
قائداً أرنجالياً :

لئن جاد شعرُ ابن الحسين فأنما نحمد العطايا والشيء تفتح لها
تنبأ عجباً بالقريض ولو درى بأنك تروى شعره لتألفها !
ومن بلاغات المتنبي الفائقة انه وصف بيتين ما وصفه أوميروس كبير شعراء
اليونان في الياذته بأبيات ، وكان للعتبي براعة بديعة فيها ، وهما :
صدمتهم بخميس أنت غرته ومهرته في وجهه غمم
فكان أثبت ما فيهم جسومهم يسقطن حولك والأرواح تنهزم !
وهذان البيتان مما فات سليمان البستاني ذكرهما حاشيته على قول أوميروس كعادته
في الياذة العربية .

ومن أولى ما نختم به كلمتنا عن المتنبي علمه باللغة واطلاعه على غريبها وحوشها
حتى كان يستشهد بكلام العرب نظماً ونثراً في كل ما يسأل عنه ، وسأله الفارسي عن
الجموع على وزن فملى فقال له في الحال : ليس عندنا إلا جعان وما حجلى وظربي ،
فبحث الفارسي ثلاث ليال في كتب اللغة فلم يجد لهما ثالثاً !

ومن نثره قوله في رسالة موجزة : وصلتني وصلك الله معتلاً وقطعتني مُبِلاً ،
فان رأيت أن لا تحب العلة الى ولا تكدر الصحة على فعلت إن شاء الله تعالى (اه)
الى غير ذلك م

زحله (لبنان)

عميس اسكر الماروف





تربية الزوج

ربما أتيح لنا أن نضع كتاباً فنياً مصوراً عن جمال المرأة وتحليل عناصر ذلك الجمال ، لأننا نعتقد أن كتاباً من هذا الطراز مما يساعد على تربية الذوق الفني والنظر إلى المرأة نظرةً فنيةً . وقد لاحظ أصدقاؤنا كيف أن جميع الشعر الذي تناول المرأة ونشرناه في هذه المجلة أو في داويننا الخاصة كان يحوم حول تقديسها وحول تربية الذوق الفني المتطلع إليها ، كيفما كان الموضوع الذي تناوله ذلك الشعر خاصاً بها . وبعبارة أخرى أننا كنا نحارب بهذا الشعر الخشونة المتوحشة وشعور الاحتقار للمرأة والشذوذ والشهوة السقيمة ، كما كنا نربي الذوق الفني العام . فإذا لَعَطَ بعد ذلك مَنْ لا يفهمون شيئاً من أصول الفن ، أو مَنْ يعميهم الحسد والغرض بتفسير يمجّحها كلُّ أديبٍ مهذبٍ « كالأباجية » ونحوها ، فيجب أن ترتدّ تفاسيرهم إلى نفوسهم ، فأنما نحن نتمتع على أرقى النماذج الفنية ومنها ما اعترت به الأكاديمية الملكية في لندن وصالون باريز وما تعترت بأمثاله المعارض الفنية المصرية نفسها التي ترعاها هيئات محترمة . فابعدوا عن الأذهان أيها السادة تفاسيركم المريضة ، واحتفظوا بها لأنفسكم إذا شئتم ، فأنتم وحدكم أهلُّ لها !

ذكرى الفردوسي

في الثاني عشر من شهر أكتوبر الجاري يقام في مدينة (مشهد) بایران - حيث مرقد الشاعر المشهور الحكيم أبو القاسم الفردوسي صاحب كتاب « الشاهنامه » الاحتفال الرسمي العظيم بمرور ألف سنة على ميلاد الفردوسي . وقد دعت إليه الحكومة الإيرانية كثيرين من أهل العلم والأدب من أنحاء العالم ، كما دعت ثمانين مستشرقاً من مختلف الأمم الغربية . ويمثل مصر في هذا الاحتفال الفخام الاستاذ عبد الوهاب

عزّام ناشر ترجمة «الشاهنامة» الى العربية ، وهو في مقدمة المصريين المتضلعين من الأدب الفارسي ، وستسبقه احتفالات أخرى أولها بمدينة طهران في الرابع من أكتوبر . وتعني الحكومة الايرانية بترميم قبر الشاعر على مثال أبنية ملوك الايرانيين القدماء قبل البدء بالاحتفال .

وفي الوقت نفسه تشترك الحكومة الروسية بذكرى هذا الشاعر العظيم ، فحبذا لو استطاعت الجامعة المصرية — على ما بين مصر وإيران من صلات قديمة — أن تقوم من جانبها باحتفال مستقل توطيداً لما بين الأمتين من الروابط الثقافية القديمة وتكريماً للعبقريّة الأدبية .

الطلبة والجمعاعات

كثيراً ما شكّا رجالُ التعليم من استغلال رجال السياسة — على اختلاف أحزابهم — لشباب الأمة ، وعلى الأخصّ لطلبة المدارس ، في تنفيذ برامجهم السيامية ، لأن نتيجة هذا الاستغلال كانت التفتوت على كثيرٍ منهم دراساتهم والاساءة الى مستقبلهم ، فأُن السياسة أولي بأن تُترك للزعماء السياميين ولرجالِ الوطن الذين حنكهم التجارب وأنضجتهم الحوادث ، لا أن تكون ألعوبة في أيدي الناشئين الذين يصيرون حنماً ضحايا الأحزاب السياسية .

وقد انتقل هذا المرضُ — للأسف الوافر — من ميدان السياسة الى ميدان الأدب ، أو على الأصحّ الى شيعَةٍ منه تؤمن مجازاً بعبادة الأصنام وبالخلط بين الأدب والسياسة ، وإذا بهذا الشباب يُسَخَّر للهتاف لهذا المتزعم أو ذاك هتاف الحناجر الاسيرة وهتاف الأفلام الدلّيلة .

ولحظنا ذلك منذ سنين فأبيننا هذه المذلة والامتهان لشباب الأمة . وأنفحننا صفحتنا للمختار من آثار الشباب الموهوبين ، إذ ليست المواهب الأدبية بما يقاس حنماً بالسنّ ، وفي الوقت ذاته جعلنا شعار ندوتنا أمامهم تقديمَ الدرس على الانتاج الأدبي ، وجعلنا محفلنا صيانةً لهم من المفاهي وأمناها ومن التذبذب بين الأحزاب ، فن خاب منهم بعد ذلك لم ترجع خيبته إلينا وإنما الى دورانه حول أمناهم والى إضاعته الوقت في عبثهم . وقد استحقت خطتنا هذه تقدير معالي وزير المعارف عند ما تشرف وفد (جمعية أبولو) بمقابلة معاليه في الصيف الماضي .

ولما عرّف خصوصاً هذه الحقيقة أخذوا يضلّون فوق أضاليلهم ويتظاهرون بالغيرة على الشباب ، وتناسوا كيف غرّروا به ، وكيف ما زالوا يغترون ، ما بين إشعاره بروح التبعية بدل روح الشمم ، وما بين قتل مواهبه الأدبية بدل إظهارها ، وما بين تقسيمه الى فرقٍ يحارب بعضها بعضاً ، الى آخر هذه المهازيل المشجية ، في حين أن (ندوة الثقافة) وجمعياتها ليست لها صلةٌ خاصةٌ بالشباب ، وانما صلتها أدبيةٌ وثقافيةٌ عامةٌ بجميع أهل الأدب على اختلاف طبقاتهم ، وغايتها إبراز المواهب الأدبية وتشجيعها أينما كانت في غير إسراف ولا تغرير بأحدٍ . فلا غرو إذا حمد لها العقلاء جهودها التزبية ، وحاربها المغرضون فحاولوا اتهامها بجناياتهم المشهودة وتشويه غاياتها الشريفة ، ولكن المغالطات لا تدوم ولا بد أن تنكشف كما انكشفت مناوراتهم المفضوحة .

في الشعر الجريبر

(نقرأ حواراً عجيباً عن ابتداع شعر الأوبرا في اللغة العربية وشعر التصوير والميثولوجيا بألوانه الجديدة التي عرفها القراء عن آثارنا ، ويُسّعب أحدُ أفضل الأدباء نفسه في نفى ذلك عنا ، والأمر لا يحتاج الى كلّ هذا الحوار فأسبقية آثارنا هذه لا تحتاج الى تدليل وتأثيرها في أدباء العربية مشهودٌ لمن يطلع على المجالات السورية وغيرها) والذين يريدون أن يعطوا غيرهم دروساً في النقد التزيبه أوّلى بهم أن يفهموا معنى ضبط النفس وضبط موازينهم كيفما كانت الظروف ، وبذلك يحترمون أنفسهم ويستحقّون احترامنا لهم دائماً .

ويُقالُ إنّه ليس لنا ولا قصيدة واحدة في الشعر العلمي تشرّفنا بينما تزرخ دواويننا بهذا الشعر وعلى الأخصّ ديوان « الشفق الباكي » وبينها قصيدة « جنة النحل » التي كان يُعجب بها المرحوم شوقي بك كما يُعجب بها الى الآن رئيس تحرير (المقتطف) وغيرهما من كبار رجال الأدب . ومثل هذا الحكم هو نتيجة عدم الاطلاع الشامل على آثارنا المختلفة . (وأما عن شعر الميثولوجيا فحسبنا أن في جمعه بين الأساطير والخيال والعاطفة وتفسير الحياة والتعبير عن الحوادث المصوّرة ما يجعله الى الآن فريداً مستقلاً ، ولم يستطع منتقوننا مجاراته فضلاً عن التبريز علينا فيه) ومع ذلك فنفس هؤلاء المنتقنين كثيراً ما تغفّوا بعكس

هذه الاغنية من قبل ، ولكن يظهر أن الخريف تيارات خاصة ١ وأما عن الحكم على شعرنا الفلسفي فالأولى به رجل كالدكتور على الصناني أستاذ الفاسفة في دار العلوم ، فليس هذا اللون من الشعر في متناول كل ناقدٍ وخصوصاً من ليست لديهم ثقافة فلسفية ولا روح فلسفية .

وعيب علينا استعمال محور الزجل مع أنها تكسبه روحاً مصرية رشيقة ، وقد قلّدنا في ذلك غير واحد من الشعراء المشهورين بعد أن كانوا يتكلمون علينا في البداية كما يقع كثيراً ازاء كل جديد غريب .

الشعر والسياسة

كثيراً ما نادينا بترفع الشعر عن السياسة ، وأن الوطنية غير الحزبية ، وأن من العيب تمخير الشعر لأهواء السياسة بدل خدمة القومية الخالصة . وهذا المبدأ ظاهر في جميع شعرنا قديمه وحديثه على السواء ، وأحدثه ديواننا (فوق العباب) الذي يعرف أصدقائنا الكثير من شعره الوطني الذي نتصر به للديمقراطية وحقوق الشعب وبعضه شائع في الأندية .

لذلك نأسف جداً الأسف لادعاء محرد في (الوادي) اشتهر بمغالطته واشتغاله بالدسائس ضدنا أننا نظمنا شعراً ضد (الوفد المصري) مستشهداً بأبيات منصبة على مشاحنات الأحزاب ولا نعتبر إلا عن الحسرة على هذا الشقاق المصدع لوحدة الأمة ، وأي فائدة من الصعود بالبناء اذا جاء مصدعاً مهدداً بالدمار ؟ ومثل هذا الشعر جرى على السنة الكثيرين من شعراء الوطنية فلا معنى لاساءة تفسيره . ولكن لا عجب في ذلك مادام القائم بهذا الدس ضدنا من زور قصيدة على المرحوم شوقي بك طعننا في (جمعية أبولو) مما دعا سكرتير الفقيد (بالنيابة عن أمرته) الى توبيخه أشد التوبيخ ، ومع ذلك عاد صاحبنا يكرر هذه القرية في (الوادي) مستغفلاً رؤسائه !

ولم يكتف بذلك بل راح يصف قصيدة وجهناها الى دولة اسماعيل صدق باشا بصفته رئيس الوزارة السابقة وصفاً لا يتفق مع الواقع فعلاقتنا بدولته علاقة صداقة عائلية ترجع الى الخال والوالدولاشأن لها بالسياسة بتاتاً ، وقصيدتنا الى دولته لم يكن لها أي علاقة بالسياسة بل كانت بث ظلامه مماعانينا في عهده من محاربات واساءات لأعمالنا الثقافية التي كان دولته شخصياً يقدرها ، ومع ذلك فقد شغلت دولته السياسة عن إنصافنا .

وأما عن المرحوم شوقي بك فقد كان يحتفى بجمعية أبولو الى قبيل وفاته وبرّ
الاعضاء بذكره كل البرّ، وكان الفقيد بقدر روح التسامح والمودة عندنا وهو في
حياته لم ينظم هجواً في أحدٍ مطلقاً



سرّ الفصاحة

تأليف الأمير أبي محمد عبدالله بن محمد سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي

٣٢٠ صفحة بحجم ٢٤ ½ × ١٦ ½ سم — طبع بالمطبعة الرحمانية

على نفقة مكتبة الخانجي بالقاهرة

هذا الكتاب ذخيرة من ذخائر تلك اللغة الشريفة، ودرّة بتيمة من كنوزها
الغالية، يمزج فيه العلم بالأدب ويدلّ على ثقافة واسعة وعقل مفكر راجح التفكير
مدقق عميق البحث والاستقصاء، فيه من روح الأدب خفّته ومن عمق العلم
وأساعه دقّته ورزانه. يبدأ المؤلف ببحث علميّ دقيق عن الأصوات وماهيتها
يخيل اليك وأنت تقرأ أنه عصرى التّأليف فتتملكك الدهشة ويستفرك الإعجاب الى
تمجيد ذلك الكنز الغالي من أدبنا العظيم، يثبت فيه أن الصوت معقول لأنّه يدرك
بجاسة السمع ولذلك فهو عرض وليس بجسم لأنّ الأجسام متائلة والإدراك انما
يتعلق بأخصّ صفات الدّوات والآلات كانت الأجسام جميعها مدركة بجاسة السمع، وإن
الأصوات تدرك في محالها ولا تحتاج الى انتقال محالها وانتقالها وكونها اعراضاً مُنْع
من انتقالها.

ومن هذا البحث الدقيق ينتقل في دقة الى الحروف، والكلام، فاللغة، وبمثل الاستقراء
الذي يبينه من بحثه في الصوت يبحث في مواضع الكتاب المختلفة. ولننقل للقارئ

قطعة من الفصل الذي عقده عن الاستعارة في الكلام على شروط الفصاحة التي تستوجب وضع الألفاظ موضعها ، ومن هذه الشروط أن لا يكون في الكلام تقديم وتأخير كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حتى أبوه يقاربته
أو كقوله أيضاً :

فليست خراسان التي كان خالد بها أسد إذ كان سيفاً أميرها
أو مقلوباً كقوله أيضاً :

وأطلس عسال وما كان صاحباً رفعت لناري موهناً فأناني

وفي هذا الفصل يقول : « ومن وضع الألفاظ موضعها حسن لاستعارة وقد حدّها أبو الحسن على بن عيسى الرماني فقال : هي تعليق العبارة على غير ما وضعت في أصل اللغة على جهة النقل للابانة ، وتفسير هذه الجملة أن قوله عز وجل : « واشتعل الرأس شيباً » استعارة لأن الاشتعال للنار ولم يوضع في أصل اللغة للشيب ، فلما نقل اليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه لأن الشيب لما كان يأخذ في الرأس ويسمى فيه شيئاً فشيئاً حتى يحيله الى غير لونه الأول كان بمنزلة النار التي تشتعل في الخشب وتسرى حتى تحيله الى غير حاله المتقدمة . فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان ولا بد من أن تكون أوضح من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها لأن الحقيقة لو قامت مقامها كانت أولى لأنها الأصل والاستعارة الفرع ، وليس يخفى على المتأمل ان قوله عز اسمه « واشتعل الرأس شيباً » أبلغ من « كثر شيب الرأس » وهو حقيقة هذا المعنى . وقول امرئ القيس « قيد الاوا » أبلغ من « مانع الاوابد عن جريها » والأصل في ذلك ما أفاده التشبيه في الاستعارة من البيان . فان قال قائل : فما الفرق بين الاستعارة والتشبيه اذا كانت الامر على ما ذكرتم ؟ قيل : الفرق بينهما ما ذكره أبو الحسن وهو أن التشبيه على أصله لم يغير عنه في الاستعمال وليس كذلك الاستعارة لأن مخرج الاستعارة يخرج ليست العبارة له في أصل اللغة ، على أن الرماني قال : إن التشبيه في الكلام بأداة التشبيه وهو يعني كأن والكاف وما جرى مجراها ، وليس يقع الفرق عندى بين التشبيه والاستعارة بأداة التشبيه فقط ، لأن التشبيه قد يرد بغير الألفاظ الموضوعه له ويكون حسناً مختاراً ولا يبعد أحد في جملة الاستعارة خلوه من آلة تشبيه . ومن هذا قول الشاعر :

سفرن بدوراً ، وانتقبن أهيلةً ومسن غصوناً ، والتفتن جاذراً
وقول الآخر :

وأسبلت لؤلؤاً من زجر فسقت ورداً ، وعضت على العناب بالبرد
وكلاهما تشبيه محض وليس باستعارة وإن لم يكن فيها لفظ من ألفاظ التشبيه ،
وانما الفرق بين الاستعارة والتشبيه ما حكيناه أولاً .

هذا الفصل أنموذج لما وضع عليه هذا الكتاب النفيس الذي يجب أن يطالعه الجيل
الحديث فيجد ثروة طائلة لم يكن يظن لها وجوداً .

وقد ذُيِّلَ هذا الكتاب باستدراكات قيِّمة قام بها صديقنا الفاضل الباحث
المدقق محمود محمد شاكر الذي أشار أيضاً بالحق اعتراضات ابن الأثير في كتابه
« المثل المائر » عن كتاب « سرّ الفصاحة » به ؟
مه كامل الصبر في



تنبيه هام

يتشرف مراقب « ندوة الثقافة » باعلان جهور الأدباء أنه فيما عدا
المبادلات الصحفية الضرورية وأعضاء مجلس (جمعية أبولو) لا يستطيع
الموافقة على إهداء هذه المجلة الى أحدٍ ما حرصاً على حياتها المادية . وهو
من أجل ذلك يدعو جميع أنصارها الى شرائها أو المبادرة الى الاشتراك
فيها . ولا يمكن مخالفة هذه القاعدة بحالٍ من الأحوال ؟

محمد عبد القفور

(مراقب ندوة الثقافة)

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٣	كلتي الخطتين	كلتا الخطتين
١١	٨	الأموال	الأموات
١٧	٧	الاستمتاع	الاستماع
٦٥	١٤	من حب	من هوى
٩٥	٢٠	الهوى غير بال	الهوى غير بال
١٠٣	٨	مَرُوعَةٌ	مَرُوعَةٌ
١٠٣	٢٣	فخذ	فخذ
١٠٧	٨	لَقْدِذْتُ	لَقْدِذْتُ
١٠٧	١٧	تؤيد	تؤيدني
١٢١	١٢	رَبِّكُمْ	رَبِّكُمْ
١٢٤	٩	فان ذلك	فمن ذلك
١٢٧	٢٢	المهلب	المهلب
١٣٧	٢٣	الفرينة	الفرينة
١٤٢	٩	يُغْلِقِ	يغلق
١٤٧	١٣	صحفته	صحيفته
١٤٧	١٣	رهو	وهو
١٤٧	١٥	بوس	بؤس
١٥١	٨	القامم	القاسم
١٥١	١٥	هذ	هذا
١٥٢	٦	خات	خاب
١٥٢	١٩	تَجَلَّى	تجلى
١٥٣	٢٣	أن لا يبق	أن يبق
١٥٨	٤	قَطْمَن	قَطْمَن
١٦٣	٢٠	دوى	ذوى
٢١٥	١٣	نَحْجَم	نحجم
٢١٦	٢٦	خصصة	خصصته
٣٢٣	١	وليم كيتس	جون كيتس